إتحاف الخل الوفى

بشرح ألفاظ الحزب السيفى

أو

هدية الأخ المحب الفانى بحل ألفاظ الحرز اليمانى

للعلامة الشيخ

سيدي محمد بن محمد بن الحسن بن عبد الله

الطبعة الخامسة

١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م





رقم الإيداع :٢٠٠٤/١٤٦٨٢
L.S.B.N
977-5437-91-1

علی یوسف سليمان وأولاده

الرئيسى ١٢ شارع الصنادقية بالأزهر ت : ٥٩٠٥٩٠٩

فرع المكتبة : ١١ درب الأتراك الأزهر ت : ٥١٤٧٥٨٠

ص . ب : ٩٤٦ العتبة

القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

إشراف

محمد بن علی بن يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

(وصلّ الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)

نحمدك يا من خص أولياءه المقربين بالأذكار والأوراد، واجتباهم لحضرة قدسه بما ألهموا من الأحزاب فحصلوا على المراد، ورقاهم المولى لأعلى المقامات، لما جبلت نفوسهم على محبة التسبيح والدعوات، فنالوا من الله الحظ الأوفر من كل مرام، حتى أن أحدهم لو أقسم على الله لأبره بسرعة وإكرام، وعاجله بمطلوبه مع الإجلال والاحترام، وأناله مرغوبه في جميع الليالي والأيام .

فسبحانه من إله ما أحلمه على العباد، ومن رب كريم رءوف جواد، ونشهد أنه الله الذى لا إله إلا هو الواحد الأحد فى ذاته وصفاته وأفعاله، ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله الصادق في أقواله وأحواله، ﷺ وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأعوانه، الذين قاموا بنصرة الدين وشيدوا لقواعد بنيانه، صلاة وسلاما يدومان بدوام الأبد، لا نهاية ولا حد لآخرهما ولا عدد، ورضي الله عن التابعين لهم بإحسان، في كل عصر وأوان .

وبعـــد: فيقول أفقر العبيد إلى مولاه، وأحوجهم إلى فضله ورحماه، المشفق من سوء كسبه وخطاياه، (محمد بن محمد بن الحسن بن عبد الله) غفر الله له ولوالديه ولمتعلقاته يوم لقياه، وأسكنه فسيح جنته جميع الأحبة ومن والاه، بجاه حبيبه ومصطفاه ﷺ صلاة تامة ننال بها في الدارين رضاه .

لما من الله بالدخول في زمرة الأولياء، وأخذ ورد إمام الأصفياء القطب الأكبر الكبريت الأحمر، الرفيع الذكر الأشهر، صاحب اللواء الأخضر، شيخنا وسيدنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ الواصل القدوة الكامل، الطود الشامخ، العارف الراسخ، جبل السنة والدين، وعلم المتقين والمهتدين، العلامة الداركة، المشارك الفهامة، الجامع بين الشريعة والحقيقة، الفائض النور والبركات على سائر الخليقة، الواضح الآيات والأسرار، ومعدن الجود والافتخار، نادرة الزمان، ومصباح الأوان، الشريف القدر والمباني، أبي العباس سيدنا ومولانا (أحمد التيجاني) ابن الولي الكبير، العالم النحرير، المدرس النفاع، النبوي الأتباع، (أبي عبد الله سيدي محمد فتحا بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم التيجاني) سقاني الله والمحبين من فيض مدده العرفاني، بأعظم الكؤس والأواني .

من مثلكم يا أبا الخيرات يشبهكم قد حزتم السر والأخلاق والشيما
والله ما رأت العينان مثلكم في العصر قاطبة يا بهجة العلما
وما على إذا ما قلت معتقدي دع الجبول يظن العذل عدوانا
والله والله والله العظيم ومن أقامه حجة للناس برهانا
إن الذى قلت بعض من مناقبه ما زدت إلا لعلى زدت نقصانا

وكانت أوراد سيدنا أفضل الأوراد، وأعظم ما يقتنى ويستفاد، وكيف لا وبروزها على يد سيد الوجود. وعلم الشهود. إذ هو الذي أفاضها على شيخنا يقظة من غير جحور، وأمره ﷺ بتلقينها لكل طالب ومريد، من ذكور وإناث وأحرار وعبيد. غير أن منها ما يلقن للعامة والخاصة. ومنها ما هو مخصوص بخلاصة الخلاصة. فكان من هذا القبيل، (الحزب السيفي) ذو السر الجليل، وقد وقع في ألفاظه اضطراب بين الإخوان، ومخالفة مشهورة واضحة للعيان، وكان مما منَّ الله على. ومن فضل كرمه وجوده لدي. أن اطلعني الله على رواية سيدنا في هذا الحزب الجليل فوقفت على نسخة عتيقة عند بعض أولاد الخليفة سيدي الحاج (على حرازم برادة) مكتوب على ظهرها إجازة سيدنا له فيه بخط يمينه فقابلتها بنسخة وقفت عليها في (الجواهر الخمس) فوجدتهما متوافقتين والحمد لله .

ثم اعلم أن السيفي فيه لفظان الكبير والصغير وكلاهما أخذه سيدنا الشيخ ﷺ عن النبي ﷺ لكن الذي ثبت عن ثقات الأصحاب، وأهل التحقيق من الأخلاء الأحباب، هو اللفظ الكبير إذ هو الذي كان يلقنه سيدنا لأصحابه ووصل إلينا بالتواتر والأخذ كابرا عن كابر كما يأتي بيانه إن شاء الله في السند ولما صححت هذه النسخة طلب مني بعض الإخوان، شرح بعض ألفاظها وإن لم أكن أهلا للخوض في هذا الميدان، ولا الركوض برجلي بين الفرسان لكن حملني على ذلك محبة هذا الشيخ الجليل الولى، العديم النظير والمثيل، وعلم الأصفياء، أبي العباس سيدي ومولاي أحمد التيجاني. أمدنا الله من بحره العرفاني وسقانا من شرابه الصافي بأرفع الأواني. ومحبة أوراده العظيمة المقدار، المشهورة النفع كاشتهار نار على منار، والخدمة لأعتابه الشريفة والتطفل على موائد أسراره المنيفة، فأسأل الله العظيم، متوسلا برسوله الكريم، أن يجعله من شوائب الرياء والدعوى سالما، وأن ينفع به نفعا عميما دائما، وأن يجعله من خير أعمالنا التي لا تندرس ولا تبلى، وتنفع صاحبها يوم تختبر السرائر

وتبلى، إنه الجواد الكريم المفضال، الذي يجب أن يُسأل فيجيب السؤال، وأسأل كل من نظر فيه أن ينظره منصفا لا متطلبا للمساوي متعسفا، فإني والله معترف بجهلي وقصوري، ولكني توكلت على الله في وردي وصدوري، إذ لا يخلو مصنف من الهفوات، ولا ينجو مؤلف، من العثرات. فكن يا أخي متمسكا بقوله ﷺ " طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس " وبقوله ﷺ { من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته } وفي هذا المعنى قال الشاعر:

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا   فيهتك الله سترا من مساويك
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا   ولا تعب أحداً منهم بما فيك

وقال الإمام مالك ﷺ: أدركنا ناسا لا عيوب لهم فتكلموا في عيوب الناس فحدثت لهم عيوب وأدركنا آخرين لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس فسكت الناس عن عيوبهم .

وقال بعض الحكماء: أي عالم لا يهفو وأي صارم لا ينبو وأي جواد لا يكبو أهـ.

هذا وإني اعترف بأني لست من ذوي التصنيف: ولا بنان لي في تهذيب التأليف فليتلق الناظر الحكمة ولو من غير حكيم، ويغتنم العلم ولو من غير عليم فإنما أنا متطفل، ويجمع كلام العلماء متكفل. فلا أرى لنفسي في مناصب المصنفين استحقاقا، ولا أن لي بأدنى مراتب المؤلفين لحاقا، غير أني رأيت محبة أهل الخير والصلاح، تورث كل مأمول ونجاح. والتشبث بأذيالهم تجارة وفلاح. فمن نعم الله علينا أن وفقنا للأخذ عن هذا الولي الكبير والتمسك بحبله فإنه أقوى عروة تمسك بها كل حرير، أماتنا على اتباعه ومحبته، وجعلنا من أهل حزبه وزمرته، وأسكنا وجميع المحبين الفردوس الأعلى في جوار جده سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه وعترته وسميته (**إتحاف الخل الوفي، بشرح ألفاظ الحزب السيفي**) أو (**هدية الأخ المحب الفاني، بحل ألفاظ الحرز اليماني**) ولابد أن نقدم قبل الشروع في المقصود، مقدمة تكون معينة للطالب على نيل كل أمر محمود، مشتملة على بعض فضائله وسنده، وكيفية ذكره وكتابته لحمله، فأقول مستعينا بالله الكريم الوهاب، مستمدا منه التوفيق للصواب:

مقـــــــدمة

قال سيدنا ﷺ كما هو في جواهر المعاني ومن جملة الأدعية دعاء السيفي ففي المرة الواحدة منه ثواب صوم رمضان وقيام ليلة القدر وعبادة سنة كما أخبرني به سيدنا ﷺ عن سيد الوجود ﷺ أهـ. وقال محب سيدنا وخليفته العالم العلامة سيدي عمر الفوتي في كتابه الرماح ما نصه:

وأما الحزب السيفي فلَه اثنا عشر ألف خاصية قال شيخنا ﷺ وأرضاه وحشرنا في زمرته يوم لقاه: قال جبريل للنبي ﷺ للسيفي اثنا عشر ألف خاصية ستة آلاف في الدنيا وستة آلاف في الآخرة فمن داوم على قراءته حصلت لَه الخواص بأجمعها الدنيوية والأخروية . أهـ .

وقال الشيخ أبو عبد الله الأندلسي: اعلم أن من كان سعيدا في الدنيا والآخرة يصل إليه هذا الدعاء المبارك . أهـ .

وقال سيدنا وسندنا ومن عليه بعد الله اعتمادنا واستنادنا أبو العباس التجاني ﷺ وأرضاه: إن الحزب السيفي وصلاة الفاتح لما أغلق[1] يغنيان عن جمع الأذكار حيث كانت وما توجه متوجه ولا تقرب متقرب إلى الله تعالى بأفضل منهما وأما السيفي فهو للنبي ﷺ وهو الذي ألفه كما سيأتي في بيان سنده قال ولَه ستون ألف كرامة أهـ .

قال سيدي عمر الفوتي: ومرادي أن أذكر من كراماته الأخروية فقط شيئا قليلا يمكن لي ذكره وإفشاؤه فأقول منها أن من لازم قراءته صباحا ومساء يحبه الله محبة خاصة ومنها أن من كتبه وعلقه عليه يعد من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وإن لم يذكره أهـ .

قال سيدي محمد الكنسوسي ﷺ: وهو حجاب عظيم ليس لَه مثل وبه كان سيدنا على كرم الله وجهه يقاتل الكافرين والمشركين والخوارج وكان يعلقه على عضده الأيمن وأخبرنا يعني بواسطة بعض تلامذته سيدنا التجاني ﷺ أنه قال قاتل به سيدنا على كرم الله وجهه وشق نصفين أربعمائة من الخوارج غير الأبطال أهـ . من خط الفقيه العلامة المذكور قدس الله روحه .

ثم قال سيدي عمر: ومنها أن من لازم قراءته صباحا ومساء لا يكتب عليه ذنب

(١) مع كتاب الدررالسنية فى شروط وأحكام الطريقة التيجانية رسالة أسمها الصراط المستقيم فى الرد على ما نسب للسادة التيجانية أن صلاة الفاتح أفضل من القرآن .

ومنها أن من لازم قراءته صباحا ومساء غفر الله تعالى لَه ما تقدم من ذنبه، ومنها أن من قرأه في سنة لا تكتب ذنوبه في تلك السنة ومنها أن من قرأه مرة يعطي عبادة سنة ومرتين يعطي عبادة سنتين وثلاثا يعطي عبادة ثلاث سنين وهكذا على هذا المهيع، ومنها أن الله تعالى يعطي قارئه ثواب صوم رمضان، ومنها أن الله تعالى يعطي قارئه مرة مثل ثواب قيام ليلة القدر بالغا ما بلغ في كل مرة، ومنها أن من قرأه إحدى وأربعين مرة فإن الله تعالى يرزقه كرامات الأولياء ويجعله مصباحا لهم في كل مكان بإذن الله تعالى، ومنها أن من قرأه كل صباح ثلاث مرات إلى تمام أربعين صباحا نال كرامة الأولياء وصار عزيزا مكرما بين الخلائق لا يخاصم ولا يدافع، ومنها أن من قرأه إحدى وأربعين صباحا متواليا بلغة الله تعالى مرتبة الولاية وكان من أولياء الله تعالى الذين يتصرفون في الغيب، ومنهاأن من أراد رؤية نبي من الأنبياء أو ولي من لأولياء أو واحد من أهله أو أقاربه فليقرأه إحدى وأربعين مرة فإنه يراه بإذن الله تعالى، ومنها أن من قرأه على نفسه وولده إحدى وأربعين مرة لا يرون في الدنيا شدة ولا في الآخرة مشقة، ومنها أن من قرأه مرة واحدة أنجاه الله تعالى من موت الفجأة .

زاد سيدي غوث الله في الجواهر الخمس ويذهب من الدنيا بالشهادة، قال الشناوي مرة صباحا ومرة عشية، ومنها أن المداوم على قراءته لا يخرج من الدنيا إلا مع الإيمان ولو كانت أعماله لا تصلح ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر غفر الله تعالى بفضله وتاب عليه توبة نصوحا .

قلت: وهذا مطلب العقلاء ومحط رجال الأتقياء والأصفياء لأنه ما قطع أكباد العارفين إلا خوف سوء الخاتمة .

من الدواهي خصوصا خوف خاتمة، قد خاب منها فحول العلم والعمل قال أبو حامد الغزالي ﷺ: إن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمألوفات ولا يمكن الحكم عليها بقياس وحدس وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا الذي قطع قلوب العارفين إذ الطامة الكبرى هي ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالي بك ثم قال بعد كلام طويل قال بعض العارفين لو حال بيني من عرفته بالتوحيد خمسين سنة فمات لما قطعت لَه بالتوحيد لأني لا أدري ما ظهر لَه من التقليب .

وقال بعضهم ولو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام على باب الحجرة لاخترت الموت على الإسلام لأنى لا أدرى ما يعرض لقلبى من باب الحجرة إلى باب الدار .

وكان سهل يقول: خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطوة وكل حركة وهم

الذين وصفهم الله تعالى بقوله ﴿ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾(المؤمنون:٦٠) وكان أيضا يقول: المريد يخاف من المعاصي والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر أهـ .

وقال الشربيني في رائيته: فإن ختام الأمر عنك مغيب ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر

قال الشيخ الإمام سيدي أحمد بن المبارك عن العارف بالله سيدي عبد العزيز الدباغ في كتابه الإبريز ما نصه: يقول والله أعلم ولا ترين أيها المريد في الأرض مؤمنا أو كافرا أدنى منك منزلة وأخفض منك عند الله مرتبة بل اعكس الأمر وقل إنك دون كل أحد واستمر على ذلك إلى أن تموت .

قال أبو يزيد البسطامي ﷺ: مادام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون متواضعا قال إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع مع كل أحد على قدر معرفته بربه وبنفسه .

قال في العوارف: وقد سئل يوسف بن أسباط ما غاية التواضع؟ فقال: أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيته خيرا منك أهـ .

ثم قال نقل أيضا عن أبي طالب المكي ما نصه: ومن خوف العارفين علمهم بأن الله ﷻ يخوف عباده الأعلين يجعلهم نكالا للأدنين ويخوف العموم من خلقه بالتنكيل ببعض الخصوص من عباده حكمة له وحكماً منه فعند الخائفين في علمهم أن الله تعالى قد أخرج طائفة من الصالحين نكالا خوف بهم المؤمنين ونكل بطائفة من الشهداء خوف بهم الصالحين وأخرج جماعة من الصديقين خوف بهم الشهداء والله أعلم بما وراء ذلك .

فصار من أهل كل مقام عبرة لمن دونهم وموعظة لمن فوقهم وتخويفا وتهديدا لأصحابهم وهذا داخل في وصف من أوصافه وهو "**ترك المبالات بما ظهر من العلوم والأعمال** فلم يسكن عند ذلك أحد من أهل المقامات في مقام ولا نظر أحد من أهل الأحوال إلى حال ولا أمن من مكر الله ﷻ عالم به في كل الأحوال" أهـ منه بلفظه قال تعالى ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(الأعراف:٩٩) رزقنا الله الموت على الإيمان. والنطق بالشهادة عند الخروج من دار الغرور والخسران. بجاه سيد ولد عدنان، ﷺ في كل وقت وأوان .

ثم قال سيدي عمر الفوتي ﷺ: ومنها أن من داوم على قراءته خلق الله تعالى له شخصا حسن الوجه فإذا دنا أجله جاء إليه ذلك الشخص وجلس قبالته فينظر إليه فيعجبه

حسنه وجماله ويسبح الله ثم يخرج روحه من غير تعب ولا مشقة وهو لا يتوجع ولا يدري بشئ ومنها أن الملكين إذ جاءاه في قبره ليسألاه عن حالَه يأمر الله تعالى هذا الحرز يجاوب عنه بأحسن جواب، ومنها أنه إذا قام يوم القيامة يخرج من قبره ووجهه كالقمر ليلة نصفه ببركته، ومنها أنه إذا قام من قبره أول ما يصافح النبي ﷺ، ومنها أنه إذا حضر للميزان أمر الله تعالى أن لا يحاسبوه ويقول إنه كان يداوم في الدنيا على قراءة الدعاء، ومنها أنه إذا وصل إلى الصراط جعل الله تعالى لَه هذا الحرز مركبا على الصراط ويقول أركبنى واعبر على الصراط في أقل من لمح البصر وقيل يحملَه ملك ويمر به فإذا سلم يقول لَه من أنت فيقول لَه دعاؤك الذي كنت تدعو به في الدنيا، ومنها أن النبي ﷺ يأمر الزائرين إذا أتوه لزيارته بإكرام قارئ هذا الدعاء، ومنها أن من داوم على قراءته خلده الله تعالى في الجنة ببركته، ومنها أنه لا يكون لأحد خلعه ولا أعلى درجة أكثر من قارئ هذا الحرز، ومنها أن الله تعالى يهب لَه بكل حرف من هذا الدعاء درجة في الجنة ببركته، ومنها أن من قرأه معتقدا بركته حضره سبعون ألف ملك فإذا قال: اللَهم أنت الملك الحق المبين إلى قولَه لا إلَه إلا أنت سجدت الملائكة كلَها لله ﷻ وسألوه أن يقضي حاجة الداعي أهـ .

ومنها قال الشيخ الإمام العالم الهَمام سيدي محمد بن حكيم الدين ابن بايزيد المتوفى في خامس رمضان سنة تسع وخمسين أو ستين وتسعمائة كما في الرحلة العياشية في جواهره الخمسة ما نصه: اعلم أن السيفي آية من آيات الله فيه عجائب لا تحصي وغرائب لا تنكر وأكثر أهل الله وجدوا فيض الله من هذا الدعاء وصاروا محظوظين بالحظ الأوفر .

وروى عن الإمام جعفر الصادق ﷺ أن لَه أسماء عديدة منها سيف الله ويمين الله وقدرة الله ويد الله وبرهان الله وصمصام الله، زاد الشناوي وصمصامة .

قلت قال في القاموس ممزوجا بشرحه للشيخ مرتضي والصمام السيف الذي لا ينثني في ضربته كالصمصامة وفي حديث {لو وضعتم الصمصامة على رقبتي} وفي حديث قس {تردوا بالصماصم} أي جعلوها لَهم بمنزلة الأردية لحملَهم لَها وحملَهم حمائلَها على عواتقهم أهـ منه . ثم قال والحرز اليماني وسهم الله وحرز البر والحرز المرتضوي الحرز الأعظم والحرز السيفي أهـ .

قلت: وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ويكفي في شرف هذا الحزب أنه مرفوع إلى الحضرة النبوية التي قال فيها الرب ﷻ وعز سلطانه وكمالَه ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾(النجم:٣-٤) وسيأتي إن شاء الله بيان سنده .

ثم قال في الجواهر: ومن قرأ هذا الحرز وحفظه من نفسه لا يؤثر فيه أبدا كيد العدو وغلبته وحفظ من السحر والطلسم والطواغيت وعين السوء والحية والعقرب والأسد والذئب وغير ذلك .

وقارئ هذا الحرز لم يزل مقبولا عند الخلق عزيزا ولم يزالوا منقادين له ومطيعين أمره وأيضا للمحبة والعداوة وعقد اللسان والنوم وكل نية له يقرؤه أو يحفظه أو يحمله ومن قرأه على شربة عسل أو سكر نبات ويشربها مع عياله وأطفاله لم تزل الدولة منوطة في بيته ويرتقي دائما يوما فيوما ولا تنزع من أهل بيته وأولاده أبدا ومن كتبه للعبد القادر والآبق مطلقا وللمحبوب ووضعه تحت حجر عظيم رجع الآبق ووصل إليه المحبوب .

ومن تحير في أمر من الأمور ولم يدر ما التدبير فيه فليقم ليلة الجمعة نصف الليل ويصلي ركعتين يقرأ فيهما ما تيسر من القرآن ويصلي على النبي ﷺ مائة ويقرأ بعده الحرز ثلاثا وآية الكرسي مرة نجاه الله تعالى من هذه الواقعة وخلصه من البلاء والآفات والشدة وظهر أثره تلك الليلة ورزقه الله الفرج من حيث لا يحتسب .

ومن كان مسجونا أو أسيرا فليقرأه إحدى وأربعين مرة يخلص بإذن الله تعالى ومن قرأه ومسح به على الملسوع من الحية أو العقرب ينزل سمه من ساعته ومن قصد السلطان هلاكه فليغتسل ويلبس الثياب الطاهرة ويقرأ الحرز مرة ولا يتكلم مع أحد ويذهب إلى السلطان فإذا واجهه يقول (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث) حفظ من القتل وآمنت روحه من التلف بفضل الله تعالى .

ومن فقد له شئ ولم يدر من أخذه فليصل في ليلة ركعتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة والشمس وضحاها مرة وفي الثانية بعدها والضحى وألم نشرح مرة ثم يقرأ الحرز وينام على طهارة يرى في المنام مفقوده وسارقه .

ومن أهمه مهم فليصل الأربعاء والخميس والجمعة ويصلي ليلة السبت ركعتين يقرأ فيهما بعد الفاتحة ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَه مَخْرَجاً ... ﴾ إلى قوله ﴿ ..لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾ (الطلاق: ٢-٣) خمسة وعشرين مرة ثم يقرأ الحرز ويرقد على طهارة يرى فتح أمره .

ومن كتبه وحفظه في بيته لا يضره السارق والماء والنار ومن كان معه هذا الحرز وقام في الصفوف والمنارزة لم يحتج إلى الجوشن والدرع والدرقة والمجنة ووقعت هيبته في روع الأعداء أي في قلوبهم وعقولهم يقال وقع ذلك في روعي أي خلدي وبالي وفي الحديث {أن الروح الأمين نفث في روعي} قاله في المختار .

ومن كتبه ومحاه وسقى محوه للصبي يفتح له باب التحصيل قال الشناوي في شرح الجواهر: ولو في الصنائع والأسباب والمراتب والمقامات والمناصب . ومن كتبه ووضعه تحت المخدة ويرقد عليه الزوجان مع طهارة كاملة رزقهما الله ولدا صالحا .

ومن كان به ريح أحمر من أي نوع كان فليقرأه أربعين يوما على شئ من المأكولات ويطعمه يبرأ بإذن الله تعالى . ومن أبق له آبق فليكتب هذا الحرز ويضعه في حق طاهر ويسد فمه بشمع ويضعه في بيت طاهر تحت حجر ثقيل يرجع آبقه . ومن توجه إليه مهم عظيم فليغتسل غسلا طاهرا ويلبس ثوبا طاهرا ويبخر في الخلوة بعود وعنبر ويضع يده على هذا الحرز ويقول: (اللهم إني أتشفع إليك بهذا الحرز) حصل مهمة بلا كلمة ويحصل مراده بلا مشقة . ومن كان له عدو عظيم يخافه فليقرأه إحدى وأربعين مرة، وإن لم تكن له فرصة لذلك فسبعة أشراف أي إخوان في الله يقرءونه فلو كان العدو مثل الجبل يصير كالتبن يعني ذليلا حقيرا . وإن قرأه مديان سدت عنه ديونه أي قضيت . ومن له أولاد وبنات وتحير في أمورهم واستعداد متاعهم فليقرأه على الماء الجاري ويسقيهم يكفيه الله أمورهم وكفى بالله نصيرا .

ومن كتبه بمسك وزعفران وعلقه على العضد الأيمن ويتوجه إلى السلطان يعزه وإن تجادل مع أحد يغلبه أو داعي شيئا يظفر به وليسكن قيامه على الجنب الأيسر من السلطان أو غيره . ومن كان عنينا فليقرأه أربعين يوما ويكتبه ويسقي للعنين ويحفظه زالت عنته ويصير رجلا قادرا على الجماع . ومن كتبه مع سورة الفتح على راية الإمام ويقابل به العدو ينهزم العدو بلا شك . ومن كان مريضا وعجز الأطباء عن علاجه فليكتبه على طاس من نحاس أصفر أو قدح فخار أو خشب أو صيني بمسك وزعفران وماء ورد ويسقى محوه للمريض يبرأ ويشفى بإذن الله تعالى . ومن كتبه بمسك وزعفران وربطه في عنق الفرس أو الفحل وتركه في قطيعه نما أي كثر وحفظ ولم يفت منه شئ . ومن كتبه بمسك وزعفران وربطه بعنق المصروع زال الصرع عنه وشفى وإن كانت امرأة عقيمة فليضع هذا الحرز تحت المخدة إلى ثلاث حيض ويجامعها مع الطهارة تحمل وترزق ولدا صالحا ومن كان معه هذا الحرز ووقعت له خصومة مع أحد فإن كان مغلوبا يصير غالبا ومن واظب عليه بنية سعة الرزق رزقه الله تعالى ذلك .

قال الشيخ الإمام العلامة الهمام وحيد العصر والأوان مريد الدهر والزمان الماهر بعلمي الحقيقة والشريعة بين الفرسان أبو المواهب سيدي أحمد بن عبد القدوس القرشي العباسي الشناوي ثم المدني وكان يلقب بالخامي المتوفي خامس ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وألف

ودفن بالبقيع قرب شيخه سيدي صبغة الله مؤلف الجواهر الخمسة في الرحلة العياشية في شرحه على الجواهر ما نصه: ومن ضاقت مذاهبه من أسر أو قهر أو فقر قل أو ذل أو مرض أعيا الأطباء أو عكس جفاه فيه الأحباء وتراكمت همومه وألجمه طوفان الغم ولم يجد بدا ولا ملجأ فعليه بملازمته ليلا ونهارا حتى يجعل الله له مخرجا وإن كان دون ذلك رتبه خلف كل صلاة وكل هذا الباب أن الأمر الدائم يلازم عليه الورد الدائم ومن لازمه قبل أمر لم يهجم عليه لأن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا ومن ذكر الله ذكره الله فكان في حرز الله وأمانة وذمته ولا تنخفر ذمة الله أهـ .

وقال في الجواهر ومن قرأه أربعين مرة لإحضار الخضر عليه السلام يحضر .

قلت: ولحضوره شروط روحانية ومجاهدة بحيث يكون في قابلية مزاجك تهيؤ للقائه ومناسبة للتلقي منه ودامت على حجابك وملازمة معتادك حضرك ولا يراه بصرك ويقيم الحجة عليك أهـ .

ومن أراد أن يكون عدوه حبيبا له فليقرأ ثلاث مرات وفي كل إشارة يكتب موضع الإشارة على كفه ويقابل به جانب العدو ويصير صديقا حميما من ساعته ويروي: أنه جاء ملك من الملوك إلى أمير المؤمنين سيدنا على بن أبي طالب كرم الله وجهه وعرض عليه أحواله بأنه كان ملكا من الملوك العظام مع المال والمنال والملك العظيم قال وقصد عدوى هلاكي وعجزت عن دفعه متندما أي في غاية الندم والغلبة كالشارب الثمل وأنا مهموم فأخذني النوم ورأيت فيه قائلا يقول: اذهب إلى أمير المؤمنين وقل له علمني الحرز الذي علمك رسول الله ﷺ لتنجوا من هذا الغم فقمت وجئت لحضرتك فلا تجعلني خائبا محروما فعلمه الأمير الحرز فذهب به إلى الوطن فما مضى عليه زمان قليل إلا وقد وصل الخبر بظفره على عدوه وهلاك العدو ونجا من الغم ووصل إلى السلطنة كما كان .

قال الشناوي: وكذلك الولاية الخاصة حتى لو أراد صحبة الخضر عليه السلام وقع له ذلك فإن داوم العمل دامت صحبته ولم يستطع أن يقول له ﴿ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴾(الكهف:٦٧) وعلى هذا القدم كان صاحبنا الشيخ أبو بكر بن القطب يحي المنيري قدس الله سره وكان له جيب من الغيب في زره ينفق منه ما أراد ولا يرى أحد معه شيئا كان لا يقبل الصدقة ويقول الفقراء سلاطين الله في أرضه وكانت له اليد الطولى في الحديث والفقه والتفسير ومطارحات في طامات المسائل ومعضلات المشكلات مع سيدنا العالم صبغة الله رضي الله عنه أهـ .

ثـم قـال في الجواهـر: ومـن قـرأه للسـلامة في السفر وقت التوجه رجع إلى وطنه سالما وأيضا يقـرأ لَهـلاك الخصـم سبع ليالي من الجمعة كل ليلة سبع مرات يقرأ سورة طه مرة وهذا الدعاء مرة واحـدة يظهـر عـلى خصـمه ويكـون مقهورا البتة بلا شك ولا ريب . ولتسخير الخلائق يصوم ثلاثة أيام ويقرأ كل صباح مرة ويمسح بيده وجهه ولسلامته من الـعراق يقرؤه ويدور سبابته حولَه .

ومـن أكـل سمـا فليكتـبه بمسـك وزعفـران ويمحوه ويشربه يندفع عنه السم ويحصل لَه الشـفاء . ومـن كـان عقـيما فليكتبه بمسك وزعفران ويمحوه ويشربه ويصلي ركعتين ثم يقرأ هذا الحـرز ويقـول: بسـم الله الـرحمن الرحـيم ويجامع امرأته يرزقه الله تعالى ولدا كاملا صالحا . ومن قرأه ونفث على يديه ومسح بها وجهه لم يزل وجيهاً وزاد ماء وجهه .

ومـن أراد أن يذهب لمعركة فليصل ركعتين ويقرأ في كل منهما بعد الفاتحة والإخلاص ثلاثـا ثـم يقـرأ الحرز وينفث على يده اليمنى ثم يقرأ الحرز وينفث على يده اليسرى ثم يقرأ ويمسـح بيده الوجه والصدر ويذهب إلى المعركة لم يصبه أذى من الجراحة ويقع روعه في روع العدو ويكون منصورا مظفرا عليهم . ومن وقع في صحراء ليس فيها ماء ولا طعام ينبغي لَه أن يتـيمم ويصـلي ركعـتين ويقـرأ في كل منهما بعد الفاتحة الإخلاص سبعا ثم يقرأ الحرز يرزقه الله الماء والطعام من الغيب .

ومـن ابتـلى بفقر يقوم قبل الصبح أربعين يوما ويغتسل ويصلي ركعتين يقرأ في كل منهما بعـد الفاتحـة آية الكرسي مرة والإخلاص ثلاثا وبعد السلام يصلي على النبي ﷺ عشرا ثم يقرأ هذا الحرز مرة دائما بلا انقطاع ولا تعطيل وإن وقع الانقطاع يتوب ويستأنف

ومـن قـرأه لدفـع العقدة عن الكنوز بعد العشاء سبعا أو ثلاثا وليكن موضع القراءة بحيث لا يكـون بيـنه وبين السماء حائل ويصلي أولا ركعتين يقرأ فيهما بعد الفاتحة إذا جاء نصر الله والفـتح سـبعين مرة ثم يقوم ويذكر ذكر الكروبين وهم سادات الملائكة يعني سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله واللـه أكـبر ولا حـول ولا قـوة إلا باللـه العلـي العظيم ويقرأ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾(البقرة:١٨٦) منضـما إلـيه يا غياثي عند كل كربة ومجيبي عند كل دعوة ومعاذي عند كـل شـدة ويـا رجائي حين تنقطع حيلتي سبعا وبعقد ويضع العمامة بين يديه ويقرأ الحرز مع الملاحظـة القلبـية ليسـتجاب لَـه ويحافظ على هذا الترتيب أربعين ليلة متوالية يفتح لَه وإن لم يفتح يفعلَه ثلاث أربعينات أرجو الله أن يفتح لَه ما رامه .

وذكر سيدنا الشيخ أبو العباس التيجاني ﷺ وأرضاه وحشرنا تحت لوائه يوم لقاه في وصية له: ومن مكفرات الذنوب مداومة الحزب السيفي مرة في الصباح ومرة في المساء فإن من داومه لم يكتب عليه ذنب أهـ .

وفي أخرى له لما تعرض فيها لمكفرات الذنوب ما نصه: وكذلك الحزب السيفي لمن يقدر على حفظه .

وفي أخرى تعرض فيها لذلك أيضا ما نصه ومنها الحزب السيفي لمن اتخذوه وردا صباحا ومساء وأقل ذلك مرة مرة وأكثره لا حد له أهـ .

(فائدة وتنبيه لكل طالب نبيه)

قد وقفت على تقييد لسيدي عمر الفوتي ﷺ على الحزب السيفي فإذا هو مشتمل على بعض الخواص المتقدمة مع هذه الفائدة الجليلة ونصها وأما مواضع الإجابة في هذا الدعاء فعشرة مواضع:

الأول : عند قوله ولم يكن إله سواك .
والثاني : عند قوله في ظلم الخفيات ضالة .
والثالث : عند قوله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .
والرابع : عند قوله الكبير المتعال .
والخامس: عند قوله ما أوليتني به من إمدادك وكرمك .
والسادس: عند قوله بالعزة والعلاء .
والسابع : عند قوله ولا أبلغ شكر شئ منها .
والثامن : عند قوله فيما مضى منه برحمتك يا أرحم الراحمين
والتاسع : عند قوله ولا ينقص من جودك فيض فضلك .
والعاشر : عند قوله يا من قامت السموات والأرضون بأمره .

فهذه عشرة مواضع إذا وصل الداعي إلى إحداها فليطلب من الله تعالى ما أراد من أمور الدنيا والآخرة فإنه ﷻ يستجيب له بفضله وكرمه . والأصل كله في النية وحضور القلب وقت الدعاء واليقين بالإجابة والله هو الموفق سبحانه لا رب غيره ولا معبود سواه وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ومـن خـواص هـذا الحرز المبارك إشارته وحدوده ينبغي كتمها الأولى: عند قولَه أنت الله الملـك الحـق المـبين يسجد ويقول سبحانك أنت الله الملك الحق المبين ثلاث مرات ويذكر الاسـم الأول مـن الأربعـين الإدريسـية وهـو سـبحانك لا إلَـه إلا أنت .... الخ .ثم يسأل الله كشف حجابه ليشهد الأولياء .

الثانـية: عـند ورميـت مـن رماني بسوء يقول حسبي الله ونعم الوكيل سبع مرات ثم يدعو بما شاء من دفع عدو وغير ذلك ويناسبه من الأذكار يا مذل سبع مرات .

الثالثة: عند يا رب بقولَه ثلاث مرات ويدعو بما شاء .

الـرابعة: عند وحدك لا شريك لك يقولَها سبع مرات ثم يقول لا إلَه إلا الله وحده لا شريك لَـه وعـند لـيس فيها أحد سواك يقول وأفوض أمري إلى الله أربع عشرة مرة ويذكر يا إلَه الآلَهة الرفيع جلالَه ثم يسأل رفع الدرجات ودوام النعم وما أشبه .

الخامسـة: عـند فمـن تفكـر في إنشائك البديع وثنائك الرفيع إلى قولَه حسير يقول ما تـرى في خلق الرحمن من تفاوت ويتلو الآية إلى قولَه حسير ثم يقول يا قدوس الطاهر من كل آفـة بـلا شـئ يعادلَه من جميع خلقه سبع مرات ثم يتعوذ من أعين الظالمين وكذلك إذا كان خائفا مـن ظـالم أو قـوم سـوء يـأخذ سـبع حصيات ويرمي كل حصاة إلى جهة من الجهات ويضم السابع في مقدم عمامته ويذهب حيث شاء .

السادسـة: عـند قولَـه لم تغـب يقول يا دائم بلا فناء ولا زوال لملكه خمس عشرة مرة ويدعو بما شاء من صرف بلية أو عطف أو محبة أو جلب وما أشبه ذلك .

السـابعة: عـند قولَـه كـن فيكون يسجد ويقول يا عظيم ذا الثناء الفاخر والعز والمجد والكبرياء فلا يزال عزه سبع مرات ويسأل إصلاح حالة من أحوال الآخرة .

الثامـنة: عـند اللَهـم اغفـر لي ما لا يسعه إلا مغفرتك يقول يا زكي خمس عشرة مرة ويسأل تطهير الذنوب وغفرانها .

التاسـعة: عـند اللَهـم إني أسألك الثبات في الأمر يقول يا عزيز تسع عشرة مرة ويسأل ما صعب عليه من أمور الدنيا والآخرة وما أهمه ثم يقرأ فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده .

العاشـرة: عـند ولا يملكـون مـنك إلا مـا تـريد يقـول يـا مبدئ البرايا ومعيدها بعد فنائها بقدرته سبع مرات ويسأل ما ذهب منه أو من أحد غيره نعمة أو ولدا أو دولة وما أشبهه .

الحادية عشر: عند قولَه حين رفعت صوتي بدعائك وتحميدك وتوحيدك يقول يا الله سبع مرات ثم يقول يا الله المحمود في كل فعال سبع مرات ثم يسأل ما أراد من توسيع رزق ومعيشة وتسهيل حاجة .

الثانية عشر: عند اللّهم فتمم إحسانك يقول يا منان ذا الإحسان ألخ . ويسأل قضاء دين عنه أو عمن يريد أو خلاص محبوس أو تفريج كربة وما أشبهه .

الثالثة عشر: عند قولَه وأن تحرمني رفدك يقول يا رحيم كل صريخ ومكروب ألخ سبعا وعشرين مرة، ثم يسألَه من جميع الحاجات الدنيوية والأخروية ثم يقرأ هذه الأسماء سبع مرات يقول يا الله يا هو يا قيوم يا واحد يا أحد يا واجد انفحني بنفحات خيراتك تغنني بها عمن سواك إنك على كل شئ قدير وهذه الأسماء الكبيرة ينبغي المواظبة عليها في كل وقت .

الرابعة عشر وهي الخاتمة: عند قولَه كن فيكون يفعل فيها كما فعل في الأولى ليكون ابتداء الدعاء اختتامه ولَهذا سر عظيم لَهلاك الظالم يقول إذا سجد يا قهار ذا البطش الشديد ألخ سبع مرات ويذكر الخصم فوالله ما يمضي عليه أسبوع إلا عجل الله بهلكته والله على ما نقول وكيل .

ويضيف إليه عند القيام من السجود اللّهم فرج همي واكشف غمي واهلك عدوي وانصرني على من ظلمني ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا تسلط علي بذنوبي من لا يرحمني اللّهم شتته وفرق جمعه وخرب دياره اللّهم نكس أعلامه وزلزل أقدامه واهدم أركانه ورده على عقبه خائبا ذليلا حقيرا لم ينل خيرا يارب ثلاث عشرة مرة إني مغلوب فانتصر كذا ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر اللّهم احلل ما يفعل ورده على عقبه ذليلا لم ينل خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا اللّهم بك أجول وبك أقاتل فاكفني السوء بما شئت وكيف شئت إنك على ما تشاء قدير نعم المولى ونعم النصير .

تمت الإشارات الأربعة عشر فاعتمدها فإنها عزيزة لا توجد في كثير من النسخ والله أعلم أهـ منه بلفظه وهذا غاية ما اشتمل عليه تقيد الخليفة سيدي الحاج عمر الفوتي ﷺ على الحزب السيفي وهذا التقييد هو الذي أشار لَه في الرماح أهـ .

(فصل) وأما سندنا في هذا الحزب فإنا أخذناه عن شيخنا ومفيدنا وواسطة عقدنا الفقيه العلامة . الحجة الدراكة الفهامة، وحيد العصر والأوان وفريد الدهر والزمان، المشارك في جميع الفنون، أبي عبد الله سيدي محمد فتحا كنون، وهو أخذه عن شيخ الشيوخ، ومعدن الثبات

والرسوخ، الإمام الهمام حجة الله في الإسلام، أبي المواهب سيدي العربي ابن السائح الشرقي العمري وهو عن الغوث الهمام، ومصباح الظلام، أبي الحسن سيدي الحاج على التماسني وهو عن القطب المكتوم والبرزخ المختوم الإمام الأشهر والعارف الأكبر، السر الرباني، أبي العباس سيدنا ومولانا أحمد التيجاني، وله أسانيد أخرى أخذها شيخنا سيدي محمد المذكور لابد لنا من إيرادها تبركا بذكر رجالها أخذنا هذا الحزب عن شيخنا سيدي محمد كنون وهو عن أبي المواهب سيدي العربي بن السائح وهو عن سيدي محمد السراغني دفين عين ماضي وهو عن سيدي محمد ابن سيدي عبد الواحد البناني المصري وهو عن خاتم الأولياء، وبرزخ الأصفياء، أبي العباس سيدي أحمد التيجاني .

وأخذنا هذا الحزب أيضا عن شيخنا سيدي محمد كنون وهو عن الفقيه العلامة المشارك المحدث الفهامة، أبي العباس سيدي أحمد بناني وهو عن سيدي محمد بن بلقاسم بصري وهو عن الغوث الأشهر، أبي العباس سيدنا أحمد التيجاني .

وأخذناه أيضا عن شيخنا سيدي محمد كنون وهو عن أبي العباس سيدي أحمد بناني المذكور وهو عن العارف بالله سيدي عبد الوهاب بن الأحمر وهو عن قطب الأقطاب، وغوث الأفراد والأنجاب، ونخبة الأصفياء، العارف الرباني سيدنا ومولانا أبي العباس التيجاني، وهو عن سيد الوجود، وعلم الشهود، مولانا رسول الله ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم .

(تنبيه) ذكر سيدي غوث الله في جواهره رفعه إلى مولانا رسول الله ﷺ فقال روى هذا الحزب أبو الفضل الكرماني قدس الله سره وهو رواه عن طاهر بن محمد وهو عن تميم الثقفي وهو عن أمير المؤمنين سيدنا على بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو عن النبي ﷺ وهو عن جبريل عليه السلام .

(فصل) وأما كيفية كتابته لحمله فقد قال بعض الفضلاء ومن شروط كتابته الإجازة فيها من شيخ كامل ويكون الكاتب على طهارة مستقبل القبلة تحت السقف في موضع لم ير الشمس فيها ولم تلحقه ولا يتكلم مع أحد وقت الكتابة هذا شرط الكاتب والكتابة . تكون بمسك وزعفران وماء المطر وماء الورد ويحترز أن يمس القلم الدواة ولا يعور الحروف مثل الميم والحاء والعين وغيرها من الحروف ويكتب ببطن القلم ويكون القلم من شبر فإذا لزقت شعرة بالقلم لا ينزعها بل يتركه ويعمل غيره وتندب الخلوة للكتابة فإذا أتمه يحسن طيه ويحترز على رأسه ويشمعه ويحترز من بطلانه بأن يجوز به على ماء راكد أو جار مطلقا ظاهرا كان أو خفيا قبل تشميعه ولا يجامع به حامله ولا يحمله عليه وهو جنب اللهم إلا أن يكون مفزدرا مجلد .

والاحـتراز عـلى كل حال أولى والمحافظة عليه من الأماكن الرديئة مثل الخلا والحمام وغيرهمـا مـن مسـتحباته، ومـنها أن لا يخلـط الكاتـب حـروف الكـلمة بالأخـرى أو يلاقـي الحـروف المـتفرقة ببعضـها، ومـنها إذا غرز أن يتحري ثقب الحرز بالإبرة أو عيرها ويحافظ على ما ذكرناه كل المحافظة لمن أراد أن يحظى بخواصه وينتفع بكراماته أهـ .

وقـال العـارف باللـه سـيدي عبد الرحمن الشامي ينبغي أن تكون الكتابة يعنى الأمور السـرية بماء ورد ومسك وزعفران وإن زدت مع ذلك الكافور فلا بأس ثم قال واعلم أنه يجب أن يكـون الكـاغد صـافيا مـن العـيوب ليس فيه تقطيع ولا لمعة ولا أثر سواد ولا غير ذلك ثم قـال فإذا رفعت الكاغد للكتابة فتحرز في وقت العمل من السهو والسقط والتوهم والغلط واترك وساويس الشيطان بعد تصحيحك العمل ولا تلتفت لشئ مما يشغلك عما أنت فيه أهـ .

وينـبغي أن يـتحفظ في الكـتابة عـلى طمـس الحـروف واجتاب نقطها أصلا لأن بعض الصـوفية ذكـر أن نقـط الحـروف مـبطل لـلحجاب وقال العارف الشامي ﷺ ينبغي أن يبخر الحجـاب بعـد الفـراغ من الكـتابة بالطيـب وذلـك كالجاوي والمصطكى والعود الهندي والند والعنـبر الخـام وغـير ذلـك مـن أنـواع الطيـب أهـ بمعناه وهذا أوان الشروع في المقصود فنقول وبالله التوفيق، وهو الهادى بمنه إلى سواء الطريق:

الحزب السيفى

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهُمَّ أنتَ الملكُ الحقُّ المبينُ القديمُ المتعززُ بالعَظَمَةِ والكبرياءِ المُتفَرِّدُ بالبقاءِ الحيُّ القيومُ القادِرُ المُقتَدِرُ القهَّارُ الذي لا إلهَ إلا أنتَ أنتَ ربِّي وأنا عَبْدُكَ عَمِلتُ سُوءاً وظَلَمتُ نفسي واعتَرَفتُ بِذنبي فاغفِرْ لي ذُنُوبي كلَّها فإنَّهُ لا يَغفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أنتَ يا غَفُورُ يا شكُورُ يا حَليمُ يا كَريمُ يا صَبُورُ يا رَحِيمُ اللهُمَّ إني أحمدُكَ وأنتَ المحمُودُ وأنتَ للحَمدِ أهلٌ وأشكرُكَ وأنتَ المشكورُ وأنتَ للشكرِ أهلٌ على ما خصَصْتني بهِ مِنْ مواهِبِ الرَّغائِبِ وأوْصَلتَ إليَّ مِنْ فَضَائلِ الصَّنائعِ وأوليْتَني بهِ منْ إحْسانِكَ وبَوَّأتني بهِ مِنْ مَظنَّةِ الصِّدقِ عِندَكَ وأنلتَني بهِ منْ مِنَنِكَ الواصِلةِ إليَّ وأحسَنْتَ بهِ إليَّ كلِّ وقتٍ منْ دَفْعِ البَليَّةِ عَني والتَّوفيقُ لي والإجابَةُ لدُعائي حِينَ أناديكَ داعِياً وأُناجيكَ رَاغِباً وأدْعُوكَ مُتَضَرِّعاً مُصَافِياً ضَارِعاً وحِينَ أرْجُوكَ رَاجياً فأجِدُكَ كافِياً وألوذُ بِكَ في المَواطنِ كلِّها فكُنْ لي جَاراً حاضِراً حَفِيًّا بَارًّا وَلِيًّا في الأُمُورِ كلِّها نَاظِراً وعَلى الأعداءِ كلِّهِمْ نَاصِراً وللخَطايا والذُّنُوبِ كلِّها غَافِراً وللعُيُوبِ كلِّها سَاتِراً لَمْ أعدَمْ عَوْنَكَ وبِرَّكَ وخَيرَكَ وعِزَّكَ وإحْسَانَكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ مُنذُ أنزَلتَني دارَ الاختِبارِ والفِكْرِ والاعتبارِ لتنظرَ ما أقدِّمُ لدارِ الخلودِ والقرارِ والمَقَامَةِ مَعَ الأخيارِ فأنا عَبْدُكَ فاجْعَلني يا رَبِّ عَتيقَكَ يا إلهِي ومَوْلايَ خَلِّصْني مِنَ النَّارِ ومِنْ جَميعِ المَضَارِّ والمَضَالِّ والمَصَائِبِ والمَعَائِبِ والنَّوائِبِ واللَّوازِمِ والهُمُومِ الَّتي قَدْ سَاوَرَتْني فيها الغُمُومُ بمَعَارِضِ أصْنافِ البَلاءِ وضُرُوبِ جَهْدِ القَضَاءِ إلهِي لا أذكُرُ مِنكَ إلاَّ الجَميلَ ولمْ أرَ مِنكَ إلاَّ التَّفضِيلَ خَيْرُكَ لي شَامِلٌ وصُنْعُكَ لي كَامِلٌ ولُطْفُكَ لي كامِلٌ وبِرُّكَ لي غَامِرٌ وفَضْلُكَ عَليَّ دَائِمٌ مُتَواتِرٌ ونِعَمُكَ عِندِي مُتَّصِلَةٌ لمْ تُخفِرْ لي جِوَاري وأمَّنْتَ خَوْفِي وصَدَّقْتَ رَجَائي وحَقَّقْتَ آمَالِي وصَاحَبْتَني في أسْفَاري وأكرَمْتَني في احْضَاري وعَافَيْتَ أمْرَاضِي وشَفَيْتَ أوْصَابِي وأحْسَنْتَ مُنْقَلَبِي ومَثْوَايَ ولَمْ تُشْمِتْ بي أعْدَائي وحُسَّادِي ورَمَيْتَ مَنْ رَمَاني بسُوءٍ وكَفَيْتَني شَرَّ مَنْ عَادَاني فأنا أسألُكَ يا اللهُ أنْ تَدْفَعَ عَنِّي كَيْدَ الحاسِدِينَ وظُلْمَ الظَّالمِينَ وشَرَّ المُعانِدِينَ واحْمِني تَحْتَ سُرَادِقَاتِ عِزِّكَ يا أكرَمَ الأكرَمِينَ وبَاعِدْ بَيْني وبَيْنَ أعْدَائي كما باعَدْتَ بَينَ المَشرِقِ والمَغرِبِ وأخْطِفْ أبْصَارَهُمْ عَني بنُورِ قُدْسِكَ واضْرِبْ رِقَابَهُمْ بجَلالِ مَجْدِكَ واقْطَعْ أعْنَاقَهُمْ بسَطَوَاتِ قَهْرِكَ وأهْلِكْهُمْ ودَمِّرْهُمْ تَدْمِيراً كما دَفَعْتَ كَيْدَ الحُسَّادِ عَنْ أنْبِيَائِكَ وضَرَبْتَ رِقَابَ الجَبَابِرَةِ لأصْفِيَائِكَ وخَطِفْتَ أبصارَ الأعْداءِ عنْ أوْلِيَائِكَ وقَطَعْتَ أعْناقَ الأكاسِرَةِ لأتقيائِكَ وأهْلَكْتَ الفَرَاعِنَةَ ودَمَّرْتَ الدَّجاجِلَةَ لخَوَاصِّكَ المُقَرَّبِينَ وعِبَادِكَ الصَّالحِينَ يا غِيَاثَ المُستَغيثِينَ أغِثْني على جَميعِ أعْدَائِكَ فَحَمْدِي لكَ يا إلهي وَاجِبٌ وثَنَائي عَلَيْكَ مُتَوَاتِرٌ دَائِباً مِنَ الدَّهْرِ إلى الدَّهْرِ بألوَانِ التَّسَابيحِ

والتَّقْدِيس وصُنُوفِ اللُّغَاتِ وأصْنافِ التَّنْزِيهِ خالِصاً لِذِكْرِكَ ومَرْضِيًا لكَ بناصِعِ التَّحْميدِ والتَّمْجيدِ وخالِصِ التَّوْحيدِ وإخْلاصِ التَّقرُّبِ والتَّقْريبِ والتَّفْريدِ وامْحاض التَّمْجيدِ بطُولِ التَّعَبُّدِ والتَّعْديدِ لَمْ تُعْنَ في قُدْرَتِكَ ولَمْ تُشارَكْ في أُلُوهِيَّتِكَ ولَمْ تُعْلَمْ لَكَ مَاهِيَة فَتكونَ لِلأَشْياءِ المُخْتلفَةِ مُجَانِساً ولَمْ تعاينْ إذْ حُبِسَتِ الأشْياءِ على العَزَائِمِ المُخْتلفاتِ ولا خَرَقَتِ الأوْهامُ حُجُبَ الغُيُوبِ إليْكَ فاعتقِد مِنْكَ مَحْدُوداً في مَجْدِ عَظَمتِكَ لا يَبْلُغُكَ بُعْدُ الهِمَمِ ولا يَنالُكَ غَوْصُ الفِطَنْ ولا يَنْتهي إليْكَ بَصَرُ ناظِرٍ في مَجْدِ جَبرُوتِكَ ارْتَفَعتْ عنْ صِفاتِ المَخْلُوقِينَ صِفاتِ قُدْرَتِكَ وعَلا عَنْ ذِكْرِ الذَّاكِرِينَ كِبْرياءَ عَظَمَتِكَ فَلا يَنْتقِصُ مَا أَرَدْتَ أن يَزْدادَ ولاَ يَزْدادُ مَا أَرَدْتَ أَنْ يَنْتَقِصَ لا أَحَدٌ شَهِدَكَ حِينَ فَطَرْتَ الخَلْقَ ولا نِدٌ ولا ضِدٌ حضَرَكَ حِينَ بدَأتَ النُّفُوسُ كلتِ الألْسُن عنْ تفْسِيرِ صِفاتِكَ وانْحَسَرَتِ العُقُولُ عَنْ كُنْهِ مَعْرفتكَ وَصِفتِكَ وكَيفَ يُوصَفُ كُنْهُ صِفتِكَ يا رَبِّ وَأنْتَ اللهُ المَلِكُ الجَبَّارُ القُدُّوسُ الأزَلِي الذِي لَمْ يَزَلْ ولاَ يَزَالُ أزَليًا بَاقياً أبَدياً سَرْمَدياً في الغُيُوبِ وَحْدكَ لا شَرِيكَ لكَ لَيْسَ فيها غَيْرُكَ ولَمْ يكُن إلهٌ سِوَاكَ حارَتْ في بحارِ بهاءِ ملَكُوتِ عَميقَا تِكَ مذاهِبِ التَّفكُّرِ وتَوَاضَعَتَ الملوكِ لِهَيْبَتِكَ وعَلَتِ الْوُجُوهُ بِذِلَّةِ الاسْتِكانَةِ لعِزَّتِكَ وانْقَادَ كلُّ شَيْءٍ لعَظَمَتِكَ وَاسْتَسْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِكَ وخَضَعَتْ لَكَ الرِّقابُ وكَلُّ دُونَ ذلكَ تَحْبيرُ اللُّغَاتِ وضَلَّ هُنالِكَ التَّدْبيرُ في تَصارِيفِ الصِّفاتِ فَمَنْ تَفَكَّرَ في إنْشَائِكَ البديعِ وَثَنائكَ الرَّفيعِ وتَمعَّنَ في ذَلكَ رَجَعَ طَرْفُهُ إليْهِ خاسِئاً حَسِيراً وعَقْلُهُ مَبْهُوتاً وتفَكُّرُه مُتَحَيِّراً أسِيراً اللهُمَّ لكَ الحَمْدُ حَمْداً كثيراً مُتَوَالياً مُتَوَاتِراً مُتَضاعِفاً مُتَّسِعاً مُتَّسِقاً يَدُومُ وبتَضَاعَفُ ولا يَبيدُ غَيْرَ مَفْقُودٍ في المَلَكُوتِ ولا مَطْمُوسٌ في المَعالمِ ولا مُنْتَقَصٍ في العِرْفانِ فَلكَ الحَمْدُ عَلى مَكارِمِكَ التي لا تُحْصَى ونعْمَتِكَ التي لا تُسْتَقْصَى فى اللَّيْلِ إذَا أدْبَرَ والصُّبْحِ إذا أسْفَرَ وفى البَرِّ والبحَارِ والغُدُوِّ والآصَالِ والعَشِيِّ والإبكارِ والظَّهيرَةِ والأسْحَارِ وفي كلِّ جُزْءٍ مِنْ أجْزَاءِ اللَّيْلِ والنَّهارِ اللهُمَّ لكَ الحَمْدُ بتَوْفيقِكَ قَدْ أحْضَرْتَني النَّجاةَ وجَعَلْتَني مِنْكَ في ولايَةِ العِصْمَةِ فَلَمْ أبْرَحْ في سُبُوغِ نَعْمائِكَ وَتَتابُعِ آلاَئِكَ مَحْرُوساً بكَ في الرَّدِّ والامْتِناعِ ومحفُوظاً بكَ في المَنْعَةِ والدِّفاعِ عَنِّى اللهمَّ إنِّي أحْمدُكَ إذْ لَمْ تُكَلِّفْني فَوْقَ طَاقَتي وَلَمْ تَرْضَ مني إلاَّ طاعَتي وَرَضيتَ مِني مِنْ طَاعَتِكَ دُونَ اسْتطاعتي وأقَلَّ منْ وُسْعِي ومَقْدِرَتي فَإنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لا إلهَ إلاَّ أنْتَ لَمْ تَغِبْ وَلاَ تغيبُ عَنْكَ غَائِبَةٌ ولاَ تخفى عَلَيْكَ خَافِيَةٌ ولَنْ تَضِلَّ عَنْكَ في ظُلَمِ الخَفِيَّاتِ ضَالَّةٌ إنَّما أمرُكَ إذا أرَدْتَ شَيْئاً أنْ تَقُولَ لَهُ كُنْ فَيكونُ اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ مثْلَ ما حَمِدْتَ بِهِ نفْسَكَ وأضْعَافَ ما حَمِدَكَ بِهِ الحامِدُونَ وسَبَّحَكَ بِهِ المُسَبِّحُونَ وَمَجَّدَكَ بِهِ المُمَجِّدُونَ وكَبَّرَكَ بِهِ المُكَبِّرُونَ وهَلَّلتْ بِهِ المُهَلِّلُونَ وقَدَّسَكَ بِهِ المُقَدِّسُونَ وَوَحَّدَكَ بِهِ المُوَحِّدُونَ وَعَظَّمَكَ بِهِ المُعَظِّمونَ وَاسْتَغْفَرَكَ بِهِ المُسْتَغْفِرُونَ حتَّى يكُونَ مِنِّى وَحْدِي في كلِّ طَرْفَةِ عَينٍ وأقَلَّ مِنْ ذلِكَ مِثْلُ حَمْدِ جميعِ الحامِدِينَ وتَوْحيدِ أصْنافِ

المُوَحِّدِينَ والمُخْلِصِينَ وتَقْدِيسُ أَجْنَاسِ العارفِينَ وثَنَاءِ جميعِ المُهَلِّلِينَ والمُصَلِّينَ والمُسَبِّحِينَ وَمِثْلُ مَا أَنْتَ بِهِ عَالِمٌ وأَنْتَ مَحْمُودٌ وَمَحْبُوبٌ وَمَحْجُوبٌ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ وَمِنَ الحَيَوَانَاتِ والبَرَايَا والأَنَامِ إِلهِي أَسْأَلُكَ بِمَسَائِلِكَ وأَرْغَبُ بِكَ إِلَيْكَ فِي بَرَكَةِ مَا أَنْطَقْتَنِي بِهِ مِنْ حَمْدِكَ وَوَفَّقْتَنِي لَهُ مِنْ شُكْرِكَ وتَمْجِيدِي لَكَ فَمَا أَيْسَرَ مَا كَلَّفْتَنِي بِهِ مِنْ حَقِّكَ وأَعْظَمَ مَا وَعَدْتَنِي بِهِ مِنْ نَعْمَائِكَ وَمَزِيدِ الخَيْرِ عَلَى شُكْرِكَ ابْتَدَأْتَنِي بِالنِّعَمِ فَضْلاً وطَوْلاً وَأَمَرْتَنِي بِالشُّكْرِ حَقّاً وعَدْلاً ابْتَدَأْتَنِي بِالنِّعَمِ فَضْلاً وطَوْلاً وَأَمَرْتَنِي بِالشُّكْرِ حَقّاً وعَدْلاً وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ أَضْعَافاً ومَزِيداً وأَعْطَيْتَنِي مِنْ رِزْقِكَ رِزْقاً واسِعاً كَثِيراً اخْتِياراً وَرِضىً وَسَأَلْتَنِي عَنْهُ شُكْراً يَسِيراً لَكَ الحَمْدُ اللَّهُمَّ عَلَيَّ إِذْ نَجَّيْتَنِي وعَافَيْتَنِي بِرَحْمَتِكَ مِنْ جَهْدِ البَلاءِ وَدَرْكِ الشَّقاءِ ولَمْ تُسَلِّمْنِي لِسُوءِ قَضَائِكَ وبَلائِكَ وجَعَلْتَ مَلْبَسِي العَافِيَةَ وَأَوْلَيْتَنِي البَسْطَةَ والرَّخَاءَ وشَرَعْتَ لِي أَيْسَرَ القَصْدِ وضَاعَفْتَ لِي أَشْرَفَ الفَضْلِ مَعَ مَا عَبَّدْتَنِي بِهِ المَحَجَّةِ الشَّرِيفَةِ وَبَشَّرْتَنِي بِهِ مِنَ الدَّرَجَةِ العَالِيَةِ الرَّفِيعَةِ وَاصْطَفَيْتَنِي بِأَعْظَمِ النَّبِيِّينَ دَعْوَةً وَأَفْضَلِهِمْ شَفَاعَةً وَأَرْفَعِهِم دَرَجَةً وأَقْرَبِهِمْ مَنْزِلَةً وَأَوْضَحِهِمْ حُجَّةً سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ والمُرْسَلِينَ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَاغْفِرْ لِي مَا لا يَسَعُهُ إِلاَّ مَغْفِرَتُكَ وَلا يَمْحَقُهُ إِلاَّ عَفْوُكَ وَلا يُكَفِّرُهُ إِلاَّ تَجَاوُزُكَ وفَضْلُكَ وَهَبْ لِي فِي يَوْمِي هَذَا ولَيْلَتِي هَذِهِ وَسَاعَتِي هَذِهِ وشَهْرِي هَذَا وسَنَتِي هَذِهِ يَقِيناً صَادِقاً يُهَوِّنُ عَلَيَّ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وأَحْزَانَهما ويُشَوِّقُنِي إِلَيْكَ وَيُرَغِّبُنِي فِيمَا عِنْدَكَ واكْتُبْ لِي عِنْدَكَ المَغْفِرَةَ وبَلِّغْنِي الكَرَامَةَ مِنْ عِنْدِكَ وأَوْزِعْنِي شُكْرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ فَإِنَّكَ أَنْتَ اللهُ الذِي لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ الوَاحِدُ الأَحَدُ الرَّفِيعُ البَدِيعُ المُبْدِئُ المُعِيدُ السَّمِيعُ العَلِيمُ الَّذِي لَيْسَ لأَمْرِكَ مَدْفَعٌ ولا عَنْ قَضَائِكَ مُمْتَنِعٌ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَبِّي وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ العَلِيُّ الكَبِيرُ المُتَعَالُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ والشُّكْرَ عَلَى نِعَمِكَ وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ كُلِّ مَا تَعْلَمُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ مَا تَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ مَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ وَأَسْأَلُكَ أَمْناً وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ جَوْرِ كُلِّ جَائِرٍ وَمَكْرِ كُلِّ مَاكِرٍ وَظُلْمِ كُلِّ ظَالِمٍ وَسِحْرِ كُلِّ سَاحِرٍ وبَغْيِ كُلِّ بَاغٍ وَحَسَدِ كُلِّ حَاسِدٍ وَغَدْرِ كُلِّ غَادِرٍ وَكَيْدِ كُلِّ كَائِدٍ وَعَدَاوَةِ كُلِّ عَدُوٍّ وَطَعْنِ كُلِّ طَاعِنٍ وَقَدْحِ كُلِّ قَادِحٍ وَحِيَلِ كُلِّ مُتَحَيِّلٍ وَشَمَاتَةِ كُلِّ شَامِتٍ وَكَشْحِ كُلِّ كَاشِحٍ اللَّهُمَّ بِكَ أَصُولُ عَلَى الأَعْدَاءِ والقُرَنَاءِ وَإِيَّاكَ أَرْجُو وِلايَةَ الأَحِبَّاءِ وَالأَوْلِيَاءِ والقُرَبَاءِ فَلَكَ الحَمْدُ عَلَى مَا لا أَسْتَطِيعُ إِحْصَاءَهُ وَلا تَعْدِيدَهُ مِنْ عَوَائِدِ فَضْلِكَ وَعَوَارِفِ رِزْقِكَ وَأَلْوَانِ مَا أَوْلَيْتَنِي بِهِ مِنْ إِرْفَادِكَ وَكَرَمِكَ فَإِنَّكَ أَنْتَ اللهُ الذِي لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ الفَاشِي فِي الخَلْقِ حَمْدُكَ البَاسِطُ بِالجُودِ يَدَكَ لاَ تُضَادُّ فِي حُكْمِكَ وَلا تُنَازَعُ فِي أَمْرِكَ وسُلْطَانِكَ وَمُلْكِكَ وَلاَ تُشَارَكُ فِي رُبُوبِيَّتِكَ وَلاَ تُزَاحَمُ فِي خَلْقِكَ تَمْلِكُ

مِنَ الأنامِ مَا تَشَاءُ وَلاَ يَمْلِكُونَ مِنْكَ إلاَّ مَا تُرِيدُ اللَّهُمَ أَنْتَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ القَادِرُ المُقْتَدِرُ القَاهِرُ المُقَدَّسُ بِالمَجْدِ فِي نُورِ القُدْسِ تَرَدَّيْتَ بِالمَجْدِ والبَهَاءِ وتَنَظَّمْتَ بِالعِزَّةِ والعلاءِ وتَأَزَّرْتَ بِالعَظَمَةِ والكِبرياءِ وتَغَشَّيْتَ بِالنُّورِ والضِّياءِ وتَجَلَّلْتَ بِالمَهَابَةِ وَالبَهاءِ لكَ المَنُّ القَدِيمُ والسُّلْطانُ الشَّامِخُ والمُلْكُ البَاذِخُ وَالجُودُ الوَاسِعُ والقُدْرَةُ الكامِلَةُ وَالحِكْمَةُ البَالِغَةُ والعِزَّةُ الشَّامِلَةُ فَلَكَ الحَمْدُ على مَا جَعَلْتَنِي مِنْ أُمَّةِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ وعلى آلِهِ وهُوَ أَفْضَلُ بَني آدَمَ عليه السلام الَّذِينَ كَرَّمْتَهُمْ وَحَمَلْتَهُمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ وَرَزَقْتَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْتَهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ تَفْضِيلاً وَخَلَقْتَنِي سَمِيعاً بَصِيراً صَحِيحاً سَوِيّاً سَالِماً مُعَافاً وَلَمْ تَشْغَلْنِي بِنُقْصَانٍ فِي بَدَنِي عَنْ طَاعَتِكَ وَلا بِآفَةٍ فِي جَوَارِحِي ولا عَاهَةٍ فِي نَفْسِي وَلَا فِي عَقْلِي ولاَ تَمْنَعُنِي كَرَامَتَكَ إِيَّايَ وَحُسْنَ صَنِيعِكَ عِنْدِي وَنَعْمائِكَ عَلَيَّ أَنْتَ الَّذِي أَوْسَعْتَ عَلَيَّ فِي الدُّنْيَا رِزْقاً وَفَضَّلْتَنِي عَلى كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِها تَفْضِيلاً فَجَعَلْتَ لِي سَمْعاً يَسْمَعُ آيَاتِكَ وَعَقْلاً يَفْهَمُ إيمانَكَ وَبَصَراً يَرَى قُدْرَتَكَ وَفُؤَاداً يَعْرِفُ عَظَمَتَكَ وَقَلْباً يَعْتَقِدُ تَوْحِيدَكَ فَإِنِّي لِفَضْلِكَ عَلَيَّ شَاهِدٌ حَامِدٌ شَاكِرٌ وَلكَ نَفْسِي شَاكِرَةٌ وبِحَقِّكَ عَلَيَّ شَاهِدَةٌ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حَيٌّ قَبْلَ كُلِّ حَيٍّ وَحَيٌّ بَعْدَ كُلِّ حَيٍّ وَحيٌّ بَعْدَ كلِّ مَيِّتٍ وَحيٌّ لَمْ تَرِثِ الحَيَاةَ مِنْ حَيٍّ وَلَمْ تَقْطَعْ خَيْرَكَ عَنِّي فِي كُلِّ وَقْتٍ وَلَمْ تَقْطَعْ رَجائِي وَلَمْ تُنْزِلْ بِي عُقُوبَاتِ النِّقَمِ وَلَمْ تُغَيِّرْ عَلَيَّ وَثَائِقَ النِّعَمِ وَلَمْ تَمْنَعْ عَنِّي دَقَائِقَ العِصَمِ فَلَوْ لَمْ أَذْكُرْ مِنْ إِحْسَانِكَ وإِنْعَامِكَ عَلَيَّ إِلاَّ عَفْوَكَ عَنِّي وَالتَّوْفِيقَ لِي وَالاسْتِجَابَةَ لِدُعَائِي حِينَ رَفَعْتُ صَوْتِي بِدُعائِكَ وَتَحْمِيدِكَ وَتَوحِيدِكَ وَتَمْجِيدِكَ وَتَهْلِيلِكَ وَتَكْبِيرِكَ وَتَعْظِيمِكَ وَإِلاَّ فِي تَقْدِيرِكَ خَلْقِي حِينَ صَوَّرْتَنِي فَأَحْسَنْتَ صُورَتِي وَإِلاَّ فِي قِسْمَةِ الأَرْزَاقِ حِينَ قَدَّرْتَها لِي لَكَانَ فِي ذَلِكَ مَا يَشْغَلُ فِكْرِي عَنْ جَهْدِي فَكَيْفَ إِذَا فَكَّرْتُ فِي النِّعَمِ العِظَامِ الَّتِي أَتَقَلَّبُ فِيهَا وَلاَ أَبْلُغُ شُكْرَ شَيْءٍ مِنْهَا فَلَكَ الحَمْدُ عَدَدَ مَا حَفِظَهُ عِلْمُكَ وَجَرَى بِهِ قَلَمُكَ وَنَفَذَ بِهِ حُكْمُكَ فِي خَلْقِكَ وَعَدَدَ مَا وَسِعَتْهُ رَحْمَتُكَ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ وَعَدَدَ مَا أَحاطَتْ بِهِ قُدْرَتُكَ وَأَضْعَافَ مَا تَسْتَوْجِبُهُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي مُقِرٌّ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ فَتَمِّمْ إِحْسَانَكَ إِلَيَّ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِي كَمَا أَحْسَنْتَ إِلَيَّ فِيمَا مَضَى مِنْهُ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِتَوْحِيدِكَ وَتَمْجِيدِكَ وَتَحْمِيدِكَ وَتَهْلِيلِكَ وَتَكْبِيرِكَ وَتَسْبِيحِكَ وَكَمَالِكَ وَتَدْبِيرِكَ وَتَعْظِيمِكَ وَتَقْدِيسِكَ وَنُورِكَ وَرَأْفَتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَعِلْمِكَ وَحِلْمِكَ وَعُلُوِّكَ وَوَقَارِكَ وَفَضْلِكَ وَجَلاَلِكَ وَمَنِّكَ وَكَمَالِكَ وَكِبْرِيَائِكَ وَسُلْطَانِكَ وَقُدْرَتِكَ وَإِحْسَانِكَ وَامْتِنَانِكَ وَجَمَالِكَ وَبَهَائِكَ وَبُرْهَانِكَ وَغُفْرَانِكَ وَنَبِيِّكَ وَوَلِيِّكَ وَعِتْرَتِهِ الطَاهِرِينَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى سَائِرِ إِخْوَانِهِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ وَأَنْ لا تَحْرِمَنِي رِفْدَكَ وَفَضْلَكَ وَجَمَالِكَ وَجَلاَلِكَ وَفَوَائِدِ كَرَامَاتِكَ فَإِنَّهُ لاَ تَعْتَرِيكَ لِكَثْرَةِ مَا قَدْ نَشَرْتَ مِنَ العَطَايَا عَوَائِقُ البُخْلِ وَلاَ يَنْقُصُ جُودَكَ التَقْصِيرُ فِي شُكْرِ نِعْمَتِكَ وَلا تُنْفِدُ خَزَائِنَكَ مَوَاهِبُكَ المُتَّسِعَةُ وَلاَ تُؤَثِّرُ فِي جُودِكَ العَظِيمِ

مِنَحُكَ الفَائِقَةُ الجَلِيلَةُ الجَمِيلَةُ الأَصِيلَةُ ولاَ تَخَافُ ضَيْمَ إِمْلاَقٍ فَتُكْدِي وَلاَ يَلْحقُكَ خَوْفُ عَدَمٍ فَيَنْقُصَ مِنْ جُودِكَ فَيْضُ فَضْلِكَ إِنَّكَ عَلى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ وَبالإِجابَةِ جَديرٌ اللَّهُمَّ ارْزُقْني قَلْباً خاشِعاً خاضِعاً ضَارِعاً وَعيْناً بَاكِيَةً وبَدَناً صَحِيحاً صَابِراً ويَقِيناً صَادِقاً بالحَقِّ صَادِعاً وتَوْبَةً نَصُوحاً وَلِسَاناً ذاكِراً حَامِداً وَإيمَاناً صَحِيحاً وَرِزْقاً حَلالاً طَيِّباً وَاسِعاً وَعِلْماً نَافِعاً وَولداً صَالحاً وَصَاحِباً مُوافِقاً وَسِنّاً طَوِيلاً فِي الخَيرِ مُشْتَغِلاً بِالْعِبَادَةِ الخَالِصَةِ وَخُلُقاً حَسَناً وَعملاً صَالحا مُتَقَبّلاً وَتَوْبَةً مَقْبُولَةً وَدَرَجَةً رَفِيعَةً وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً طائِعَةً اللَّهُمَّ لا تنسني ذكرك وَلا تُوَلِّني غَيْرَكَ ولاَ تُؤَمِّنّي مَكْرَكَ وَلاَ تَكْشِفْ عَنيّ سَتْرَكَ وَلاَ تُقَنِّطْني مِنْ رَحمتِكَ وَلاَ تُبَعِّدْني مِنْ كَنَفِكَ وَجِوَارِكَ وَأَعِذْني مِنْ سَخَطِكَ وَغَضَبِكَ وَلاَ تُؤَيِّسْني مِنْ رَحْمَتِكَ وَكُنْ لِي أَنِيساً مِنْ كلِّ رَوْعَةٍ وَخوفٍ وَخَشْيَةٍ وَوَحْشَةٍ وَغُرْبَةٍ وَاعْصِمْني مِنْ كلِّ هَلَكَةٍ وَنَجِّني مِنْ كلِّ بَلِيَّةٍ وَآفَةٍ وَعَاهَةٍ وَغُصَّةٍ وَمِحْنَةٍ وَزَلْزَلَةٍ وَشِدَّةٍ وَإِهَانَةٍ وَذِلَّةٍ وَغَلَبَةٍ وَقِلَّةٍ وَجُوعٍ وَعَطَشٍ وَفَقْرٍ وَفَاقَةٍ وضيقٍ وَفِتْنَةٍ وَوباءٍ وَبَلاَءٍ وَغَرَقٍ وَحَرَقٍ وَبَرَقٍ وَسَرَقٍ وَحَرٍّ وَبَرْدٍ وَنَهْبٍ وَغَيٍّ وَضَلاَلٍ وَضَالَّةٍ وَهَامَّةٍ وَزَلَلٍ وَخَطَايا وَهَمٍّ وَغَمٍّ وَمَسْخٍ وَخَسْفٍ وَقَذْفٍ وَخَلَّةٍ وَعِلَّةٍ وَمَرَضٍ وَجُنُونٍ وَجُذَامٍ وَبَرَصٍ وَنَقْصٍ وَهَلَكَةٍ وَفَضِيحَةٍ وَقَبِيحَةٍ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيعَادَ اللَّهُمَّ ارْفَعْني وَلاَ تَدْفَعْني وادْفَعْ عَنيّ وَلاَ تَدْفَعْني وَاعْطِني وَلاَ تحْرِمْني وَزِدْني وَلاَ تَنْقُصْني وَارْحَمْني وَلاَ تُعذِّبْني وَفَرِّجْ هَمّي وَاكْشِفْ غَمّتي وَاهْلِكْ عَدُوِّي ولاَ تَخْذُلني وَأَكْرِمْني وَلاَ تُهنيّ وَاسْتُرْني وَلاَ تَفْضحْني وَآثِرْني وَلاَ تُؤثِرْ عَليّ وَاحْفَظْني وَلاَ تُضَيِّعْني فإِنَّكَ عَلى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يا أَقْدَرَ القَادِرِينَ وَيا أَسْرَعَ الحَاسِبِينَ وَصَلىّ اللهُ عَلى سَيِّدنا مُحمدٍ وَآلِهِ وَسلَّمْ أَجْمَعِينَ يَا ذا الجلال والإكرام اللَّهُمَّ أَنْتَ أَمَرْتَنا بدُعَائِكَ وَوَعَدْتَنا بإجَابَتِكَ وَقَدْ دَعَوْنَاكَ كما أَمَرْتَنا فأجَبْنا كما وَعَدْتَنا يَاذا الجَلال والإِكْرَام إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيعادِ اللَّهُمَّ مَا قَدَّرْتَ لِي مِنْ خَيرٍ وَشَرَعْتُ فيهِ بِتَوْفِيقِكَ وَتَيْسِيرِكَ فَتَمِّمه لِي بأَحْسَنِ الوُجُوهِ كلِّهَا وَأَصْوَبِهَا وَأَصْفَاهَا فَإِنَّكَ على كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبالإجَابَةِ جَدِيرٌ نِعْمَ المَوْلى وَنِعْمَ النَّصِيرُ وَمَا قَدَّرْتَ لِي مِنْ شَيْءٍ وَتحذَّرْني مِنْهُ فَاصْرِفْهُ عَنيّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا مَنْ قَامَتِ السَّمواتِ وَالأَرْضُونَ بِأمْرِهِ يَا مَنْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَا مَنْ أَمْرُهُ إِذا أَرَادَ شَيْئاً أن يَقُولَ لَهُمْ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبحَانَ الذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كلُّ شَيْءٍ وَإِلَيهِ تُرْجَعُون سُبْحَانَ اللهِ القَادِرِ القَاهِرِ القَوِيِّ العَزِيزِ الجَبَّارِ الحَيِّ القَيُّومِ بِلاَ مُعِينٍ وَلاَ ظَهِيرٍ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ اللَّهُمَّ هَذا الدُّعَاءِ وَمِنْكَ الإِجَابَةُ وَهَذا الجَهْدُ مِنّي وَعَلَيكَ التّكْلاَنُ ولاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ العَليِّ العَظيمِ وَالحَمْدُ للهِ أَوَّلاً وَآخراً وَظَاهِراً وَبَاطِناً وَصلى اللهُ عَلى سَيِّدنا محمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبينَ الطاهرينَ وَسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً دَائِماً أَثيراً أَبَداً إِلى يَوْمِ الدِّينِ وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ وَالحمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكلام عن البسملة بحر زاخر، خاض في لجحه الأوائل والأواخر فلم يصلوا إلى غايته، ولا بلغوا إلى نهايته، ولكن ما لا يمكن كله لا يترك بعضه أو جله وقد نص العلماء على أنه ينبغي لكل شارع في فن أن يتكلم عليها بحسب ما يتعلق بها في ذلك الفن لئلا يعد قاصرا .

ونحن بحول الله نتكلم على هذا الحزب وهو من أجل الأذكار وهو مفتتح بها فنتكلم على ما ورد في فضلها وفضل ذكرها فنقول: لما كانت البسملة مفتاح أشرف الكتب السماوية . ومصباح بصائر أهل المعارف الربانية . وهى مشتملة على علوم الأولين والآخرين لأنها قد جمعت معاني الفاتحة الجامعة لمعاني القرآن الجامع لمعاني الكتب الإلهية كان الابتداء بها سببا للسعادة والموت على الشهادة كما أخبر به رسول الله ﷺ بقوله {من أراد أن يحي سعيدا أو يموت شهيدا فليقل عند ابتداء كل شئ بسم الله}

وفي الخطاب عن أبي بكر التونسي أنه قال أجمع مشايخ كل ملة أن الله افتتح كل كتاب ببسم الله الرحمن الرحيم . وروى عن النبي ﷺ أنه قال {أول ما كتب القلم بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا كتبتم كتابا فاكتبوها أوله وهي مفتاح كل كتاب أنزل ولما نزل على بها جبريل أعادها ثلاثا وقال هي لك ولأمتك فمرهم أن لا يدعوها في شئ من أمورهم فإني لم أدعها طرفة عين منذ نزلت على أبيك آدم عليه السلام ، وكذلك الملائكة .

وقال بعض أهل المعرفة البسملة كلمة قدسية من كنز الهداية وخلعة ربوبية من خلع الولاية ووصلة قريبة لأهل العناية ورحمة خاصة لأهل الجناية .

وأخرج الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال كان جبريل إذا جاءنى بالوحي أول ما يلقى على بسم الله الرحمن الرحيم .

وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي وأبو ذر الهروي والخطيب البغدادي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عثمان بن عفان سأل النبي ﷺ عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال {هو اسم من أسماء الله تعالى وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العين وبياضها من القرب} .

وقال ﷺ {ولما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم فرح أهل السموات من الملائكة واهتز العرش لنزولها ونزل معها ألف ملك وزادت الملائكة إيمانا وخرت الجن على وجوههم وتحركت الأفلاك وذلت لعظمتها } .

وروى في حديث مرفوع نقله العراقي فقال قال ﷺ {من قال بسم الله الرحمن الرحيم في مبدأ أقواله دخل الجنة ومن قرأ بسم الله الرحمن الرحيم دخل الجنة }

وروى عمرو بن شرحبيل أن جبريل عليه السلام أول ما جاء به النبي ﷺ قال له {قل بسم الله الرحمن الرحيم وقال ﷺ لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم } .

وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم من المشرق إلى المغرب وسكنت الريح وأهيج البحر وأصغت البهائم بآذانها ورجمت الشياطين من السماء وأقسم رب العزة جل وعلا أن لا يمسي باسمه على شئ إلا بورك فيه . وفي رواية إلا كان ذلك الشئ شفاء .

ومن سنة النبي ﷺ أنه كان يصدر بها كتبه والحديث المشهور الذي أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبر هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال {كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع } أي كل أمر شريف لم يقل في ابتدائه بسم الله الرحمن الرحيم أو ما يفيد معناه فذلك الأمر ناقص البركة قليل الفائدة وفي رواية فهو أجذم وكلها متقاربة وهو من التشبيه البليغ والعيب المنفر لأن تقدير الكلام فهو كالأبتر أو كالأجذم أو كالأقطع والمعنى ناقص البركة . قال النووي في شرح مسلم: معناه لا بركة فيه وقيل معناه لا كمال فيه أهـ

وأما فضل ذكرها فقد أخرج أبو نعيم وابن السني عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سبحت الجبال حتى سمعها أهل مكة ومن بها فقالوا سحر محمد الجبال فبعث الله دخانا حتى أظل على أهل مكة فقال رسول الله ﷺ { من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم موقنا سبحت معه الجبال إلا أنه لا يسمع منها وفي رواية الجبال والأحجار ولكن لا يسمع الناس تسبيحهما } .

وأخرج ابن السني والديلمي عن على كرم الله وجهه مرفوعا إذا وقعت في ورطة فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإن الله تعالى يصرف بها ما يشاء من أنواع البلايا .

وفي الدر المنثور عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ {من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم صرف الله عنه سبعين بابا من أنواع البلايا والهم والغم واللمم} .

وأخرج وكيع والثعلبي عن ابن مسعود ﷺ قال من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ليجعل الله لَه بكل حرف منها جنة أي وقاية من كل واحد .

وفي الدر المنثور أخرج الديلمي عن ابن مسعود ﷺ قال قال رسول الله ﷺ {من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله لَه بكل حرف أربعة آلاف حسنة ومحا عنه أربعة آلاف سيئة ورفع لَه أربعة آلاف درجة} وفي رواية قال ﷺ {إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله لَه عبادة سبعمائة سنة} .

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال لو كانت الأشجار أقلاما والبحار مدادا واجتمعت الجن والإنس والملائكة كتابا وكتبوا معنى بسم الله الرحمن الرحيم ألفي ألف سنة لما قدروا على كتابة عشر عشره . وروى عن النبي ﷺ أنه قال {إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قالت الجنة لبيك وسعديك اللهم إن عبدك فلانا قال بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أخرجه من النار وأدخله جنتك } .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال {إن في الجنة جبلا يقال لَه جبل الرحمة وعليه قصر يقال لَه قصر الإسلام وفي القصر بيت يقال لَه بيت الجلال والقصر اثنا عشر ألف مصراع من أسكفة الباب إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام لا تفتح تلك الأبواب إلا لقائل بسم الله الرحمن الرحيم } .

وحكي أن عيسى ﷺ مر على قبر فرأى ملائكة العذاب يعذبون ميتا فلما عاد من سياحته مر على ذلك القبر فوجد العذاب قد رفع عن صاحبه فصلى ودعا الله تعالى فأوحى الله تعالى إليه يا عيسى كان هذا العبد عاصيا وقد مات محبوسا في عذابي وقد ترك امرأة حبلى فولدت ولدا وربته حتى كبر فسلمته إلى المعلم فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت من عبدي أن أعذبه في بطن الأرض وولده يذكر اسمي على ظهرها . وروى أنها أنزلت على عيسى ﷺ في المهد فكان لا يذكر شئ أكثر منها إلى أن أوحى لَه يا ابن مريم الزم ذكرها ليلك ونهارك وإقبالك وإدبارك وجميع حركاتك و سكناتك فإنه من جاء يوم القيامة وفي صحيفته ثمانمائة بسم الله الرحمن الرحيم وهو موقن بربوبيتي بسطت عليه رحمتي وأفسح لَه قبره مد بصره وأملأه عليه بالنور والرحمة حتى يبعث منه ووجهه يتلألأ بالنور فأحاسبه حسابا يسيرا وأثقل لَه ميزانه وأعطيه النور التام على الصراط حتى يدخل

الجنة وآمر منادياً ينادي عليه في عرصات القيامة بالسعادة المغفرة فقال عيسى يا رب هذا لي خاصة قال هو لك ولمن أخذ بأخذك إلى يوم القيامة .

وأخرج الطبراني عن سلمان ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ {لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله ﷻ لفلان ابن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية } . وأخرج الطبراني وابن مردويه وعبد الرزاق وابن المنذر والشيرازي والخطيب عن سلمان وأبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال {يا أبا هريرة إذا توضأت فقل بسم الله الرحمن الرحيم فإن حفظتك لا تستريح أن تكتب لك الحسنات حتى تفرغ وإذا غشيت أهلك فقل بسم الله فإن حفظتك يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فإن حصل لك من تلك المواقعة ولد كتب لك الحسنات بعدد أنفاس ذلك الولد وبعدد أعقابه إن كان له عقب حتى لا يبقى منهم أحد } .

وذكر صاحب خزينة الأسرار الكبرى أن من ذكرها كثيراً في أي حاجة كانت خصوصاً في جلب الأرزاق رزقه الله تعالى اليسر من حيث لا يحتسب ورزقه الهيبة في قلوب الناس وعند العالم العلوي والسفلي ومن خواصها أن من قرأها في وجه ظالم أو حاكم جائر خمسين مرة ذل له وخشع ودخل الرعب في قلبه وألقى على القارئ هيبة وأمن من شرورهم .

وقال ﷺ {من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فلم يعورها كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة } وقال ﷺ {من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجودها تعظيماً لله تعالى غفر له ومن رفع قرطاساً من الأرض فيه بسم الله الرحمن الرحيم إجلالاً لله تعالى أن يداس اسمه كتب عند الله من الصديقين } .

وفي الدر المنثور أخرج الثعلبي عن طلحة بن عبيد الله قال: قال رسول الله ﷺ {من ترك بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك آية من كتاب الله } . وكتب قيصر ملك الروم إلى عمر ابن الخطاب ﷺ أن بي صداعاً لا يسكن فابعث لي دواء إن كان عندك فإن الأطباء عجزوا عن المعالجة فبعث له عمر ﷺ قلنسوة فكان إذا وضعها على رأسه سكن صداعه وإذا رفعها عن رأسه عاد صداعه فتعجب منه ففتش القلنسوة فإذا فيها كاغد مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم؛ فقال: ما أكرم هذا الدين وأعزه حيث شفاني الله ﷻ بآية واحدة فأسلم وحسن إسلامه ذكره الشنواني في حاشيته على مختصر ابن أبي جمرة وذكره في أول روح البيان .

وذكر جلال الدين السيوطي في حسن المحاضرة روى أن عمر بن الخطاب ﷺ لما

بعث عمرو بن العاص أميرا إلى مصر وجد بحر النيل لا يفيض فسأل أهل مصر عن ذلك فقالوا إن من عادة هذا الماء في كل سنة أن نلقي فيه جارية صبية بكرا بإرضاء وليها فإذا ألقيناها فاض فأبى عمرو وقال إنها عادة الجاهلية فكتب إلى عمر بن الخطاب ﷺ بذلك فكتب عمر الجواب بسم الله الرحمن الرحيم يا نيل إن كنت تجرى بغير أمر الله فلا حاجة لنا فيك وإلا فاجر بإذن الله تعالى فلما ألقى فيه كتاب عمر فاض بإذن الله تعالى فبطلت تلك العادة القبيحة إلى يومنا هذا أهـ .

وذكر سيدي عمر الفوتي في رماحه ما نصه من فاته سر بسم الله الرحمن الرحيم فلا يطمع أن يفتح عليه بشئ فإنه الباب المفتوح والسر الممنوح وفضائلها جمة يعرفها كل الأمة أهـ .

قلت: ولأجل هذا الفضل الوارد في هذه الكلمة الشريفة الرفيعة القدر المنيفة يبتدئ بها سيدنا ﷺ جميع أوراده اللازمة وغيرها وكذلك يفتح بها فاتحة الكتاب في جميع الصلوات ويحض أصحابه على قراءتها فقد ذكر العالم العلامة سيدي عمر الفوتي أن شيخه الخليفة سيدي محمد الغالي أبو طالب أمره بقراءتها وهو في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام وأذن له في قراءتها وفي إعطائها وهو عن سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكتوم والبرزخ المختوم شيخنا أبي العباس أحمد بن محمد التيجاني الحسني ﷺ وأرضاه وهو أذن له سيد الوجود وعلم الشهود سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وذكر له وهو في مكة المشرفة أن يقرأ البسملة متصلة بالفاتحة في نفس واحد في الصلاة وغيرها وهو عن الشيخ ﷺ عن النبي ﷺ .

وأطلعه على أسرار في ذلك منها أنه أعطاه ورقة فيها ما نصه: قال الشيخ القاضي محيي الدين الفيروزابادي رحمه الله والله العظيم لقد أخبرني الشيخ صفي الدين البعلبكي عن الشيخ الفاروني عن محمد بن العربي أنه قال: إذا قرأت الفاتحة فقل بسم الله الرحمن الرحيم في نفس واحد فإني أقول: والله العظيم لقد سمعت من لفظ أبي بكر الفضيل بن محمد الكاتب وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو محمد على الشالسي من لفظه وقال: بالله العظيم لقد حدثني عبد الله المعروف بأبي نصر الصرخاوي وقال: بالله العظيم لقد حدثني محمد بن الحسين العلوي الزاهد وقال: بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الراجعي وقال: بالله العظيم لقد حدثني عمر بن موسى البرمكي وقال: بالله العظيم لقد حدثني أنس بن مالك ﷺ وقال: بالله العظيم لقد حدثني على بن أبي طالب ﷺ وقال: بالله العظيم لقد

حدثني أبو بكر الصديق ﷺ وقال: باللّه العظيم لقد حدثني المصطفى ﷺ وقال: باللّه العظيم لقد حدثني جبريل عليه السلام وقال: باللّه العظيم لقد حدثني ميكائيل عليه السلام وقال: باللّه العظيم لقد حدثني إسرافيل عليه السلام وقال: قال الله تعالى يا إسرافيل وعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة فاشهدوا على أني قد غفرت لَه وقبلت منه الحسنات وتجاوزت لَه عن السيئات ولا أحرق لسانه بالنار وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار يوم القيامة ومن الفزع الأكبر أهـ .

وفي هذا القدر كفاية لأولى الألباب واللّه تعالى يلَهمنا بمنه إلى الصواب .

اللهمَّ أنتَ الملكُ الحقُّ المبينُ

معنى اللّهم يا الله الذي لَه الأسماء الحسنى والصفات العلى عجل إغاثتي وأجب دعوتي قال سيدي المهدي الفاسي نقلا عن الخروبي هو توجه للمطلوب وطلب لحصول المرغوب بالتوسل بالاسم الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى .

ثم قال وتعويض الميم من حرف النداء في لفظ الجلالة يقتضي قوة الَهمة في الطلب والجزم به وإنما جعل هذا الاسم في أوائل الأدعية غالبا لأنه جامع لجميع معاني الأسماء الكريمة وهو أصلَها أهـ .

وقال شيخ شيوخنا أبو المواهب سيدي العربي بن السائح ﷺ في بغيته: معناها ياالله الذي لَه الأسماء الحسنى وذلك لما قيل إن أصل اللّهم يا الله وإن الميم المفتوحة المشددة زيدت لتشعر بأن هذا الاسم الأعظم اجتمعت فيه أسماء الله كلَها فالاسم الأعظم الله هو المستغرق لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى والميم مشعرة ومعينة على كمال استحضار ذلك الاستغراق لأنها هي المستغرقة لجميع الأسماء فافهم اهـ .

ثم اعلم أن لأجل ما تضمنه هذا اللفظ من عظيم الثناء يؤثر ويرغب في التوجه به إلى الله تعالى في الدعاء، وقال سيدنا ﷺ كما في الجواهر اعلم أن هذه الكلمة تقولَها العرب جرت في ألسنتها أنها تخاطب الله تعالى بها في جميع أدعيتها وهي جارية منهم مجرى الاستغاثة والتضرع وشدة الابتهال وطلب التعجيل في إجابة الدعاء كأنه يقول عجل إجابتي وعجل إغاثتي يا الله هذا المراد بها عند العرب اهـ .

وقولَه أنت الله كرر هذا الاسم الشريف تلذذا بذكره وانتباها وإيقاظا لمناجاته وقولَه

الملك الحق المبين فالملك بكسر اللام اسم من أسماء الله الحسنى معناها المستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاج إليه كل موجود من ملك نفوس العابدين فاقلقها وملك قلوب العارفين فاحرقها وقيل من إذا شاء أهلك وحظ العبد منه قبيل من لاحظ الملك فنى عن المملكة فالأعراض لا تشغله والشواهد لا تقطعه والعوائد لا تحجبه .

قال الإمام القشيري في كتابه التحبير في علم التذكير إذا ثبت أنه جل جلاله مالك الملك فإنما يملك من عباده من سبقت لَه عنايته وحقت لَه في جميع الأحوال فيملك هواء ويعتقه من أحر نفسه ومناه ويحرره من رق البشرية ويخلصه من رعونة الإنسانية وفي معناه قيل:

من ملك النفس فهو حر والعبد يملكه هواه

وحكى أن بعض الأمراء قال لبعض الصالحين سلني حاجتك فقال: أولى تقول ولي عبدان وهما سيداك فقال لي من هما قال الحرص والهوى فقد غلبتهما وغلباك وملكتهما وملكاك ثم قال من عرف أنه سبحانه هو المتوحد بالملك أنف أن يتذلل لمخلوق لأن المعرفة بملكه توجب التجرد لَه في التقرب وفي قصده . وحكى عن بشر الحافي أنه قال رأيت أمير المؤمنين على بن أبي طالب ﷺ في المنام فقلت عظني يا أمير المؤمنين؟ فقال: ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلبا لثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله ثم قال ومن آداب من عرف أنه الملك سبحانه أن يثق بالله بما يرجوه من الله ويؤمله في جميع ما يتفق فيه ويفعله ويريده ويستعمله ويكون بما في حكم الله أوثق منه بما في يده اهـ:

حرام على من وحد الله ربه وأفراده أن يتخذ حدا رافدا

ويا صاحبي قفن مع الحق وقفة أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا

وقل للملوك الأرض نجهد جهدها فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدي

والحق هو اسم من أسماء الله أيضا أي المتحقق الثابت وجوده أزلا وأبدا فلا يقبل الانتفاء بحال فمعناه يستلزم القدم والبقاء وقيل هو الحقيق بأن يعبده العابدون وحظ العبد منه فناؤه عن نفسه وعن إرادته وأن يرى الله تعالى حقا وما سواه باطلا في ذاته حقا بإيجاده واختراعه وإن لَه حكما ولطائف في كل ما يوجده وإن خفى عليه كنهه .

وقال القشيري في كتابه المذكور ومن عرف أنه الحق آثر حقه على حظه وحق الحق أحق وعلامة من آثر حقه على حظه أن يسخر لَه خلعه ويحق لَه حظه .

ويحكي عن بعض الصالحين أنه قال كان ابتداء توبته أنه كان تاجرا بزازا فدخل السوق خادم من دار الخليفة يطلب ثيابا لهم فعرض هذا الرجل الثياب على الخادم فبينما هو في ذلك إذ أذن المؤذن فترك هذا الرجل الخادم واشتغل بالصلاة فقال الخادم لا أحمل ثيابك وحمل ثياب من حانوت آخر إلى دار الخليفة فلم يرض ورجع الخادم إلى حانوت هذا الرجل شاء أم أبى وحمل ثيابه واشتروها بربح كثير وافر فلما أمسى الرجل رأى في المنام كأن قائلا يقول له آثرت الصلاة على تجارتك فلا جرم قدمنا ثيابك على ثياب غيرك، فلما أصبح الرجل سر بتلك الرؤيا وتصدق بجميع ماله وصار شيخ وقته .

وأما المبين في وصفه سبحانه فهو الذي يوضح الحق ويعلنه ويقيم البرهان ويصححه ويظهر الحق من الباطل بالعلامات التي ينصبها ويبين من مكتومات العبد ما لم يخطر ببال أحد من دقائق آثار الحكمة وعجائب متعلقات القدرة ويبين لقلوب المحبين على الخصوص شواهد الربوبية مما يزيل الشبهة ويعلي الحجة اهـ . والمبين إما لازم فمعناه الظاهر أمره وألوهيته أو متعد فمعناه المظهر المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم قال الشناوي ينبغي للطالب أن يسجد عند قوله الحق ثم يقول في سجوده يا مالك يا حق عشر مرات لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ثلاث مرات ويسأل الله في سجوده ما يليق بأمور الآخرة فقط وقد قيل إنه يسجد في هذا المحل سبعون ألف ملك .

القديمُ المُتعززُ بالعَظَمَةِ والكبْرياءِ

معنى القديم الذي لا أول له قال في المصباح لفظ القديم رواه البيهقي في الأسماء الحسنى عن النبي ﷺ وقال في معنى القديم الموجود الذي لم يزل وقال أيضا في كتاب الأسماء والصفات ومنها القديم قال وقال الحليمي في معنى القديم إنه الموجود الذي ليس لوجوده ابتداء والموجود الذي لم يزل، ثم قال ويقال الله تعالى قديم بمعنى أنه سابق الموجودات كلها ومعنى المتعزز المتقوي بالعظمة والكبرياء ومعنى العظمة كون الشئ في نفسه كاملا شريفا مستغنيا والكبرياء كناية عن كمال الذات وأعني بكمال الذات كمال الوجود وكمال الوجود يرجع إلى شيئين أحدهما دوامه أزلا وأبدا والثاني أن وجوده هو الوجود الذي يصدر عنه وجود كل موجود .

قال الشيخ مرتضي في شرحه على الأحياء وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: {قال الله تعالى: " الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته } قال العراقي رواه الحاكم في المستدرك دون ذكر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم ورواه أبو هريرة بلفظ قال

رسول الله ﷺ {الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي} قال العراقي رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له فقوله في الحديث {فمن نازعني} أي تشوف إلى الاتصاف بهما أو بأحدهما قصمته أي أذللته وأهنته أو قربت هلاكه قال الزمخشري هذا وارد عن غضب شديد ومناد على سخط عظيم لأن القصم أقطع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلازم الأجزاء بخلاف الكسر اهـ .

قال في الحكم العطائية كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا منك أن تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين أفيبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين، وقد أفاد هذا الوعيد أن التكبر والتعاظم من الكبائر .

أخرج ابن عساكر إياكم والكبر فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لأدم، وإياكم والحرص فإن آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة، وإياكم والحسد فإن ابني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسدا فهذا أصل خطيئته اهـ . ذكره ابن حجر في الزواجر .

المُتَفَرِّدُ بالْبقاء

معنى المتفرد أي المخصوص بالشيء بحيث لا يشاركه فيه غيره، والبقاء عبارة عدم الآخرية للوجود وللثبوت ووجوب البقاء خاص بذاته تعالى وصفاته الذاتية، وأما المستثنيات الثمانية التي لا تفنى المشار إليها بقوله القائل:

ثمانية حكم البقاء يعمها	من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسي نار وجنة	وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

فبقاؤها جائز لا واجب بدليل حدوثها وهي باقية بإمداده فلو انقطع إمداده عنها لاضمحلت .

الحَيُّ القيُّومُ القادِرُ المُقتَدِرُ القهَّارُ الّذي لا إلهَ إلاّ أنتَ

ذكر ستة أسماء من أسماء الله الحسنى فمعنى الحي هو الذي لا يموت فهو الباقي أزلا وأبدا وحظ العبد منه السعي في تحضير الشهادة لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون .

قال الإمام القشيري في كتابه التحبير: فمن علم أنه حي أبدا علم أنه لا يجوز فناؤه

وهلاكه وإن طال بقاؤه وملكه ومن علم أن المخلوق حي غير أبدي علم أنه لابد من فنائه وهلاكه وإن طالت مدة بقائه وملكه .

يحكي أن المأمون لما قربت وفاته فرش الرماد وكان يتمرغ عليه ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه بل من علم أنه الباقي الذي لا يزول علم أن فيه خلفا من كل تلف بل علم أنه لا يصل إلى مولاه إلا بعد موته اشتاق إلى وفاته، قيل لبعضهم: إن الدنيا لا تساري مع الموت شيئا فقال: بل الدنيا لو لم يكن الموت ما كانت تساوي شيئا وقيل الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب اهـ .

ومعنى القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره أو الدائم الباقي فيكون تأكيدا للحي وقيل مبالغة في قيامه بتدبير خلته وحصول الاستغناء به عن كل ما سواه القائم على كل نفس بما كسبت وحظ العبد منه كمال تمكنه بأن يلتفت إلى الأسباب ويشهد أن المسببات صادرة عن عين القدرة وأن ترتبها على الأسباب أمر ظاهر فقط واعلم أن من عرف أنه سبحانه هو القائم والمقيم والقيوم انقطع قلبه عن الخلق .

وقال أبو يزيد رحمه الله تعالى حسبك من التوكل أن لا ترى لنفسك ناصرا غيره ولا لرزقك خازنا لغيره ولا لعلمك شاهدا غيره . ثم قال القشيري: وأما من عرف أنه القيوم بالأمور استراح من كد التدبير وتعب الاشتغال وعاش براحة التفويض فلم يبخل بكرمه ولم يجعل في قلبه للدنيا كبير قيمة .

ويحكى عن الطرماح أنه قال: كنت عند الحسن بن على بن أبي طالب ﷺ إذ جاء سائل فسأله شيئا فأعطاه بُلغته، فقال: يا ابن بنت رسول الله الله أولى بعباده، فقال: اسكت يا طرماح فانني لأستحي من الله تعالى أن أسأله فيعطيني ثم لا أعطي من يسألني اهـ

ومعنى القادر المقتدر ذو القدرة الكاملة ولكن المقتدر أكثر مبالغة لما في التاء من معنى التكليف والاكتساب فإن ذلك وإن امتنع في حقه تعالى حقيقة لكنه يفيد المعنى مبالغة من حقهما لا يوصف بهما مكلف غير الله تعالى فإنه القادر بالقدرة والمقتدر على جميع المكنات وما عداه ليس كذلك وحظ العبد منهما التبري من الحول والقوة إلا به إياك نعبد وإياك نستعين لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . والجبار صيغة مبالغة من ومنه انجبر العظيم وهو في الأصل إصلاح الشيء بضرب من القهر فمعناه المصلح لحال العباد بردهم للتوبة أو بغير ذلك، وقيل معناه الذي يقهر العباد على كل ما أراد يقال جبر الخلق وأجبرهم وجبر

الكسر وحظ العبد منه أن يقهر نفسه على امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه .

ثم قال الإمام القشيري وإذا علم أنه يجبر الخلق على مراده وعلم أنه لا يجر في سلطانه ما يأباه ويتركه ترك ما يهواه وانفذ ما يحكم به مولاه فيستريح من كد الفكرة وتعب التدبير وفي بعض الكتب عبدي تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد فإن رضيت بما أريد كفيتك ما تريد وإن لم ترض بما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد وقد قيل:

سيكون الذي قضى ... سخط العبد أم رضى

فدع الهم يا فتى ... كل هم سينقضى

قال المريد لمن يريد ... ذر ما تريد لما أريد

فإذا أردت إرادتي ... ظفرت يداك بما تريد

ولئن أردت ولا أريد ... فنيل من تهوى بعيد

أو ليس من لؤم المحبـ ... ـة أن تريد ولا أريد

وفي معناه أيضا أشدو:

ملكت نفسي وكنت عبدا ... فزال رقي وطاب عيشي

أصبحت أرضى بحكم ربي ... إن لم أكن راضيا فايشي

والقهارة مبالغة في القهر وهو الغلبة وصرف الشئ عما طبع عليه على سبيل الإلجاء فيرجع إلى القدرة على المنع ، وقيل نفس المنع ، فمن قهره جمعه بين الطبائع المتنافرة وإسكان الروح اللطيفة النورانية في البدن الكثيف المظلم، ومن قهره تسخير الأفلاك الدائرة وجميع الخلائق في مشيئة ومنع العقول من الوصول إلى كنه حقيقته ولا يحيطون به علما ومعناه الذي يقصم ظهور الجبابرة فيقهرهم بالأمانة والإذلال والإهلاك فهو من أسماء الأفعال وقيل هو الذي قهر قلوب الطالبين فآنسها بلطف مشاهدته وقيل هو الغالب جميع الخلائق وحظ العبد منه قهر النفس الأمارة بالسوء والأضرار بالقوى الشهوانية والغضبية وتضييق مجاري الشيطان بالصوم قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وقوله: الذي لا إله إلا أنت أي: الذي لا معبود بحق إلا أنت المتصف بالحياة الدائمة القيوم بجميع الخلائق القادر المقتدر على كل مخلوق الجبار لكل منكسر القهار لكل عاص .

أنتَ ربِّي وأنا عبدُكَ عمِلتُ سوءاً وظلَمتُ نفسي واعترَفتُ بذنبي فاغفِرْ لي ذُنُوبي كُلَّها فإنَّهُ لا يَغفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أنتَ

هذا اعتراف من العبد الذاكر بأن الله تعالى هو له رب حقيقة فاعترف بربوبيته كما اعترف أيضا بذل عبوديته ثم أقر أنه مصر على المعاصي مقبل السوء ظالم في ذلك كله لنفسه بذنبه مستشعر بأنه لا يغفر الذنوب العظام إلا الله العظيم وقد وصف الذاكر نفسه بالشق الأول من قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾(فاطر:٣٢) عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ أنه قرأ هذه الآية على المنبر فقال: قال رسول الله ﷺ {سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له} وعنه ﷺ {السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة، وأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يظن أنه لا ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة} رواه أبو داود .

وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ قال في الإحياء كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول {سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم} وقال ﷺ {من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب} وروى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال {إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فإن زادت زادت حتى تغلف قلبه فذلك الران الذي ذكره الله ﷻ في كتابه ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾}

وروى أبو هريرة ﷺ أنه ﷺ قال {إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه فيقول ﷻ باستغفار ولدك لك} اهـ . وقال ﷺ {ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة} وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم} .

قال سيدي عمر الفوتي ﷺ في رماحه: اعلم أن الاستغفار من أهم الأبواب التي يعتني بها ويحافظ على العمل بها قال يحيي بن معاذ ﷺ ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو . أهـ

وفي ترغيب الطالب قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إني عجبت ممن يشكو

ضيق الرزق ومعه مفاتيحه قيل لَه وما هي قال الاستغفار وقد نبه عليه قولَه تعالى ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم .... إلى قولَه ... وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾(نوح:١٠) وفيه أيضا روى أن رسول الله ﷺ قال: {أكثروا من الاستغفار فإن الاستغفار يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب وكما تأكل الشاة الخضرة وإن صحيفة المرء إذا عرج بها إلى السماء ولم يكن فيها استغفار لم يكن لَها نور وإذا طلعت فيها الاستغفار كان لَها نور يتلألأ وإن لم يكن فيها إلا استغفار يسير وما جلس قوم بمجلس لَهو ثم ختموه بالاستغفار إلا كتب مجلسهم ذلك استغفارا كلَه} اهـ .

والأحاديث الواردة في الاستغفار كثيرة وفيما ذكر كفاية ، قال الشناوي في شرحه على الجواهر هذا محل الإشارة الأولى يقرأ ياغياثي عند كل كربة ومجيبي عند كل دعوة ومعاذي عند كل شدة ويارجائي حين تنقطع حيلتي إلَهي بحرمته وبحق هذه الأسرار وبحق كرمك الخفي وبحق اسمك الأعظم أسألك أن تقضي حاجتي كلَها يا من أمره إذا أراد شيئا أن يقول لَه كن فيكون .

يا غَفُورُ يا شكُورُ يَا حَلِيمُ يَا كَرِيمُ يَا صَبُور يَا رَحِيمُ

توسل الذاكر بهذه الأسماء العظام لينال من مولاه بلوغ المرام، فيحليه بحلية أهل الله المحبوبين، ويكون عنده من المقربين الفائزين، واعلم أن هذه الأسماء ستة من أسماء الله الحسنى فمعنى الغفور كثير المغفرة وهي صيانة العبد عما استحقه من العذاب للتجاوز عن ذنوبه من الغفر وهو الستر والمغفرة إلباس الله تعالى العفو للمذنبين وحظ العبد منه أن يستر من أخيه ما يحب أن يستر منه ولا يفشي منه إلا أحسن ما فيه ويتجاوز عما يقبح منه ويقابلَه بالإحسان قال تعالى ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾(المؤمنون:٩٦) ويرحم الله القائل:

إذا شئت أن تحيي ودينك سالم	وحظك مرفوع وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ	فعندك عورات وللناس ألسن
وإن أبصرت عيناك عيبا فقل لَها	أيا عيني لا تبصر فللناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى	وفارق ولكن بالتي هي أحسن

ومعنى الشكور: الذي يعطى الثواب الجزيل على العمل القليل؛ أو الذي إذا أعطى أجزل وإذا أطيع بالقليل قبل؛ أو الذي يقبل اليسير من الطاعات ويعطي الكثير من الدرجات وحظ العبد منه أن لا يستعمل نعمة في شئ من معاصيه وأن يكون شاكرا للناس معروفهم .

قال الشيخ جسوس في شرحه على المرشد الشكر فعل الطاعة لا أنه مجرد اجتناب المعصية، كما أفصح عنه الجنيدي ﷺ بقوله: كنت بين يدي السرى وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت أن لا يعصي الله بنعمة فقال يوشك أن يكون حظك من الله لسانك فلا أزال أبكي على هذه الكلمة اهـ . ونقله سيدي ابن عباد وسلمه إلا أنه قال: وما قاله الجنيدى هو القدر اللازم من شكر النعم وهو على ثلاثة أقسام شكر بالقلب وهو أن تعلم أن النعم كلها من الله تعالى وأنها تفضل منه لا باستحقاق العبد قال الله ﷻ ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾(النحل:٥٣) وكان ﷺ إذا أصبح قال {اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر} .

وقد روى أن داود ﷺ قال: ((إلهي ابن آدم ليس فيه شعرة إلا وفوقها نعمة وتحتها نعمة فمن أين يكافيها؟ فأوحى الله إليه: يا داود إني أعطى الكثير وأرضي باليسر وإن شكر ذلك أن تعلم أن ما بك من نعمة فمني)) وروى أنه قال: ((إلهي كيف أشكرك والشكر نعمة منك علي؟ قال: الآن شكرتني)) . وما ألطف قول بعضهم:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا مس بالسراء عم سرورها ... وإن مس بالضراء يعقبها الأجر
فما منهما إلا له فيه نعمة ... تضيق بها الأوهام والسر والجهر

وشكر باللسان وهو الثناء على الله وكثرة المدح والحمد له ويدخل فيه التحدث بالنعم وإظهارها ونشرها قال تعالى ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾(الضحى:١١) ومن شكر اللسان شكر الوسائط بالثناء عليهم والدعاء لهم وفي حديث النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال {من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وشكر سائر الجوارح أن يعمل بها العمل الصالح } قال تعالى ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً ﴾(سبأ:١٣) انتهى باختصار مع زيادة ومعنى الحليم هو الذي لا يعجل بالعقوبة وقيل معناه من كان صفوحا عن الذنوب ستار للعيوب وقيل هو الذي يحفظ الود ويحسن العهد وينجز الوعد وقيل هو الذي غفر بعد ما ستر وقيل هو الذي يحلم على عباده ويتجاوز عن سيئاتهم وحظ العبد منه أن يتخلق بالحلم ويحمل نفسه على كظم الغيظ وإطفاء نار الغضب بالحلم .

قال الإمام القشيري في التحبير: وإنما يلذ حلمه لرجاء عفوه لأنه إذا ستر في الحال فالمأمول منه أن يغفر في المآل بلطفه . في بعض الحكايات أن بعضهم رؤى في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أعطاني كتابي بيميني فمررت بزلة استحييت أن أقرأها فقلت اللهم إلهي لا تفضحني؟ فقال: حين عملتها ولم تستحي لم أفضحك أفاأفضحك الآن وأنت تستحي . ومن حلمه أنه لا يستفزه عصيان العاصين ولا يحمله على سرعة الانتقام تهتك المخطئين فيحلم حتى يظن الجاهل أنه ليس يعلم ويستر حتى يتوهم الغبي أنه ليس يبصر اهـ .

ومعنى الكريم: هو الذي يعطى من غير منة . وقال الجنيدي رحمه الله تعالى: "الكريم الذي لا يحوجك إلى وسيلة والذي لا يضيع من توسل إليه ولا يترك من التجأ إليه وحظ العبد منه أن يعفو عمن ظلمه ويصل من قطعه ويحسن إلى من أساء إليه"، وقد أشار إلى هذا المعنى من قال:

مكارم الأخلاق في ثلاثة ... من كملت فيه فذاك الفتى

إعطاء من يحرمه ووصل من ... يقطعه والعفو عمن اعتدى

ولله در الإمام الشرنوبي حيث يقول:

خذ العفو عن جاهل قد بغى ... عليك تفز بالمقام الأمين

وبالعرف فأمر وكن محسنا ... وواصل واعرض عن الجاهلين

والصبور فعول من الصبر وهو في اللغة حبس النفس وتوطينها على المكاره والمشاق ومعناه الذي لا يستعل في مؤاخذة العصاة ومعاقبة المذنبين وقيل هو الذي لا تحزنه كثرة المعاصي حتى تؤديه إلى تعجيل العقوبة وقيل هو الذي إذا قابلته بالجفا قابلك بالعطية والوفا وإذا أعرضت عنه بالعصيان أقبل عليك بالغفران .

قال بعض العارفين الصبر أنواع صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وهما أساس طريق الاستقامة وصبر على فضول الدنيا وهو طريق الزهد وصبر على المصائب والمحن وهو أساس الرضى والتسليم لله ﷻ وحسن الظن به وهو أشق الأنواع على النفس وحظ العبد من هذا الاسم الصبر على الأنواع الأربعة والمداومة على ذلك .

وقال أبو بكر الوراق رحمه الله تعالى: احفظ الصدق فيما بينك وبين الله والرفق فيما بينك وبين الخلق والصبر فيما بينك وبين نفسك فهذا هو الذي يفيد النجاة ومعنى الرحيم هو

الغافر لجميع الذنوب في الآخرة ما عدا الشرك . قال عبد الله بن المبارك: معنى الرحيم هو الذي إذا لم يُسأل غضب . وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال {من لم يسأل الله يغضب عليه} ونظم هذا الحديث من قال:

الله يغضب إن تركت سؤاله   وبني آدم حين يُسأل يغضب

قال الشناوي في شرح الجواهر: يصلي الذاكر في هذا المحل ركعتين يقرأ بعد فاتحة الكتاب وسورة يس، فإذا وصل إلى قوله ﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾ ركع ثم ركعتين بتمام السورة وبعدها يقرأ يا قيوم ياعلي يا عظيم يا كبير يامنان يا فتاح يا رزاق ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾(المائدة:١١٤) مرة يقول سبحان المفرج عن كل محزون سبحان المنفس عن كل مسجون سبحان الميسر لكل مديون يا من جعل خزائنه بين الكاف والنون إنما أمره إذا أراد شيئا الخ السورة يا خفي الألطاف بحق سورة الأعراف أدركني في وقتي هذا ونجني مما أخاف يا مفرج فرج يا فارج الهم ويا كاشف الغم ويا دليل المتحيرين ويامجيب دعوة المضطرين فرج همنا واكشف غمنا واهلك عدونا اللهم شتت شملهم وخرب بنيانهم وبدل أحوالهم وفرق جمعهم وقلب تدبيرهم ونكس أعلامهم وزلل أقدامهم وخذهم أخذ عزيز مقتدر اللهم بحق هذه الأسرار وبحق كرمك الخفي وبحق اسمك الأعظم أسألك أن تقضي حاجتي كلها يا من أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .

اللّهمَّ إنّي أحْمدُكَ وأنتَ المحْمُودُ وأنتَ للْحَمدِ أهْلٌ وأشكُرُكَ وأنتَ المشكورُ وأنتَ للِشكْرِ أهْلٌ

تقدم الكلام على معنى اللهم وقوله إني أحمدك الخ هذا اعتراف من الذاكر بأن جميع النعم التي هي عليه من الله تعالى يجب الحمد عليها فأتى بهذه الجملة وفاء بما وجب عليه من حمد لله تعالى .

ثم اعلم أن الحمد لغة هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم سواء تعلق بنعمة أو غيرها والحمد عرفا هو فعل ينبي عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما وقوله وأشكرك الخ أراد أن يمثل قوله تعالى ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(إبراهيم:٧) ثم إن الشكر أيضا يكون لغة وعرفا فالشكر لغة هو الحمد عرفا والشكر عرفا هو صرف العبد جميع ما أنعم

الله به عليه من سمع وبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(الذاريات:٥٦) وبين هذه التعاريف نسب فلا نطيل بذكرها فإنها مذكورة عند جل المؤلفين ونتكلم على ما يتعلق بفضلها فنقول:.

روى عن النبي ﷺ أنه قال { إن الله ﷻ يحب الحمد يحمد به ليثيب عليه حامده وجعل الحمد لنفسه ذكرا ولعباده ذخرا } روى عنه { الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده } وروى عنه أيضا { ما أنعم الله تعالى على عبد من نعمة فقال الحمد لله إلا أدى شكرها فإن قالها الثانية جدد الله له ثوابها فإن قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه } .

وروى الحمد كلمة الشكر فإذا قال العبد الحمد لله قال الله شكرني عبدي، وروى الحمد لله ثمانية أحرف وللجنة ثمانية أبواب فمن قال الحمد لله فتحت له أبواب الجنة الثمانية وأما الشكر فهو كما قال الشيخ زروق فرح القلب بالمنعم لأجل نعمته حتى يتعدى ذلك إلى الجوارح فينطق اللسان بالثناء وتسخر الأعضاء بالأعمال وترك المخالفة اهـ .

وسأل رجل أبا حازم فقال له ما شكر العينين ؟ فقال: إذا رأيت بهما خيرا أعلنته وإذا رأيت بهما شرا سترته . قال: فما شكر الأذنين ؟ قال: إذا سمعت بهما خيرا وعيته وإذا سمعت بهما شرا دفنته . قال: فما شكر اليدين ؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع بها حقا هو لله فيهما . قال: فما شكر البطن ؟ قال: أن يكون أسفله صبرا وأعلاه علما . قال: فما شكر الفرج ؟ قال: كما قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾(المؤمنون: ٥-٦) . قال: فما شكر الرجلين ؟ قال: إن رأيت شيئا غبطته استعلمتهما فيه وإن رأيت شيئا مقته كففتهما عنه وأنت شاكر لله .

وقال بعض العارفين من أعطى أربعا لم يمنع من أربع من أعطى الشكر لم يمنع المزيد لقوله تعالى ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(إبراهيم: ٧) ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول لقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾(الشورى:٢٥) ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب لقوله ﷺ { لا خاب من استخار ولا ندم من استشار } وما ألطف قول بعضهم:

لئن شكرتم لأزيدنكم ... مقالة الله التي قالها
فالكفر بالنعمة يدعو إلى ... زوالها والتشكر أبقى لها

على ما خَصَصْتني بِهِ مِنْ مواهِبِ الرَّغائِبِ

هـذا هـو الباعـث على حمد الذاكر وشكره لأن للحمد أركانا خمسة حامد وهو الداعي ومحمـد وهـو الله تعـالى ومحمـود بـه وهـو الثـناء باللسـان ومحمود عليه وهو استشعار النعمة وصيغة وهي لفظ الحمد وقد عقدت هذه الأركان الخمسة بقولي:

أركانه حامد محمود أنت ثم به عليه صيغة ثبت

والتخصـيص هـو الانفـراد بالشـيء والمواهـب جمـع موهبة وهي العطية من غير عوض والرغائـب جمـع رغـبة وهـي العطـاء الكـثير أراد بمواهـب مراتـب الشـهود في الدنيا إذ بها يحصل الاختصاص للطالب بالنسبة إلى سائر الناس .

وأَوْ صَلتَ إليَّ مِنْ فَضَائِلِ الصَّنائِعِ

هـذا هـو الباعـث الـثاني على إنشاء الحمد والشكر وهو إيصال النفع إلى العبد أي أحمدك وأشـكرك يـارب على النعم الفضيلة التي أوصلت إلى من غير استحقاق ولا طلب مني إليك فمراده بالصـنائع الـنعم الـتي في جسـد الحـامد مـن العـين والأذن واللسان وغيرها لأن هذه الجوارح هي أعظم النعم على الإنسان فلذلك يجب حفظها وهي سبعة كما أشار إليها بعضهم بقوله:

جوارحنا العينان سمع لساننا يدان مع الرجلان فرج بطوننا

وأَوْلَيْتَنِي بِهِ مِنْ إِحْسانِكَ

أي أعطيـتني مـن الـنعم الكـثيرة مـن سعة الرزق والمال واللباس والأمكنة فإحسان الله إليـنا في كـل لحظـة لا يعد ولا يحصى فيجب على العبد أن يقابل هذا الإحسان بالشكر قال ابـن عطـاء الله في حكمه من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها قـال ابـن عـباد ﷺ شـكر الـنعم موجـب لبقائها والزيادة منها وكفرانها وعدم شكرها موجب لـزوالها وانفصـالها ثم قال واجتمعت حكماء العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد للنعم وقالوا الشكر قيد للموجود وصد للمفقود وكان يقال النعم إذا روعيت بالشكر فهي أطواق وإذا روعيت بالفكر فهي أغلال .

وَبَوَّأْتني بهِ مِنْ مَظنَّة الصِّدْقِ عِندَك

أي: أسكنتني في الجنة على الدوام بقولك الصادق ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾(الرعد:٢٩) لأن التبوأ هو الإقامة على الدوام ومراده بمظنة الصدق الجنة لأن خلوص الصدق لا يكون إلا في الجنة كما قال تعالى ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا كِذَّاباً ﴾(النبأ:٣٥) فالظن هنا بمعنى القول وهو كثير في كلام العرب.

وَأَنَلْتَني بهِ من مِنَنِكَ الواصلةِ إليَّ

المتن جمع منة وهي النعمة العظيمة أي وأعطيتني من نعمك الكثيرة المتعددة التي لا حصر لها وهي واصلة إلى منك تفضلا وامتنانا وجودا وكرما وإحسانا

وأحْسَنْتَ بهِ إليَّ كلَّ وقْتٍ منْ دَفْعِ البَلِيَّةِ عَني

استشعر الذاكر أن كل وقت يدفع الله تعالى عنه بلايا عظام ومصائب جسام لأنه وإن كان المؤمن في الدنيا لا تفارقه الأحزان ولا تفتك عنه المصائب فقد ورد ما من مصيبة تصيب المؤمن إلا وهناك أعظم منها قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾(الحج: ٣٨) ولا بلية ولا مصيبة أعظم من بلية الكفر عياذا بالله، قال تعالى ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾(الحجرات:٧) . وأما البلايا التي تصيب العبد في الدنيا فله عليها الثواب الجزيل كيف والله تعالى يجازي المؤمن على كل ما يصيبه من الهموم والأحزان، فقد روى عن عائشة ﵂ عن رسول الله ﷺ أنه قال {إذا كثرت ذنوب للعبد ولم يكن له من الأعمال ما يكفرها أدخل الله عليه الغموم والهموم فتكون كفارة لذنوبه} ، وأخرج الشيخان عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال {مامن مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكه يشاكها} ، وأخرج الشيخان عن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ {ما من مسلم يصيبه ذي شوكة فما فوقها إلا حط الله تعالى بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها} ، وأخرج مسلم عن عائشة ﵂ عن رسول الله ﷺ أنه قال {ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتب الله له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة} اهـ .

قال ابن عباد اعلم أن البلايا وشيكة الزوال وعقد المصائب سريعة الانحلال فإن الله تعالى متعطف عن عبده بآلائه وناظر إليه في حالتي شدته ورخائه وكل ما يورده عليه من

المحن والبلايا فظاهرها نقمة وباطنها رحمة وما أحسن قول ابن عطاء الله في الحكم ليخفف ألم البلاء عليك علمك سبحانه هو المبتلي لك فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار وقال في التنوير إنما يقويهم على حمل أقداره شهوده حسن اختياره ثم أنشد لنفسه:

وخفف عني ما ألاقي من العنا ... بأنك أنت المبتلى والمقدر

وما لامرئ عما قضى الله معدل ... وليس له منه الذي يتخير

وأنشده غيره كما في التنوير:

ولما رأيت القضا جاريا ... بلا شك فيه ولا مرية

توكلت حقا على خالقي ... وألقيت نفسي مع الحرية

والتَّوْفيقُ لي وَالإجابَةُ لدُعائِي

التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى فلذلك قال تعالى ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾(هود:٨٨) قاله في الخازن، والإجابة أي: الثواب على دعائي فاللام بمعنى على وإجابة الدعاء إنالته ما سأل من الله تعالى، قال تعالى ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(البقرة:١٨٦) وقال ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(غافر:٦٠) .

وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ { يستجيب الله لأحدكم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل . قالوا: وما الاستعجال يا رسول الله ؟ قال: يقول دعوتك يا رب فلا أراك تستجيب لي فيتحسر عند ذلك فيدع } أي: يترك الدعاء وعن سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ { إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين } أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب الصفر الخالي يقال بيت صفر ليس فيه متاع وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال { ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من الشر مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم } فقال رجل من القوم إذا نكثر، قال: { الله أكثر } أخرجه الترمذي .

قوله الله أكثر معناه الله أكثر إجابة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ {أدعو الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه} أخرجه الترمذى. وقال حديث غريب وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال {ليس بشيء أكرم على

الله مـن الدعاء} أخرجه الترمذي ولَه عن أنس أن النبي ﷺ قال {الدعاء مخ العبادة} ولَه عن ابـن عمـر أن رسول الله ﷺ قال {من فتح لَه باب من الدعاء فتحت لَه أبواب الرحمة وما سئل الله شـيئا أحـب إليه مـن أن يسـأل العافية وإن الدعـاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل} ولَه عن سلمان أن رسول الله ﷺ قال { لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا تزيد في العمر إلا البر } اهـ .

ويرحم الله على بن عبد الله بن محمد بن داود الطبري حيث يقول:

يـا مـن ألح علـيه الَهـم والفكـر ... وغـيرت حالَـه الأيـام والغـير

أمـا سمعـت بمـا قـد قـيل في مـثل ... عـند الإيـاس فـأين الله والقـدر

ثـم لـلخطوب ذا أحداثهـا طرقـت ... واصـبر فقد فاز أقوام لَها صبروا

وكـل ضـيق سـيأتي بعـده سـعة ... وكـل فـوت وشـيك بعده الظفر

حِينَ أُنَادِيكَ داعِياً وأُنَاجِيكَ رَاغِباً وَأَدْعُوكَ مُتَضَرِّعاً مُصَافِياً ضَارِعاً

طلـب مـن الله إجابة دعائه حين يناديه بالدعاء ويناجيه راغبا اعلم أن النداء بالدعاء أداب الأخـيار والمناجاة إلى الله عـند الاضـطرار بالتضـرع والمصـافات حالة الأبرار قال بعض الحكمـاء إن الله يمـتحن العـبد ليكـثر التواضع لَه والاستغاثة به ويجدد الشكر على ما يوليه مـن كفايته ويـأخذ بـيده في شدته لأن دوام النعم والعافية تبطر الإنسان حتى يعجب بنفسه ويعـدل عـن ذكـر ربـه ووصف الحسن بن سهل المحن فقال هي تمحيص من الذنوب وتنبيه مـن الغفلـة وتعـرض للثواب بالصبر وتذكير بالنعمة واستدعاء للتوبة وفي نظر الله ﷻ وقضائه الخـيار وقـال شـريح إنـي لأصـاب بالمصـيبة فأحمد الله عليها أربع مرات أحمده إن لم تكن أعظـم ممـا هـي وأحمـده إذ رزقـني الصـبر علـيها وأحمده إذا ذكرني نعمه السابقة واللاحقة وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجوه في مصيبتي من الثواب . وما أحسن قول بعضهم:

توكـل عـلى الـرحمن في الأمـر كلَـه ... ولا ترغبن في العجز يوما عن الطلب

ألم تـــر أن الله أوحـــى لمـــريم ... فهـزي إلـيك الجـزع يسـاقط الرطب

ولـو شـاء أجـني الجزع من غير هزه ... إلـيها ولكـن كـل شـئ لَـه سـبب

فقولَـه وأناجـيك راغـبا أي فزعا إلى الله تعالى في ثوابه ومصافيا من الصفو وهو الخلوص من الكدر والمعنى أدعوك على طريق التضرع وإخلاص القلب وصفائه عما سوى الله تعالى .

وَحين أرجُوكَ رَاجياً فأجِدكَ كافياً وَألوذُ بِكَ في المَوَاطِنِ كلّها

قال الشيخ زروق فى شرح الحكم: الرجاء هو الطمع فيما عند الله بشرط العمل في سبب الوصول إليه وما ورد فيه خارج عن الحصر قال تعالى ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ..... الآية ﴾(الزمر:٥٣)، قال في الحكم: الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية قال سيدي محمد بن عباد الرجاء مقام شريف من مقامات اليقين وهو يبعث على الاجتهاد في الأعمال لأن من رجا شيئا طلبه ومن خاف من شئ هرب منه .

وأما الرجاء الكاذب الذي يفتر صاحبه عن العمل ويجرئه على المعاصي والذنوب فليس هذا برجاء عند العلماء ولكنه أمنية واغترار بالله تعالى .

قال معروف الكرخي ﷺ: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق، وقال أيضا: رجاؤك الرحمة ممن لا تطيعه خذلان وحمق اهـ .

باختصار فقولـه: فأجدك وألوذ بك يعني إذا حصل رجائي فيك تحقق وجداني لك ولياذي بك، روى الإمام الشافعي عن مالك بن أنس ﷺ قال: سمعت نافعا يقول سمعت عبد الله بن عمر ﷺ يقول دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب بهذا الدعاء فكُفى وهو {اللّهم إني أعوذ بك وبنور قدسك وبركة طهارتك وعظم جلالك من كل طارق إلا طارقا يطرق بخير اللّهم أنت غياثي فيك أغوث وأنت عياذي فبك أعوذ وأنت ملاذي فبك ألوذ ...الخ} انظر تمامها في كتاب الأرواح في أدعية الفرج للعلامة جلال الدين السيوطي ﷺ .

فَكُنْ لي جَاراً حاضِراً

المراد بالجار هنا هو الذي يجير غيره أي يؤمنه مما يخاف قال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾(المؤمنون:٨٨) وقولَه حاضرا أي قريبا مني قرب مكانة لا قرب مكان تعالى الله عن الزمان والمكان .

حَفِيًا بارّاً وَليًا في الأُمُورِ كلّها نَاظِراً

طلب من الله أن يكون حفيا لَه أي برا لطيفا والمراد به يستجيب لَه لأن الله أمر

بالدعاء ووعد بالإجابة والله لا يخلف الميعاد، قال في القاموس مع شرحه للشيخ مرتضي: وحفى كغني وتحفى به تحفيا واحتفى به بالغ في إكرامه وأظهر السرور والفرح يقال هو حفي أي بر مبالغ في الكرامة والتحفي الكلام الحسن واللقاء.

وقال الزجاج في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾(مريم:٤٧) لطيفا يقال حفى فلان بفلان حفوة إذا بروا لطفه.

وقال الفراء أي عالما لطيفا يجيب دعوتي إذا دعوته، وقال غيره أى معينا بى، وقال الليث: الحفي هو اللطيف بك يبرك ويلطفك ويحتفي بك، وقال الأصمعي: حفي به حفاوة قام في حاجته وأحسن مثواه وقوله بارا أي مبالغا في إكرامي والملاطفة بي والإحسان إلى والرفق بي وقوله وليا أي ناصرا ومريدا لي في أموري كلها وقائما بشئوني كلها قال تعالى ﴿ الله وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾(البقرة:٢٥٧) وقوله ناظراً أى حافظا قال الشناوي ينبغي للطالب أن يقرأ ﴿ نَصْرٌ مِنَ الله وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾(الصف:١٣) سبعا.

وعلى الأعداء كلهم ناصرا

طلب من الله النصر على جميع الأعداء وأعدى الأعادي النفس والهوى والشيطان قال ﷺ {أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك} وقال تعالى ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾(فاطر:٦) وإلى هذا المعنى أشار بعضهم بقوله:

إليك رسول الله أشكو بعلتي ... وذنبي وضيقي ثم فقري وفاقتي

وأشكو لك الشيطان والنفس والهوى ... وأشكو لك الأعداء ذكرك عدتي

بالنبل عن قوس له توتير ... فأنت إلى رب العباد وسيلتي

وقال آخر:

إني بليت بأربع يرمينني ... بالنبل عن قوس له توتير

إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... يا رب أنت على الخلاص قدير

وللخطايا والذنوب كلها غافراً وللعيوب كلها ساتراً

اعلم أن هذا مطلب العقلاء ومحط رجال أهل الله الأتقياء إذ لا أهم عند العاقل من

مغفرة ذنوبه وستر عيوبه ويرحم الله الإمام الشافعي حيث يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي   جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته   بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا جود وعفو ورحمة   تجود وتعفو منه وتكرما

روى البخاري ومسلم عن صفوان بن محرز المازني قال: بينما ابن عمر يطوف بالبيت إذ عرض له رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله ﷺ في النجوى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول {يدنو المؤمن من ربه ﷻ حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول أعرف رب أعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته ـ وفي رواية: ثم تطوى صحيفة حسناته ـ وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد ـ وفي رواية: فينادي بهم رءوس الأشهاد من الخلائق ـ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين} اهـ ذكره الخازن .

وفي الإحياء جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني لا أصوم إلا الشهر لا أزيد عليه ولا أصلي إلا الخمس لا أزيد عليها وليس لي في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع أين أنا إذا مت؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال {نعم إن حفظت قلبك من اثنتين الغل والحسد ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب وعينيك من اثنتين النظر إلى ما حرم الله وأن تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين} .

وفي الحديث الطويل لأنس { أن الأعرابي قال: يا رسول الله من يلي حساب الخلق؟ فقال ﷺ الله تبارك وتعالى، قال: هو بنفسه؟ قال: نعم فتبسم الأعرابي، فقال ﷺ: مم ضحكت يا أعرابي؟ فقال: إن الكريم إذا قدر عفا وإذا حاسب سامح، فقال ﷺ ألا لا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الأكرمين ثم قال فقه الأعرابي } اهـ .

لَمْ أَعدَمْ عونَكَ وبِرَّكَ وخيْرِكَ وعِزَّكَ وإحْسَانِكَ طَرْفَةَ عَيْنِ مُنْذُ أَنْزَلْتَنِي دارَ الاخْتِبارِ والفكْرِ والاعْتِبارِ

العون الظهور على الأمر والاستعانة طلب المعونة قال تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾(الفاتحة:٥) وأشار بهذا إلى أساس السلوك الذي تنبني عليه قواعده أن يجعل السالك

معتمد أمره الاستعانة بالله تعالى على ما هو بسبيله ولا يرى حول نفسه ولا قوتها في كثير عمله ولا في قليله فإن من المعلوم عن القطع من نصوص الشريعة وأنواع التجارب كما قال سيدي ابن عباد أن من أنزل حوائجه بالله تعالى والتجأ إليه وتوكل في أمره عليه كفاه كل مؤنة وقرب إليه كل بعيد ويسر عليه كل عسير ومن سكن إلى عمله وعقله واعتمد على قوته وحوله وكله الله تعالى إلى نفسه وخذله وحرمه توفيقه وأهمله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه اهـ وقال بعض العلماء من ظن أنه يصل إلى الله تعالى بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة بنفسه وكل إلى نفسه وأنشد بعضهم في هذا المعنى فقال:

إذا لم يعنك الله فيما يريده	فليس لمخلوق إليه سبيل
وإن هو لم يرشدك في كل مسلك	ضللت ولو أن السماك دليل

وقال آخر:

إذا كان عون الله للمرء ناصرا	تهيأ له من كل صعب مراده
وإن لم يكن عون من الله للفتى	فأكثر ما يجني عليه اجتهاد

فالقيام بالأوراد إنما يستقيم ويتيسر لأهل اليقظة وهم يرجعون في مبادئ الأمور إلى الله ويعتمدون عند إرادة افتتاح النصر والتلبس بها على الله ويستحضرون قبل الشروع في الأشياء أن لا حول ولا قوة إلا بالله لأن الله ﷻ حينئذ يكفيهم مهمات أمورهم فحاول على تحصيل هذه النكتة في سبحات أيامك تحصل إن شاء الله على مرامك اهـ . ذكره جسوس في شرحه على تصوف المرشد، وقوله وبرك بكسر الباء أي فضلك وخيرك عطف تفسير عليه لأن البراسم جامع لكل خير ومنه قول الشاعر:

بني ان البر شئ هين وجه طليق وكلام لين

وهو مثلث الباء والمعنى مختلف قال صاحب مثلثان العرب:

لصادق مع ضد بحر بر	قلب وإكرام ولطف بر
والصدق والخير كذا والبر	القمح قوت ذي الغنى والفقر

وقوله وعزك وإحسانك عطف لازم على ملزوم لأن من لازم البر العز والإحسان، وقوله منذ أنزلتني دار الاختبار والفكر والاعتبار اعلم أن دار الاختبار هي الدنيا لأنها دار الامتحان

يقال اختبرته بمعنى امتحنته ذكر السيوطي في كتابه (بشرى الكئيب بلقاء الحبيب) ما نصه: أخرج ابن المبارك في الزهد والطبراني في الكبير عن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ {قال الدنيا سجن المؤمن فإذا فارق الدنيا فارق السجن} .

وأخرج ابن المبارك عن عبد الله بن عمرو قال إن الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فأخرج منه فجعل يتقلب في الأرض ويتفسح فيها .

وأخرج ابن أبي الدنيا من مراسيل سليم بن عامر الجباري مرفوعا إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت إذا مضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه ا هـ منه .

ومن لازم السجن الفكر وهو شدة الحزن والاعتبار بمعنى الاختيار قال في المصباح والاعتبار يكون بمعنى الاختبار والامتحان مثل اعتبرت الدراهم فوجدتها ألفا ويكون بمعنى الاتعاظ نحو قوله تعالى ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾(الحشر:٢) ا هـ منه وطرفة العين هي لمح البصر ومنذ بمعنى وقت أي وقت أنزلتني في صلب آدم وبطن حواء .

واعلم أن النزول كان إكراما من الله لسيدنا آدم عليه السلام لأنه سبب في وجود هذا النسل العظيم وفي ظهور سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ المخصوص من الله بالإجلال والتعظيم عليه من الله أفضل صلاة وأزكى تسليم .

لِتَنظُرَ ما أُقَدِّمُ لِدارِ الخُلودِ والقَرارِ

يعني أن من لم يعدم عون الله وبره وخيره وإحسانه طرفة عين فإنه يوفق للأعمال الصالحة التي يقدمها المرء ويدخرها ليوم القيامة وهي دار الخلود والقرار ومراده أنه يتسبب عن الأعمال الصالحة سكنى الجنة قال تعالى ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾(هود:١٠٨) .

والمقَامَةِ مَعَ الأخيارِ

أشار بهذا إلى أنه إذا من الله عليه بسكنى الجنة يكون مقيما مع الأخيار الأصفياء الأبرار قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ﴾(النساء:٦٩) وسبب نزول هذه الآية كما ذكره الخطيب الشربيني في تفسيره قال: روى أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله ﷺ {ما غير لونك} فقال: يا رسول الله ما في مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين وإني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فأنزل الله تعالى ومن يطع الله إلى آخرها .

فأنا عَبْدُكَ فاجْعَلْنى يا رَبَّ عَتيقَكَ يا إلَهي

وَمَوْلايَ خَلِّصني مِنَ النَّارِ

هذا اعتراف منه بذل العبودية لمقام الربو بية وهو أرفع المقامات وأشرف الحالات وبسبب أنه عبد حقيقة علم أن له ربا يغفر الذنوب ويخلص أحباءه من النار والكرب فطلب من الله تعالى أن يجعله عتيقا من النار ومخلصا من الشدائد والأغيار وفي الحديث إذا أذنب العبد ثم استغفر قال الله تعالى علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب قد غفرت له .

وَمنْ جَميعِ المَضَارِّ والمَضَالِّ

طلب من الله تعالى أن يخلصه من جميع ما يضره في دنياه فيكون سببا لغضب الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليمٌ وطلب أيضا النجاة معنى ارتكاب الأمور التي تكون سببا لضلاله قال تعالى ﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ ﴾(الأعراف:١٨٦) اللهم اهدنا بهديك ووفقنا لطاعتك حتى تبعثنا وأنت راض عنا فتدخلنا جنتك يا أرحم الراحمين

والمَصَائِبِ والمَعائِبِ

المصائب جمع مصيبة ولا مصيبة أعظم من مصيبة الدين، أخرج السيوطي في الجامع الصغير عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه {اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ـ إلى أن قال فيه ـ ولا تجعل مصيبتنا في ديننا} قال العزيزي أى لا تصيبنا بما ينقص ديننا من أكل حرام واعتقاد سوء وفترة في العبادة وإلى هذا المعنى أشار فقال:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم — والمنكرون لكل أمر منكر

وبقيت في خلف يزكي بعضهم بعـ — ـضا ليدفع معور عن معور

ابني أن من الرجال بهيمة — في صورة الرجل السميع المبصر

فطنا بكل مصيبة في ماله — فإذا أصيب بدينه لم يشعر

فسل اللبيب تكن لبيبا مثله — من يسع في علم بلب يظفر

وقوله المعائب جمع عيب بمعنى العيوب والمراد به ما يعيب الإنسان بين يدي الله تعالى من المعاصى والذنوب طهرنا الله من ذلك وأصلح أحوالنا هناك .

وَالنَّوَائِبِ وَاللَّوَازِمِ

النوائب جمع نائبة وهي المصيبة ونوائب الدهر شدائده واللوازم جمع لازم واللازم ما يختص بالشئ ولا ينفك عنه والمراد به هنا البلايا التي لا تنفك عن الإنسان ومعنى كلامه طلب الذاكر من الله خلاصه من المصائب وشدائد الدهر التي لا تنفك عن الإنسان غالبا:

إليك رسول الله أشكو نوائبا — من الدهر لا يقوى به المتحمل

وإني لأرجو أنها بك جلى — فإنك لي جاه وحصن ومعقل

وَالهُمُومِ الَّتِي قَدْ سَاوَرَتْنِي فِيهَا الغُمُومُ بِمعَارِض أَصْنَافِ البَلَاءِ

الَهموم جمع هم وهو الحزن والمساواة المغالبة والغموم جمع غم قال في المصباح: غمه الشئ غما غطاء ومنه قيل للحزن غم لأنه يغطي السرور والحلم اهـ .

وقوله بمعارض جمع معرض وهو ما يعرض للإنسان من حمى وغيرها وأصناف جمع صنف بكسر الصاد قال في المصباح قال ابن فارس فيما ذكره عن الخليل الطائفة من كل شئ وقال الجوهري الصنف هو النوع والضرب اهـ والبلاء قال في المختار البلية والبلوى والبلاء واحد يقال بلاء جربه واختبره وفي المصباح بمعنى امتحنه ومعنى الكلام أن الذاكر طلب من الله أن يخلصه من الهموم التي غالبته بسببها الغموم والأحزان بما عرض له من أنواع البلاء فقوله التي قد ساورتني صفة للمضار وما عطف عليها والضمير في قوله فيها عائد على الوصول والمراد به جمع ما ذكر من المضار وغيرها من المعطوفات (تنبيه) يجب على المريد إذا نزلت به

مصيبة واعترته هموم وأحزان أن يتلقى ذلك بالصبر الجميل لينال من الله الثواب الجزيل ففي الحديث النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وقال على بن الجهم ﷺ:

فما تجرع الصبر معتصم بالله إلا أتاه الله بالفرج

وقال محمد بن بشار ﷺ:

إن الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتجاه

لا تيأسن وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

ومن جزع من المصائب . واضطرب عند وقوع النوائب . كان عاملا فيما يكسبه وزرا . وناهيك خسرا. ولله در القائل:

وإن تصبك فاصبر لها عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

ويرحم الله الإمام القاضي التنوخي حيث يقول:

هون على قلبك الهموم فكم قاسيت غما أدى إلى الفرج

ما الشر من حيث تتقيه ولا كل مخوف يقضي إلى الترح

وقال بعض الشرفاء من أهل وازان ﷺ:

كم كربة قد نزلت بجيشها وضاق صدري من لقاها وانزعج

حتى إذا أيست من زوالها جاءت لي الألطاف تسمى بالفرج

وضروب جهد القضاء

ضروب جمع ضرب بفتح الضاد وسكون الراء الصنف والنوع والجهد بفتح فسكون التعب والمشقة قال في المصباح وجهده الأمر والمرض جهدا أيضا إذا بلغ منه المشقة ومنه جهد البلاء اهـ والقضاء الحكم والمراد به هنا حكم الله على عباده .

إلهي لا أذكرُ منكَ إلاّ الجميلَ

هـذا مـن الذاكر تضرع ومناجاة والإلَه هو المعبود بحق وأضافه إلى نفسه لشدة احتياجه إليه كما قيل:

إني إليك مدى الأنفاس محتاج   لو كان في مفرقى الإكليل والتاج

وقولـه لا أذكـر مـنك إلا الجميل أي لا أعهد منك إلا إسداء المعروف وتوالي النعم قال تعـالى ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾(لقمان:٢٠) وقال ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾(النحل:٥٣) وقال ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا ﴾(النحل:١٨) والجميل ضد القبيح .

قـال القشـيري في كتابه التحبير: الجليل الجميل اسمان من أسماء الله تعالى ورد بهما التوقـيف، ثـم قـال: وأمـا الجميل فقد اختلفوا فيه فمنهم من قال إنه بمعنى الجليل وجمالَه هـو جلالَـه وعظمـته سـبحانه واعلم أن الله سبحانه يكاشف القلوب مرة بوصف جلالَه ومرة بوصـف جمالَه فإذا كاشفها بنعت جمالَه صارت أحوالَه عطشا في عطش وإذا كاشفها بوصف جلالَـه صـارت أحوالَـه دهشـا في دهـش فمـن كاشفه بجلالَه أفناه ومن كاشفه بوصف جمالَه أحـياه وكشـف الجـلال يوجـب احتـياجا وثـبورا وكشـف الجمـال يوجـب ارتـياحا وسروراً والعارفون كاشفهم بجلالَه فغابوا والمحبون كاشفهم بجمالَه فطابوا اهـ منه:

ولمْ أرَ منكَ إلاّ التَّفْضيلَ

أي لا تعـاملني إلا بالإحسـان وأنا مصر على الإساءة والعصيان لَهذا كمال فضلك وجميل سترك والتفضيل مصدر فضل بتشديد الضاد يقال فضلته على غيره صيرته أفضل منه .

خيْرُكَ لي شامِلٌ

أي كـرمك وجـودك شامل لي في كل وقت والخير ضد الشر وشامل أي جامع لما تفرق مـن أمـره، قـال الشـناوي: لدفع الفقر يكرر ﴿ اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾(الشورى:١٩) يقرؤها ثلاثا .

وَصُنْعُكَ لي كامِلٌ

الصنع بضم الصاد مصدر قولك صنع إليه معروفك وإحسانك تام لي في كل حالة من الأحوال .

ولُطْفُكَ لي كاملٌ

اللطف بضم اللام الرفق يقال لطف الله بنا أي رفق بنا والكافل هو الذي يكفل إنسانا يعولَه ومنه قولَه تعالى ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾(آل عمران:٣٧) واعلم أن قول الذاكر لطفك الخ كأنه ينادي الله تبارك وتعالى باسمه اللطيف . قال الشيخ المختار الكنتي في كتابه نضار الذهب: ومن أسمائه تعالى الحسنى بإجماع الأمة اللطيف وهو في اللغة على وجهين:ـ **أحدهما**: أنه مأخوذ من لطف يلطف إذا رفق بغيره . **والثاني**: من قولَهم لطف بضم الطاء إذا صغر ودق، هذا الوجه لا يليق بمعنى اللطيف في صفات الله تعالى وإنما يقال الله اللطيف على الوجه الأول وهو كونه لطيفا في فعلَه بإنعامه وأفضالَه فيصير بذلك من صفات أفعالَه اهـ .

تنبيه:ـ اعلم أن لَهذا الاسم الشريف تأثيرا عجيبا في قضاء الحاجات ونيل جميع الرغبات من خالق الأرض والسموات في جميع الأوقات قال سيدنا وسندنا القطب الرباني العارف الصمداني سيدنا أبو العباس التجاني في بعض رسائلَه كما في جواهر المعاني: ومن كثرت عليه الديون وعجز عن آدائها أو كثر عيالَه واشتد فقره وانغلقت عليه أسباب المعاش فليفعل ما ذكرنا يعنى بأن يلازم ألف من قولَه يا لطيف خلف كل صلاة إن قدر وإلا ألفا في الصباح وألفا في المساء فإنه بذلك يسرع خلاصه من مصيبته وينبغي أن يلازم قبلَه مائة من صلاة الفاتح لما أغلق ويهدي ثوابها للنبي ﷺ وينوي بهما أعنى باللطيف والصلاة على النبي ﷺ أن ينقذه الله تعالى من جميع وحلته ويعجل خلاصه من كربته فأنه تسرع لَه الإغاثة في أسرع وقت ويرد الفرج من الله عن قريب .

ومن دعاه خوف هلاك متوقع نزولَه به من خوف ظالم ولا يقدر على مقاومته أو خوف من صاحب دين لا يجد منه عذرا ولا إمهالا ولا يجد من المال ما يؤديه لَه ومن كل مخوف فليلازم ما ذكرنا من أحد الأمرين أو هما معا فإنه ينقشع عنه عن قريب اهـ . منها بتقديم وتأخير واختصار وإيضاح

فائدة:ـ نقل أن أبا المواهب سيدي العربي ابن السائح ﷺ ذكر: لَهذا اللطيف زجْراً

وهو أن تتلو ألفا من يا لطيف فإذا كملته فاتل صلاة الفاتح مرة ثم يا لطيف أربعا ثم اللّهم بسر اسمك اللطيف بي في الأمور كلّها واسلك بي مسالك النجاة وألطف بي يا لطيف ثم يا لطيف أربعا ثم اللّهم بسر اسمك اللطيف الطف بي فيما جرت به المقادير عندك يا لطيف ثم يا لطيف أربعا اللّهم بسر اسمك اللطيف أدخلني في دائرة اللطف والحفظ والنجاة والأمان يا لطيف ثم يا لطيف أربعا ثم اللّهم بسر اسمك اللطيف الطف بي لطفا خفيا من دقائق لطفك الخفي الذي إذا لطفت به لعبد كفى يا لطيف ثم صلاة الفاتح ثلاثا أو سبعا أو أحد عشر اهـ .

من خط بعض الأصحاب الثقاة وقال صاحب المنهج الحنيف في معنى اسمه تعالى اللطيف: هذا الاسم ما أسرعه لتفريج الكرب في أوقات الشدائد لا يضاف إليه غيره يظهر من أثره العجب العجاب ولا يذكره من يؤلمه شئ في نفسه أو بدنه إلا أزاله الله عنه في أثناء الذكر ولا يذكره أحد هالَه في نفسه أمر عظيم ومثل ذلك الأمر في مخيلته ثم أقبل على الذكر وهو يلاحظ تلك الكيفية إلا شاهدها كيف تنجلي وتضمحل فلا يقوم من مقامه وبقى شئ يرهبه البتة .

قال تاج الدين بن عطاء الله ﷺ:

أصبحت أطلب منك اللطف مجتهداً ... واللطف يطلبني لو كنت أعقلَه

وما تحملني عما تشاء به ... إلا وأنت بلطف منك تحملَه

وروى السمعاني عن والده قال سمعت سعد بن نصر الواعظ يقول كنت خائفا من الخليفة لحادث نزل بي واشتد الطلب فرأيت في المنام كأني في غرفة وأنا أكتب شيئا فجاء شخص فوقف بإزائي وقال أكتب ما أملي عليك وأنشدني:

دافع بصبرك حادث الأيام ... وترج لطف الواحد العلام

لا تيأس وإن تضايق كربها ... ورماك ريب صروفها بسهام

فلَه تعالى بين ذلك فرجة ... تخفى عن الأبصار والأوهام

كم من نجى بين أطراف القنا ... وفريسة سلمت من الضرغام

وفي هذا القدر كفاية ومن أراد استيفاء الكلام على هذا الاسم الشريف فعليه بالمنهج الحنيف وبإقناع العفيف كلاهما في اسمه تعالى اللطيف وقال أبو العباس السرجي عن أبي الفضل الناظم قال وقعت في شدة عجز عن دفعها أرباب الجاه فعملت هذين البيتين وعلقتهما تجاه القبلة فكشف تلك الشدة عني:

يا رب ما زال لطف منك يشملني وقد تجدد بي ما أنت تعلمه
فأصرفه عنى كما عودتني كرما فمن سواك لهذا العبد يرحمه

وَبِرُّكَ لي غَامِرٌ

البر بالكسر الخير والفضل والغامر الكثير أي خيرك وفضلك كثير كثير لي في جميع حركاتي وسكناتي.

وفَضْلُكَ عَلَيَّ دَائِمٌ مُتَوَاتِرٌ

الفضل الزيادة فوق الحاجة والتواتر التتابع قال في المصباح قال الأزهري في التوتيرة المداومة على الشئ والملازمة وهي مأخوذة من التواتر وهو التتابع اهـ . المعنى أن فضل الله دائم متواتر أي متتابع على ذاكره قال تعالى ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (البقرة:١٥٢) .

ونِعَمُكَ عِنْدِي مُتَّصِلَةٌ

النعم بكسر النون وفتح العين جمع نعمة وهي عبارة عن كثرة المال واتساع الحال في الأكل والشرب والنكاح واللباس يقال فلان واسع النعمة أي واسع المال، قال في الخازن في قوله تعالى ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾(النحل:٥٣) يعنى من نعمة الإسلام وصحة الأبدان وسعة الأرزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى إنما هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع أنعامه اهـ .

لمْ تُخفِرْ لي جِوَارِي

الاخفار نقض العهد، قال في المختار: أخفره نقض عهده وغدره، فقوله تخفر بضم التاء وكسر الفاء مضارع أخفر الرباعي وليس بفتح التاء مضارع خفي الثلاثي والجوار بكسر الجيم الذمة والمعنى طلب الذاكر من الله تعالى أن يؤمنه ولا ينقض عهده وذمته، قال الشناوي: والجوار إما بمعنى الأمان فالمعنى لم ينقض أماني من لدنك الذي هو بمنزلة العهد في عدم التبدل وهو عصمة الدم والمال والولد بسبب الإسلام وأما بمعنى المقارنة في السكنى فالمعنى لم تنقض وعدك بقربى عندك في الجنة يوم القيامة أو لم تنقض وعدك بقربى عندك في الدنيا اهـ .

وأمّنتَ خوفي

أي إذا لم تنقض عهدي وذمتي فقد أمنتني من خوف عذابك وسطوة انتقامك لكن هذا في الآخرة فقط وأما في الدنيا فيجب على المؤمن أن يكون بين الرجاء والخوف كالطائر بين جناحين قال تعالى ﴿ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(الأعراف:٩٩) والخوف كما في الأحياء: عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وهو من أخلاق المؤمنين ومقامات أهل اليقين، قال تعالى ﴿ هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾(الأعراف:١٥٤) وقال ﴿ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾(آل عمران:١٧٥) وقال ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾(الرحمن:٤٦) وقال ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ﴾(الأعلى:١٠) فجعل فضائل الذكر مخصوصة بالخائفين وقال ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾(النازعات:٤٠-٤١) .

وقال ﷺ {رأس الحكمة مخافة الله تعالى} وقال عبد الله بن مسعود: المؤمن يرى ذنوبه كأنه تحت جبل يخاف أن يقع عليه والفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فأطاره، قال الشيخ جسوس في شرح المرشد: والتشديدات الواردات في الأمن من مكر الله لا تنحصر وكلها ثناء على الخوف لأن مذمة الشئ ثناء على ضده الذي ينافيه وضد الخوف الأمن اهـ .

قال في الحكم لا يخرج الشهرة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق، وقال أبو علي الدقاق ﷺ: صاحب الحزن يقطع من طريق الله ﷻ في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه في سنين اهـ . أي لأن من حقيقته التهمم بالمحزون عليه والتهمم يقضي النهوض في طلبه قال ابن جزي في تفسيره: والناس في الخوف على ثلاث مقامات فخوف العامة من الذنوب وخوف الخاصة من الخاتمة وخوف خاصة الخاصة من السابقة فإن الخاتمة مبنية عليها اهـ

وفي لطائف المنن عن الشيخ أبي العباس المرسي ﷺ قال: العارف إذا خوف خاف قال الله تعالى حكاية عن سيدنا موسى ﷺ ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾(الشعراء:٢١) يريد الشيخ ﷺ: أن العارف لا يقطعه نظره إلى فضل الله عن شهود عدله ولا يحجبه شهود لطفه عن خوف ما بطن في مشيئته، ونقل عن الإمام الشاذلي ﷺ أنه قال: قيل لي لا تأمن مكري وإن أمنتك فإن علمي لا يحيط به محيط اهـ .

وقال ﷺ {من خاف الله خاف منه كل شئ ومن لم يخف الله خوفه من كل شئ}

ونظم بعضهم هذا الحديث فقال:

ومـن يخـاف الله رب العـالمين يخافـه كـل قـوي ومـتين
ومـن يخـاف الله خـاف مؤلـما خـوف مـنه خلقـه فلتعـلما
والعكـس بـالعكس كمـا في الخـبر فانظـر لنفسـك وحقـق النظر

تنبيه:- لأجل ما ورد في خوف الله وعدم الأمن من مكره بنيت طريقتنا الحمدية الأحمدية التجانية الإبراهيمية الحنيفية على عدم الأمن من مكر الله تعالى قال سيدنا ﷺ كما في جواهر المعاني: ابشروا أن كل من كان في محبتنا إلى أن مات عليها يبعث من الآمنين على أي حالة كان ما لم يلبس حلة الأمان من مكر الله وفيها أيضا وسألته عن حقيقة المكر؟ فأجاب بقوله: حقيقة المكر هو إظهار النعمة على العبد وبسطها له ثم يدرجه إلى غاية الهلاك في تلك النعمة اهـ .

وقد كان سيدنا ﷺ كثيرا ما ينشد للفقراء:

وآمـن مكـر الله بـالله جـاهل وخـائف مكـر الله بـالله عـارف
ولا جـاهل إلا مـن الله آمـن ولا عـارف إلا مـن الله خـائف

وَصَدَقْتَ رَجَائِي

أي أعطيتني ما رجوته يوم القيامة من قبول الحسنات والعفو عن السيئات ورفع الدرجات في أعلى الغرفات وحقيقة الرجاء هو ارتياح القلب لانتظاره ما هو محبوب عنده وإن شئت قلت الرجاء طمع يصحبه عمل في المطموع فيه بوجه يحصله بحكم سنة الله سبحانه .

قال الشيخ زروق في شرح الحكم: وقال أيضا هو الطمع فيما عند الله بشرط العمل في سبب الوصول إليه وما ورد فيه خارج عن الحصر، قال تعالى ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ..... الآية ﴾(الزمر:٥٣) وقال ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾(الرعد:٦) وفي تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾(الضحى:٥) قال لا يرضى محمد ﷺ وواحد من أمته في النار وعنه ﷺ {أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها في الدنيا بالزلازل والفتن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل واحد من أمتي رجل من أهل الكتاب فقيل له هذا فداؤك من النار} وفي الخبر {لو لقيني عبدي بقراب الأرض

ذنوبا للقيته بقراب الأرض مغفرة ما لم يشرك بي شيئا} وفي الخبر: ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد حتى أن إبليس ليتطاول رجاء أن تصيبه .

تتمة:ـ ذكر شيخنا القطب الرباني والنور والعرفان أبو العباس سيدي أحمد التجاني أن صفة العبد المؤمن أن يكون دائما خائفا من ربه لا يأمن على نفسه بحال ولا يطمئن قلبه من خوف عذاب الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۞ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾(المعارج:٢٧-٢٨) والإيمان له جناحان كالطائر جناح وهو الأول: من الخوف وهو توجع القلب من شدة الوعيد، والجناح الثاني: هو الرجاء في الله ﷻ بأن يغفر له ولا يعذبه ولا يتوقع فيه الأمان فإذا تمحض الرجاء وحده بلا خوف كان أمنا والأمن من مكر الله تعالى عين الكفر بالله تعالى فإذا تمحض الخوف وحده كان يأسا من الله ﷻ واليأس من الله ﷻ عين الكفر بالله والسلام اهـ . نقله سيدي عمر الفوتي في الرماح .

وقال في الإحياء: فإن بالحقيقة الرجاء الحقيقي لا ينفك عن الخوف الحقيقي والخوف الحقيقي لا ينفك عن الرجاء، ولذلك قيل: الرجاء كله لأهل الخوف إلا الأمن والخوف كله لأهل الرجاء إلا اليأس .

وقال يحيي بن معاذ ﷺ: من عبد الله بمحض الخوف تاه في بحار الأفكار ومن عبد الله بمحض الرجاء تاه في مفازة الاغترار ومن عبد الله بالخوف استقام على محجة الأذكار اهـ .

وفي ابن جزي الرجاء ثلاث درجات الأولى: رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعة وترك معصية فهذا هو الرجاء المحمود، والثانية: الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور، والثالثة: أن يقوي الرجاء حتى يبلغ إلى الأمن فهذا حرام، والناس في الرجاء على ثلاث مقامات: فمقام العامة ثواب الله، ومقام الخاصة رجاء رضوان الله، ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبا فيه وشوقا إليه اهـ .

وَحَقَّقْتَ آمَالِي

الآمال جمع أمل كما في المصباح هو الترقب إلى الشيء وانتظاره والرجاء بين الأمل والطمع فإن الراجي قد يخاف أن لا يحصل مأموله ولهذا يستعمل بمعنى الخوف فإذا قوى الخوف استعمل استعمال الأمل والمعنى أن من لم يخفر الله جواره يؤمن خوفه ويصدق رجاؤه ويحقق مأموله وذلك بكرمه وفضله وجوده وامتنانه أمن الله خوفنا وصدق رجاءنا وحقق مأمولنا بجاه سيدنا محمد ﷺ .

وصَاحَبْتَني في أسفَارِي وأَكْرَمْتَني في احْضَارِي

المصاحبة الملازمة وكل شئ لازم شيئا فقد استصحبه والمعنى طلب الذاكر من الله تعالى أن يرافقه في سفره بالألطاف الخفية ويحفه بأنواع السلامة والعافية وأن يحفظه من كل مخوف ويؤمنه من كل مؤذ وأن يكرمه في حضره بأنواع الخيرات ويفيض عليه من مواهب المنح والعطيات .

وعَافَيْتَ أمْرَاضي وشَفَيْتَ أوْ صَابي

والعافية زوال الأسقام يقال عافاه الله محا عنه الأسقام وإذا محا الله عن العبد الأسقام زال عنه المرض وحصل لَه الشفاء، والأوصاب جمع وصب والوصب الوجع ومعنى هذا أن الذاكر طلب من الله أن يعافي أمراضه ويشفي أوصابه، لكن المراد بالعلل والأوصاب علل القلوب بكثرة الخطايا والذنوب ووجع الجوارح بالتكاسل عن عبادة علام الغيوب لأن هذا هو المطلوب الأهم والمقصود الأتم وإلا فالأمراض الظاهرة أن تلقاها المؤمن بالصبر والرضى نال من الله الأجر الجسيم والثواب العظيم .

ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال {ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها خطاياه} وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده ومالَه حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة} أخرجه الترمذي والحاكم وصححاه، وعن أم الدرداء ﷺ أنها كانت تقول: إن الراضين بقضاء الله الذين ما قضى لَهم رضوا به لَهم في الجنة منابر تغبطهم بها الشهداء يوم القيامة . وعن سعد ابن أبي وقاص ﷺ قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال {الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة}[1]

وقال ابن عبادة: إذا علم العبد أن الله تعالى رحيم به ومستعطف عليه وناظر إليه فكل ما يورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغي لَه أن لا يكترث بذلك ولا يباليه فإنه لم يتعد إلا خيرا لَه فليحسن به ظنه وليعتقد أن ذلك اختبار لَه وأن في ذلك مصالح خفية لا يعلمها إلا هو كما قال الله تعالى ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾(البقرة:٢١٦) قال أبو طالب

---

(١) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة وابن أبي الدنيا وصححه الترمذي اهـ . انظر برد الأكباد لجلال الدين السيوطي رحمه الله .

المكي في هذه الآية: فالعبد يكره العيلة والفقر والخمول والضر وهو خير له في الآخرة وقد يحب الغنى والعافية والشهرة وهو شر له عند الله تعالى وأسوأ عاقبة، وفي معنى ذلك قوله تعالى ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾(لقمان:٢٠) قيل ظاهرة العوافى وباطنة البلايا لأنها نعمة في الآخرة فإذا كل ما يصيب المؤمن فهو نعمة كائنا ما كان فله الحمد على نعمه اهـ .

فائدة: قال الجنيد ﷺ: كنت نائما عند سري السقطي ﷺ فنبهني وقال لي: ياجنيد رأيت كأني قد وقفت بين يدي الله تعالى فقال لي: يا سري خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتي فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقى معي عشر العشر وخلقت الجنة فهرب مني تسعة أعشار العشر وبقى معي العشر وخلقت النار فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر فقلت للباقين معي لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم ولا من النار هربتم ولا من البلاء فررتم ثم ماذا تريدون؟ قالوا: إنك لتعلم ما نريد، فقلت لهم: إني أسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم ما لا تقوم به الجبال الرواسي أتصبرون؟ قالوا: إذا كنت أنت المبلى فافعل ما شئت، فهؤلاء عبادي حقا اهـ . وقد أنشد جعفر بن مكي البغدادي ﷺ:

إلهي يا مولى الموالي وخير من	تمد إليه الراح عند سؤالي
قطعت رجائي عن سواك لأنني	رجوتك إذ كنت العليم بحالي
وما بك في كل الأمور مفوضا	إليك فقد جاز المنى بكمال

وقال الإمام أبو على الحسين بن محمد المروزي ﷺ

إذا ما رماك الدهر يوما بنكبة	فأوسع لها صدرا وأوسع لها صبرا
فإن إله العالمين بفضله	سيعقب بعد العسر من فضله يسرا

وقال بعض الشعراء:

إذا بليت فثق بالله وارض به	إن الذي يكشف البلوى هو الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته	ما لا مرىء حيلة فيما قضى الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه	لا تيأسن فإن الصانع الله

تنبيه: قال الشناوي رحمه الله: يقرأ لدفع الأمراض الروحانية والجسمانية بسم الله

الشافي بسم الله الكافي بسم الله المعافي بسم الله خير الأسماء بسم الله رب الأرض والسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ويقرأ إحدى وأربعين مرة ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾(الدخان:١٢) اهـ .

وأَحْسَنْتَ مُنْقَلَبي ومَثْوايَ

المنقلب الرجوع من حالة إلى أخرى والمثوى الاستقرار والمعنى طلب من الله أن يحسن منقلبه أي رجوعه إلى دار الآخرة وأن يحسن استقراره فيها قال تعالى ﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾(غافر:٣٩) اهـ .

وَلَمْ تُشْمِتْ بِي أَعْدائي وَحُسَّادِي

الشماتة الفرح ببلية العدو قال في المصباح شمت به يشمت إذا فرح بمصيبة نزلت به والأعداء جمع عدو والعدو خلاف الصديق المولى والحساد جمع حاسد والحاسد هو الذي يتسنى زوال النعمة عن المحسود واتخاذها لنفسه وهو حرام كتابا وسنة وإجماعا، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله عند قوله: وحسد كل حاسد، وقد طلب من الله أن لا يشمت به أعداءه وحساده روى الديلمي عن حديث أبي هريرة ﷺ {للمؤمن أربعة أعداء مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وشيطان يضله وكافر يقاتله} وأنشد سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ حين حضرته الوفاة:

ألم تر أن ربك ليس تحصى ... أياديه الحديثة والقديمة

تسل عن الهموم فليس شئ ... يقيم ولا همومك بالمقيمة

لعل الله ينظر بعد هذا ... إليك بنظرة منه رحيمة

قال الشناوي: يقرأ اثنى عشرة مرة رب ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾(القمر:١٠) ويصلي ركعتين بنية تفرقة الأعداء يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة تبت الخ إحدى وأربعين مرة ثم يسجد ويقول في سجوده حسبي الله ونعم الوكيل إحدى وسبعين مرة ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾(الأنفال:١٧) يا مذل كل جبار عنيد بقهر عزيز سلطانه إحدى وعشرين مرة ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(البقرة:١٣٧) إحدى عشرة مرة .

ورَمَيْتَ مَنْ رَماني بِسُوءٍ

أي أطلب منك يا رب أن تهلك من أذاني ورماني بسوء سواء كان الرامي بالقول أو بالفعل.

وَكفَيْتَني شَرَّ مَنْ عَاداني

طلب من الله أن يكفيه شر من عاداه وأعدى الأعادي هي النفس كما في الحديث أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ثم يليها في العداوة الشيطان والهوى ولا أحد ينفعك عن الثلاثة إلا من حفظه الله منهم .

فأنا أسألُكَ يَا اللهُ أنْ تَدْفعَ عَنِّي

كَيْدَ الحاسِدِينَ وَظُلْمِ الظَّالمينَ وشَرِّ المُعانِدِينَ

توسل إلى الله تعالى أن يدفع عنه كيد كل حاسد وظلم كل ظالم وشر كل معاند وصرح باسم الجلالة لأنه في مقام التضرع والابتهال وقرع باب الكبير المتعال والكيد لغة الخديعة والمكر والظلم وضع الشئ في غير موضعه والمعاند هو المخالف للحق والمعارض له بالعصيان .

وَاحْمنِي تَحْتَ سُرَادِقاتِ عِزِّكَ يا أكْرَمَ الأكْرَمينَ

طلب من الله أن يحميه أي يمنعه تحت سرادقات عزه لأنه أكرم الأكرمين وارحم الراحمين الحماية لغة الدفع يقال حماه يحميه حماية دفع عنه وهذا شئ حمى أي محظور لا يقرب والسرادق ما يمد على صحن البيت . وقال الجوهري كل بيت من كرسف سرادق، وقال أبو عبيدة: السرادق الفسطاط قاله في المصباح، والمراد به هنا الستر بالعز والنصر والمنعة من كل مؤذ ومضر وذلك بفضل الله وكرمه وجوده وإحسانه.

وبَاعِدْ بَيْني وَبْينَ أعْدَائي كما باعَدْتَ بَينَ المْشرقِ والمغْربِ

البعد ضد القرب والمعنى أن الذاكر طلب من الله أن يباعد بينه وبين أعدائه كما باعد بين المشرق والمغرب والمراد بالمشرق موضع شروق الشمس وبالمغرب موضع غروبها وقدر ما بينهما هو اليوم بتمامه أو الليل بتمامه .

وَأخْطَفْ أبْصَارَهُمْ عَنى بنُورِ قُدْسِكَ

الخطف الاستلاب وهو بفتح الطاء فعل أمر من باب فهم وهي اللغة الجيدة وفيه لغة

أخرى من باب ضرب وهي قليلة رديئة لا تكاد تعرف والنور ضد الظلمة ومعناه طلب من الله أن يخطف أي يستلب عنه أبصار الأعداء بنور قدسه ويفيض عليه شعاع أنسه حتى لا يقدر أحد أن ينظره بسوء في جميع لحظاته .

واضْرِبْ رِقَابَهُمْ بِجَلالِ مجْدِكَ

هذا دعاء أيضا على الأعداء بأن يضرب رقابهم بجلال مجده وجلال الله عظمته والمجد والعز والشرف والكرم ومعناه طلب من الله أن يضرب رقاب أعدائه ويهلكهم بعظمته وعزه وكرمه .

واَقْطَعْ أعْنَاقَهُمْ بِسَطَوَاتِ قَهْرِكَ

هذا أيضا دعاء على الأعداء بقطع أعناقهم ومحق أثرهم بسطوات قهر الله الذي لا يطاق انتقامه ولا يدرك عزه وسلطانه والسطوة البطش بشدة يقال سطا به وعليه قهره وأذله والقهر الغلبة قال تعالى وهو القاهر فوق عباده وقال تعالى وهو الواحد القهار.

وأَهْلِكْهُمْ وَدَمِّرْهُمْ تَدْمِيراً كما دَفعْتَ كيْدَ الحُسَّادِ عَنْ أَنْبِيَائِكَ

هذا تعميم بعد تخصيص والمراد طلب هلاك أعدائه وتدميرهم والدمار الهلاك فهو مرادف لما قبله وقد طلب من الله أن يكون هلاك أعدائه وتدميرهم كهلاك وتدمير أعداء الأنبياء وحسادهم وقد أهلك الله قوم عاد بالريح العقيم، وقوم نوح بالغرق، وبني إسرائيل بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وغيرهم من الأمم كل واحد بنوع من أنواع الهلاك كما قص الله علينا ذلك في كتابه الحكيم قال تعالى ﴿ وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾(هود: ١٢٠) .

وضَرَبْتَ رِقابَ الجَبابِرَةِ لأَصْفِيَائِكَ

الجبابرة جمع جبار والجبار هو المتكبر يقال جبار من الجبرية لأن التكبر في وصف الخلق مذموم وفي وصف الحق سبحانه محمود والأصفياء جمع صفي وهو الخالص من الكدر والمراد به هنا أولياء الله المختارون لقربه ومشاهدة أسراره وشراب حبه، سقانا الله من شراب شيخنا القطب الأكبر والكبريت الأحمر العارف الرباني أبي العباس سيدنا أحمد التجاني بجاه جده صفوة الله من خلقه سيدنا محمد حبيبه ونبيه ﷺ وعلى آله .

وخَطِفتَ أبصارَ الأعداء عنْ أوْليائِكَ

خطف بكسر الطاء فعل ماض من باب فهم كما سبق وتقدم معنى خطف أبصار الأعداء والأولياء جمع ولي والولي فعيل بمعنى فاعل من وليه إذا قام به ومنه ﴿ الله وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾(البقرة:٢٥٧) والجمع أولياء قاله في المصباح،

وقال أبو القاسم القشيري في رسالته: قال يحيي بن معاذ في صفة الأولياء هم عباد تسربلوا بالأنس بعد المكابدة واعتنقوا الروح بعد المجاهدة بوصولهم إلى مقام الولاية، ثم قال: وقال أبو على الجوزجاني: الولي هو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة الحق سبحانه تولى الله بسياسته فتوالت عليه أنوار التوالي لم يكن على نفسه أخبار ولامع غير الله قرار، ثم قال: وقال يحيي بن معاذ: الولي ريحان الله في الأرض يشمه الصديقون فتصل رائحته إلى قلوبهم فيشتاقون به إلى مولاهم ويزدادون عبادة على تفاوت أخلاقهم أنظرها ففيها ما يشفى ويكفي، وقد أشار إلى معناه شيخنا العلامة سيدي الحاج محمد كنون جدد الله عليه الرحمات بقوله:

ثم الولي مؤمن قد قربا   من ربه قرب اصطفاء واجتبا

وقَطعْتَ أعناقَ الأكاسِرَةِ لأتقيائكَ

الأكاسرة جمع كسرى بكسر الكاف كما في اللغة الفصيحة وهو لقب لكل من ملك الفرس كما إن قيصر لقب لكل من ملك الروم والمراد به هنا كل من جار في حكم الله وتجبر على خلقه والأتقياء جمع تقي والتقوى هي رأس كل خير قال تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ ﴾(الحجرات:١٣) وقد أشار إلى حقيقتها صاحب الرشد بقوله:

وحاصل التقوى اجتناب وامتثال .... الخ.

وقد ذكر الله لفظ التقوى في كتابه ما يقرب من ماشتى مرة وذلك دليل على تعظيمها فليشمر العاقل فيها عن ساعد جده ويعمل في تحصيلها بغاية جهده، قال الشيخ زروق: وكان بعض السلف يوصيني ويقول التقوى عز والعلم كنز وترك الشر حرز وصدق رحمه الله، قال ابن جزري في تفسيره درجات التقوى :خمس تقوى الكفر وهو مقام الإسلام وتقوى المحرمات وهو مقام التوبة وتقوى الشبهات وهو مقام الورع وتقوى المباحات وهو مقام الزهد وتقوى خطوره غير الله على القلب وهو مقام المشاهدة، وإلى هذه الدرجات أشار سيدي عبد القادر بن شقرون فقال:

مراتــب الــتقوى لخمــس قســمت كفــر حــرام شــبهت قــد علمــت

ثــم مــباح لحــظ غــير الله فــلا تكــن عــن ذكــره بــاللاهي

إســلامنا الأول ثــم توبــة وورع زهــد فشــاهد قــربه

والبواعث عليها عشرة جمعها شيخنا المحقق سيدي التهامي كنون حفظه الله وأدام النفع به آمين بقوله:

ثــم البواعــث علــيها عشــرة خــوف العقــاب في الدنــيا والآخــرة

كــذا رجــاء الــثواب فــيهما وزد شــكرا حــياء ثــم عــلما لا تحــد

خــوف الحســاب ثم صــدق الحــب كذلــك تعظــيم جــلال الــرب

وقد أكثر السلف والخلف في مدحها والحض على ملازمتها قال مولانا عبد السلام بن بشيش ﷺ:

علــيك بــتقوى الله في الســر والجهــر إذا شــئت توفــيقا إلى ســبل الخــير

لأن الــتقى أصــل إلى الخــير كلــه فخــذه تفــز في كــل نــوع مــن الــبر

وخــير جمــيع الــزاد مــا قــال ربــنا فكــن يــا أخــي لله ممتــثل الأمــر

وكـن صـابرا إن شـئت تظفر بالمعنى لأن إلــه الخلــق أثــنى عــلى الصــبر

وكـن خاشـعا لله بالعـلم والرضى مع الذكـر والإخـلاص والـزهد والشـكر

وكــن ورعــا وأرض القــناعة حــرفة وكــن صــادقا لله في حالــة الفقــر

وداوم عــلى القــرآن إن كنــت قارئــا وإلا فمــا تقــوى علــيه مــن الذكــر

خــالف قــوى الــنفس اللئــيمة إنهــا تمــيل لمــا يطغــى وتكــره لــلخير

ولا تطمعــن في الخلــق وارض بخــالق يجــود عــلى المخلــوق في البر والبحر

وأتيت بها بطولها لاشتمالها على فوائد كثيرة ومواعظ جميلة وقال آخر:

علــيك بــتقوى الله في كــل حالــة ولا تــترك التقوى اتكالا على النسب

فقــد رفــع الإســلام ســلمان فــارس وقــد وضــع الكفــر الشــريف أبا لهب

وقال آخر:

بتقوى الإله نجا من نجا ... وفاز وصار إلى ما رجا
ومن يتق الله يجعل له ... كما قال من أمره مخرجا
ويرزقه من غير حسبانه ... وإن ضاق أمر به فرجا

ولابن الوردي رحمه الله:

واتق الله فتقوى الله ما ... جاورت قلب امرئ إلا وصل
ليس من تقطع طرقا بطلا ... لما من يتقي الله البطل

قال بعض العارفين: من أخرجه الله من ذل المعصية إلى عز التقوى أغناه بلا مال وأعزه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس ومن رضي من الله بيسير الرزق رضي منه باليسير من العمل ومن زهد في الدنيا أثبت له الحكمة في قلبه وأنطق به لسانه وبصره بعيوب الدنيا وأخرجه منها سالما إلى دار السلام وما ألطف ما قيل:

ولا عيش إلا مع رجال قلوبهم ... تحن إلى التقوى وترتاح الذكر

أهـ . انظر شرح تائية السلوك للشرنوبي وفي هذا القدر كفاية لأولي الألباب والله يلهمنا إلى طريق الصواب.

وأهلكتَ الفَراعِنةَ ودَمَّرْتَ الدَّجاجِلَةَ لخوَاصِّكَ المُقَرَّبينَ وعِبَادِكَ الصَّالحينَ

الفراعنة جمع فرعون وهو لقب لكل مشتغل بالباطل جاحد للحق مخالف للشرع وفي الأصل علم على ثلاثة أشخاص، قال ابن الجوزي: فرعون الخليل واسمه سنان، وفرعون يوسف واسمه الريان، ابن الوليد وفرعون موسى واسمه الوليد بن مصعب. اهـ .

وهذا هو الذي أغرقه الله في البحر كما قال تعالى ﴿ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾(البقرة: ٥٠) والدجاجلة جمع دجال وهو علم على كل من يعطي الحق ويستره ويتلبس بالباطل ويموه عليه حتى يظن من لا علم عنده أنه حق ولذلك سمي به الجنس الذي يخرج في آخر الزمان كما في الحديث وقد سماه النبي ﷺ كذابا بقوله لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون ولا يخلو

منهم زمان، وقد رأينا كثيرا ممن اتصف بهذه الخلال ونبذ الحق وتمسك بالضلال حفظنا الله منهم بجاه مولانا رسول الله ﷺ وخواص الله المقربون هم الأنبياء والمرسلون والملائكة المكرمون وعباده الصالحون هم أولياؤه المتقون وجميع هذه الجمل المعطوفة بالواو دعاء على الأعداء بهلاكهم وتدميرهم كما أهلك ودمر أعداء الأنبياء والمرسلين وعباده الصالحين .

يا غِيَاثَ المُسْتَغِيثِينَ أَغِثْنِي على جميعِ أَعْدَائكَ

اعلم أن هذا الاسم كثيرا ما يذكرونه الأولياء ويجرى على ألسنة الخواص فالذاكر طلب من الله واستغاث به أن ينجيه من أعدائه ويعينه على دفع كيدهم وضررهم وإذابتهم ومن استغاث بالله والتجأ إليه لاشك أنه ينجو من كل ورطة ويخلص من كل شدة قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾(لقمان:٢٢) ثم رتب على هذا الدعاء ما هو واجب عليه وهو أن الله إذا قبل دعاءه على أعدائه ودمرهم وأهلكهم فإن هذه نعمة عظيمة يجب الحمد عليها فقال:

فَحَمْدِي لكَ يا إلَهي وَاجِبٌ

حمد الله هو الثناء عليه بجميع محامده، والتلبس بطاعته وأن لا يعصي الله بنعمه وأن يصرف العبد جميع جوارحه فيما خلقت لأجله قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون ﴾(الذريات:٥٦) .

فائدة:- قال الشناوي: إشارة عقد اللسان ودفع الأعداء يقرأ يا مبدئ البرايا ومعيدها بعد فنائها بقدرته أربعا وثلاثين مرة واسم يا واحد الباقي أول كل شئ وآخره اثنين وأربعين مرة .

وثَنَائي عَلَيْكَ مُتَوَاتِرٌ دَائباً مِنَ الدَّهْرِ إلى الدَّهْرِ بِأَلْوَانِ التَّسَابيحِ والتَّقْدِيس

يعنى أن الثناء على الله واجب على العبد في كل لحظة من اللحظات لأن الإنسان منغمس في النعم والشهوات وكل نعمة يجلب عليها الشكر قال تعالى ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾(النحل:٥٣) وقال ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾(ابراهيم:٧) فلذلك قال دائبا يقال دأب في عمله جد وتعب فهو دائب وقوله دائما عطف تفسير على ما قبله لأنه بمعناه .

ومعنى الدوام على الشئ الثبوت عليه، وقوله من الدهر إلى الدهر أي من السنة إلى السنة لأن الدهر يطلق على الزمان قل أو كثر قال الأزهري والدهر عند العرب يطلق على الزمان وعلى الفصل من فصول السنة وأقل من ذلك ويقع على مدة الدنيا كلها قاله في المصباح وقال في المختار الدهر الأبد وفي الحديث {لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله} لأنهم كانوا يضيقون النوازل إليه فقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك بكم فإن ذلك هو الله تعالى اهـ .

والحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ {قال الله ﷻ يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار} وفي جواهر المعاني ما نصه: وسألته ﷺ عن معنى الدهر فأجاب ﷺ بقوله: معنى حقيقة الدهر هو استمرار وجود الحق بلا بداية ولا نهاية وهو المعبر عنه بالبقاء ﷻ ، وهو معنى قوله في السيفي دائما من الدهر إلى الدهر بألوان من التسبيح، وأما معنى من والى فلا يطلع عليه في هذا الميدان ولا يبحث فيه لأنه ألفته أي جمعته البصيرة النافذة التي لا يطرقها الباطل بوجه من الوجوه ﷺ اهـ .

منها والألوان جمع لون أي أنواع التسبيح والتقديس أي تنزيهه عما لا يليق بجلاله وعظيم سلطانه .

وصُنُوفِ اللُّغَاتِ وأَصْنَافِ التَّنْزِيهِ

الصنوف جمع صنف بفتح الصاد وأصناف جمع صنف بكسرها، قال ابن فارس فيما ذكره عن الخليل: الطائفة من كل شئ، وقال الجوهري: الصنف هو النوع والضرب بكسر الصاد وفتحها لغة حكاها ابن السكيت وجماعة وجمع المكسور أصناف مثل حمل وأحمال وجمع المفتوح صنوف مثل فلس وفلوس واللغات جمع لغة وهي الكلمة ثم فسرها وبينها بقوله: المادحة أخرج بها القادحة والتنزيه بيان التقديس السابق .

خالِصاً لِذِكْرِكَ ومَرْضِيّاً لكَ بِناصِعِ التَّحْمِيدِ والتَّمْجِيدِ

أي جعلت هذا الورد خالصا لذكرك حالة كونه مرضيا لك بناصع أي خالص التحميد والتمجيد أي التعظيم والناصع هوالخالص من كل شئ يقال أبيض ناصع وأصفر ناصع، قال الأصمعي: كل ثوب خالص البياض أو الصفرة أو الحمرة فهو ناصع اهـ . قاله المختار فقوله بناصع حال من الشكل في قوله فحمدي لك والمعنى حال كوني متلبسا في ذلك الحمد بخالص توحيد ذاتك اعتقادا وبيانا ويحتمل أن يكون متعلقا بقوله مرضيا والياء للسببية تأمل .

وخالِصِ التَّوْحيدِ وإِخْلاصِ التَّقَرُّبِ والتَّقْريبِ والتَّفْريدِ

هـذا عطـف تفسـير عـلى قوله بناصح والمعنى أنه أقر له تعالى بإخلاص التوحيد الغير المشـوب بشـبهة مـن شبه المعتزلة وغير معتقد لاعتقاد الطوائف الضالة المبتدعة بل هو معتقد لمذهـب أهـل السـنة موافـق لـما عليه الأمة المحمدية وإلى هذا الإشارة بقوله ﷺ {افترقت بنو إسـرائيل عـلى اثـنين وسـبعين فـرقة وسـتفترق هـذه الأمـة على ثلاث وسبعين الناجية منها واحـدة والـباقي كـلها في الـنار وهـي مـا أنـا علـيه وأصـحابي} طالبا بذلك من الله إخلاص التقرب إليه وكمال التقريب والتفريد لديه .

وامْحاضِ التَّمْجيدِ بطُولِ التَّعَبُّدِ والتَّعْديدِ

الامحـاض هـو الإخـلاص يقـال أمحضـته الـود أخلصـته والمعنى أن الذاكر أخلص لله التمجـيد والتعظـيم بطـول أي بـدوام التعـبد لله تعـالى وهـو الـتذلل والخضـوع والانقـياد إليه والتعديد أي الدخول في عدد الموحدين المخلصين .

لمْ تُعِنْ في قُدْرَتِكَ

أي لم تحـتج إلى إعانـة أحـد في نفـوذ قدرتـك على شئ واعلم أن قدرة الله تعالى صفة أزلية يحصل بها التمكن من الفعل بلا واسطة ولا معالجة ولا تعارض من المقدور ولا تراخ ولا توقـف عـلى وفـق الإرادة فقولـنا عـلى وفـق الإرادة إشارة إلى أن فعله تعالى للكائنات إنما هو بطريق الاختيار لا بطريق اللزوم كفعل العلة والطبيعة عند الفلاسفة والطبائعيين .

قـال في شـرح المقدمـات: **تنبـيهان الأول:** قـال الشيخ زروق في بعض شروحه للحكم اعـلم أن مـن قـوى إيمانـه بـالقدرة لا يكون عنده شئ أغرب من شئ واستغراب الخوارق من ضعف اليقين بالقدرة ولذلك قال ﷺ في حديث البقرة {أمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر حين قـال الـناس سبحان الله بقرة تتكلم} . قال الشيخ أبو العباس: أنا وأبو بكر وعمر بلا عجب وأنتم مع العجب وإلا فالكل مؤمنون اهـ . ذكره جسوس في شرح توحيد المرشد .

الـثاني: قـال سـيدي الطالب بن الحاج في حاشيته على المرشد: تتعلق القدرة بوجود الممكـن اتفاقـا تعلـق تـأثير وكـذا تـتعلق بعدمه الطاري بعد وجوده تعلق تأثير على ما اعتمده عـبارة وهو الصواب، وأما عدم الممكن في الأزل فلا تتعلق به القدرة اتفاقا لأنه واجب لا جائز

وإلا لجاز وجودنا في الأزل وهو باطل لما يلزم عليه من تعدد ذوات القدماء وأما عدمه فيما لا يزال قبل وجوده كعدمنا في زمن الطوفان وكذلك استمرار عدمه الطارئ بعد فنائه واستمرار وجوده فتتعلق بها القدرة تعلق قبضة بمعنى أن المولى إن شاء قطع ذلك العدم بقدرته وأبدلَه بالوجود وإن شاء أبقى ذلك العدم بقدرته وكذا استمرار الوجود إن شاء المولى أبقاه بقدرته وإن شاء قطعه وأبدلَه بالعدم بقدرته فالأقسام ستة اهـ .

وَلَمْ تُشَارَكْ فِي أُلُوهِيَّتِكَ

أي لم يشاركك في عبادتك بالحق أحد قال تعالى ﴿ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾(النساء:١٧١) وقال تعالى ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾(الاخلاص:٤) أي نظير ومماثل .

فائدة:ـ اعلم أن اسم الجلالة هو أعرف المعارف بالإتفاق زاد الَهلالي أن سيبويه علل ذلك بقولَه لأنه لا يقبل الشركة بوجه اهـ .

وحكى ابن جني: أن سيبويه رؤى بعد موته فسئل عن حالَه فذكر كرامة عظيمة فسئل بم فقال: بقولَه إن اسم الجلالة أعرف المعارف، ثم إن بعضهم يقول: إن هذا الاسم مشتق، فنقول: وبعضهم يقول إنه علم مرتجل وهو مذهب الأصوليين، قال الفخر الرازي: المختار عندنا أن هذا اللفظ اسم لله تعالى أي علم شخص وأنه ليس بمشتق وهو قول الخليل وسيبويه وأكثر الأصوليين والفقهاء .

قال السيد في شرح المواقف وهو المروي عن أبي حنيفة والشافعي والخطابي والغزالي اهـ : كلام الفخر ولفظ الغزالي كل ما قيل في اشتقاقه فهو تعسف اهـ . وبه قال الشاشي والقفال وإمام الحرمين شيخ الغزالي والزجاج واختاره ابن العربي تلميذ الغزالي واختاره أيضا ولي الدين أبو القاسم القشيري وأبو زيد البلخي والحسن بن الفضل بل عليه الأئمة الأربعة وكذا اختاره شيخنا وسيدنا ومن عليه من الله اعتمادنا الغوث الرباني أبو العباس أحمد التجاني نفعنا الله بمحبته وسقانا من خالص عطفته ونفحته آمين ووجه ذلك بأن الاشتقاق يقتضي قصر اسم الجلالة على الصفة المناسبة للمشتق مع أنه جامع لجميع الكمالات اهـ .

وَلَمْ تُعْلَمْ لَكَ مَاهِيَةٌ فَتَكُونَ لِلأَشْيَاءِ المُخْتَلِفَةِ مُجَانِساً

ماهية الشئ حقيقته والمعنى أن الله تعالى لا يعلم حقيقته إلا هو لأنه تعالى مغاير

لجميع الأشياء ومخالف لجميع الأجناس ولا يعرف الله تعالى إلا بالصفات لا بالحقيقة والذات وفي المراصد:

وليس يعرف حقيقة الإلّه ... على الأصح دون تقيد سواه
وقد أتي النهى عن التفكر ... فيها فحقق راشدا في الأثر

وقال ابن ذكرى رحمه الله:

والعقل لا يحيط بالجلال ... وما لربنا من الكمال
يعلمه هو بلا نهاية ... لا العقل فالحد لَه والغاية

والشريف المقدسي في مفاتيح الكنوز من قصيدة:

ظننت جهلا بأن الله تدركه ... نواقب الفكر أو تدريه إيقانا
أو العقول أحاطته بديهتها ... أو هل أقامت به لولاه برهانا
الله أعظم قدرا أن يحيط به ... علم وعقل ورأي جل سلطانا
هذا اعتقادي وإن قصرت في عمل ... فأسأل الله توفيقا وغفرانا

ولمْ تعاينْ إذْ حُبِستِ الأَشْياء على العَزائمِ المُخْتَلفاتِ

أي ولم ينظر إليك بالعين نظر الأغراض فضلا عن المقابلة معك والاعتراض عليك باللسان إذ حبست الناس على العزائم المختلفة ومنعتهم عن مخالفة تلك العزائم، فعلى هذا يكون المراد بالعزائم الأوامر والنواهي، ووقع في بعض النسخ: إذ حبست الأشياء عن العزائم المختلفات بلفظة عن ومعناه على هذه النسخة لم ينظر إليك بالعين نظر الاعتراض إذ حبست الناس ومنعتهم عن تناول العزائم المختلفات فعلى هذا يكون المراد بالعزائم المحرمات والمكروهات التي تقصدها النفس والعزائم جمع عزيمة وهي القصد قال في المصباح عزم على الشئ من باب ضرب عقد ضميره على فعلَه انتهى .

فائدة: العزم هو أحد الأمور الخمسة الواقعة في النفس وقد أشار إليها شيخ شيوخنا سيدي الحاج محمد كنون جدد الله عليه الرحمات بقولَه:

وقسموا الواقع في النفس إلى خمسة أقسام فخذها بالولا
هاجس خاطر حديث للنفس هم وعزم خاتم للخمس
وكلها غير مؤاخذ بها سوى الأخير عنه وكن منتبها

وقد ذيل الأبيات شيخنا سيدي محمد القادري حفظه الله بقوله:

ولا ثواب في الثلاث الأول سوى الأخيرين فاحفظ وحصل

فإن قلت: ما معنى عزم النظر إليه تعالى بالعين نظر الاعتراض؟ قلت: هو كناية عن كمال عجزالعبد ومغلوبيته بانفاذه إذا حبسه الله على شئ أو عن شئ هذا، ويمكن أن يقال إن معنى العبارة ولم ير كنهك بالبصر ولا بالقلب إذ حبست الخلق ومنعتهم عن طلب حصول الكنه بكلامك العزيز ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وطلب حصول الكنه على أنواع كثيرة أحدها طلب حصوله بالبصر وثانيها طلب حصوله بالقلب والكشف ولذا عبر عنهما بالعزائم المختلفات بصيغة الجمع وهذا المعنى أحسن من المعنى السابق قاله الشناوي رحمه الله وقد قال الصديق الأكبر ﷺ:

العجز عن درك الإدرك إدراك والخوض في كنه ذات الله إشراك

وعقده من قال:

لا يعرف الله إلا الله فاتئدوا فالدين دينان إيمان وإشراك
وللعقول حدود لا تجاوزها والعجز عن درك الإدراك إدراك

وَلا خَرَقَتِ الأَوْهامُ حُجُبَ الغُيُوبِ إِلَيْكَ فَأَعتَقِدَ مِنْكَ مَحْدُوداً في مَجْدِ عَظَمَتِكَ

الأوهام جمع وهم وهو ما يقع في القلب أي ولم تخرق الأوهام حجبك المغيبات عنا حتى تصل إلى كنهك وحقيقتك فتعتقد حدا وجهة ومكانا لأنك ارتفعت في مجد عظمتك وعلو سلطانك وعظيم قدرك لأن الله تعالى تقدس وتنزه عن الحد والحصر والمكان والجهة قال تعالى وهو معكم وأينما كنتم يعني بعلمه .

فائدة: جميع ما ورد في القرآن العظيم وفي أحاديث النبي الكريم مما يوهم الجارحة

والحلول كقولـه تعـالى ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾(الذاريات:٤٧) وكقوله ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾(المائدة:٦٤) وكقولـه ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾(الرحمن:٢٧) وكقوله ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾(الطور:٤٨) وكقوله ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾(طـه : ٥) .

في الدر المنثور أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أنس قال قال رسول الله ﷺ {لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا آخر فيسكنهم في قصور الجنة} .

فالعلماء في ذلك على ثلاثة مذاهب مذهب الإمام الأشعري: وهو أنها صفات تليق بجلالـه، ومذهب السلف: وهو أسلم وهو التفويض في ذلك إلى الله تعالى فيقولون آمنا بالله وبما جاء عن الله على وفق مراد الله، ومذهب الخلف: وهو أعلم أي يحتاج إلى مريد علم وهو التأويل فيقولون في يده جوده وقدرته وفي الوجه وجوده وفي معين شهوده وفي الاستواء القهر والغلبة وقد أشار إلى المذاهب الثلاثة من قال:

وكل ما يخطر في الجوانح ... من التصورات والجوارح

فربنا الله العظيم المالك ... جل وعز بخلاف ذلك

جل عن التمثيل والتشبيه ... وعن مكان يستقر فيه

تتمة: قال سيدي رضوان الجنوي ﷺ يجب على كل مكلف أن يعتقد أن العرش سقف الجنان لا مستقر الرحمن وأن الكرسي آية القدم لا موضع القدم وأن السماء معدن الملك بفتح اللام لا مسكن الملك بكسر اللام استواؤه سلطانه ونزولـه امتنانه وضحكه غفرانه ومحبته رضوانه ووجهه وجوده ويده جوده وعينه شهوده ومن لم يعتقد هذا فالصنم معبوده اهـ . وقد عقدت هذه المسائل العشرة بقول:

العرش سقف جنان الخلد معتقدي ... لا مستقر الإلـه الواحد الصمد

والكرسي آية القديم فقل ... لا موضع القدم الكريم زاد

ثم السما معدن الملائكة التي ... سما قدرهم لا مسكن الفرد

ثم استوى الله بالقهر الذي خضعت ... لعزه كل ذي ملك وذي شرد

ثم النزول منه امتنانه وكذا / غفرانه فسرن الضحك في الرشد
كذا محبته ورضوانه وكذا / وجه الوجود بلا حد ولا عدد
ثم اليد بالجود المؤبد قل / وعينه بالشهود ذي المدد
هذا الذي يجب اعتقاده وعلى / كل الخلائق طرا خذه معتقد
من يعتقد غير هذا ربه صنم / جل الإله عن التشبيه والعدد

لا يَبْلُغُكَ بُعْدُ الهِمَمِ

الَهمم جمع همة وهي العزم القوي والكلام على المجاز لا على الحقيقة لأن البالغ ليس هو الَهمة وإنما البالغ في الحقيقة الكشف وبعد الَهمة سبب البلوغ فيما يمكن فالمعنى لا يبلغ كنه ذاتك كشف ذوي الَهمم العالية لما مر في الأوهام من العلة قال الإمام الجنيد ﷺ سبحان من لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته ويرحم لله القائل:

ولا يحيط به عقل فيدركه / جل المهيمن عن إدراك مفتقر
نامت عقول ذوي الألباب فيه وقد / كلت وضلت مجاري العقل والفكر

ولا يَنالُكَ غَوْصُ الفِطَنْ

الفطن بكسر الفاء وفتح الطاء جمع فطنة وهي الفهم القوي وإسناد إلى الغوص مجاز لأن النائل ليس هو الغوص وإنما النائل في الحقيقة العقل والغوص سبب للنيل فيما يمكن فالمعنى لا ينال كنه ذاتك العلية عقل أهل الفطن الغائص في المعارف ولو غاص ما غاص .

ولا يَنْتهي إليكَ بَصَرُ ناظِرٍ في مَجْدِ جَبَرُوتك

يعني أنه لا ينتهي إلى ذاتك العلية بصر ناظر في عظمة صفاتك الجليلة فإذا لم يحظ العبد بصفات نفسه فكيف بصفات بارئه تعالى كما قيل:

حقيقة المرء ليس يدركها / فكيف كيفية الجبار في القدم

ارْتَفَعتْ عنْ صِفَاتِ المَخْلُوقينَ صِفاتِ قُدْرَتكَ

اعـلم أن صفات الله تعالى لا تشبه صفات المخلوقين بل هي أجل وأعلى من صفاتهم لأن صـفاته تعالى قديمة لا أول لَها مطلقة منبسطة وصفات المخلوقين حادثة مقيدة محدودة واعلم أن معـرفة الله تعـالى ومعـرفة رسـلَه علـيهم الصلاة والسلام بالصفات التي نصب الله عليها الآيات أي أقام عليها البراهين والأدلة واجبة كتابا وسنة وإجماعا إذ الجهل بالصفة جهل بالموصوف.

قـال في لطـائف المـنن ومـا أكـرم الله في الدنـيا والآخـرة كـرامة بمـثل الإيمان والمعرفة بربوبيـته لأن كل خير من خير الدنيا والآخرة فإنما هو فرع الإيمان بالله من أحوال ومقامات وأوراد وواردات وكـل نـور وعـلم وفـتح ونفـوذ إلى غيب وسماع مخاطبة من جريان كرامة وما تضـمنته الجـنة مـن حور وقصور وأنهار وثمار أو كان به أهلَها فيها من رضى عن الله ورضي مـن الله ﷻ ورؤيـة لله فكل ذلك إنما هو نتائج الإيمان ووجود آثاره وإمداد أنواره جعلنا الله تعـالى وإيـاك مـن المؤمـنين بربوبيـته الإيمان الذي رضيه لخاصة عباده وبسطنا للتسليم لَه في مراده اهـ . نقلَه جسوس في شرحه على توحيد المرشد المعين .

وعَلا عَنْ ذِكْرِ الذَّاكِرِينَ كِبْرِياءَ عَظَمَتِكَ

أي ارتفـع جلالـك وكـبرياء عظمـتك عـن أن يصـفه الذاكـرون وأن يعـبر عـن حقيقته العـارفون أو يـنطلق بفهمـه المتكلمون بل لا يعرف عظمته وكبريايه إلا هو تبارك وتعالى، قال في جمـع الجوامع: حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق، قال المحققون: ليست معلومة الآن واخـتلفوا هـل يمكـن عـلمها في الآخـرة أهــ . والصـواب عـدم إمكـان ذلك في الآخرة كما أن الصـواب عـدم امكانـه في الدنـيا وكـذا الصواب أن ذلك لا يقع في الآخرة كما أن الصواب أن ذلك لا يقع في الدنيا كما يدل لذلك قول الغزالي في المقصد، والحق قول الجنيد لا يعرف الله إلا الله في الدنـيا والآخـرة اهــ . ذكره شيخنا المحقق سيدي محمد القادري في حاشيته على شرح الشيخ الطيب بن كيران على توحيد المرشد:

فَلا يَنْتَقِصُ مَا أَرَدْتَ أن يَزْدادَ ولاَ يَزْدادُ مَا أَرَدْتَ أنْ يَنْتَقِصَ

أي وإذا كانـت أوصـاف الله تعـالى مخالفـة لسائر أوصاف المخلوقات وأفعالَه لا تدرك حقيقـتها بـأنواع الإدراكـات فكل ما أراد الله وجوده وظهوره لا محالة كائن وكل ما أراد الله

إعدامه فلا سبيل لوجوده وحينئذ فيجب على العبد التسليم له فيما قضاه عليه والرضى بما أقامه فيه ما لم يكن مخالفا للشريعة المطهرة .

قال في الحكم العطائية: ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه، قال ابن عباد ﷺ: إذا أقام الله تعالى العبد في حال من الأحوال التي لا يذمها الشرع فليلتزم حسن الأدب في اختيار بقائه عليها ورضاه بها وليراقب الله تعالى في مراعاة آدابها وليوافق مراد الله تعالى في ذلك حتى يكون هو الذي ينقله عنها . قال أبو عثمان ﷺ: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني إلى غيره فسخطته اهـ .

وهذا من نتائج العلم بالله ومعرفة ربوبيته فإن سخط ذلك الحال وتشوف إلى الانتقال عنها بنفسه وأراد أن يحدث غير ما أظهره الله فقد بلغ غاية الجهل بربه وإساءة الأدب في حضرته وهذا من معارضة حكم الوقت الذي تشير إليه الصوفية وهو عندهم من أعظم ذنوب الخاصة .

لا أحدَ شَهِدَكَ حِينَ فَطَرْتَ الخَلْقَ

أي لا أحد من المخلوقات كان شاهدك وقت بدء خلقك قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾(هود:٧) وعن أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال {كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء وخلق عرشه على الماء} أخرجه الترمذي وقال: قال أحمد يريد بالعماء أنه ليس معه شيء. قال أبو بكر البيهقي في كتاب الأسماء والصفات له: قوله ﷺ {كان الله ولم يكن شيء قبله} يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرهما . وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول {كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء} اهـ . ذكره الخازن في تفسيره .

ولا نِدَّ ولا ضِدَّ حضَرَكَ حِينَ بدَأْتَ النُّفُوسَ

الند بكسر النون هو المثل والضد بكسر الضاد هو النظير والكف. والمعنى لا مثل لك ولا نظير ولا كفء حضرك وكان معينا لك حين أي وقت بدأت النفوس واخترعتها بل هو الفاعل المختار يفعل في ملكه ما يشاء ويحكم ما يريد قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾(الروم:٢٧).

كلتِ الألسُنُ عنْ تفسيرِ صِفاتِكَ وانْحسَرتِ العُقُولُ عَنْ كَنْهِ مَعْرفَتِكَ وَصِفَتِكَ

الألسن جمع لسان وهو الجارحة المعروفة والكل بفتح الكاف التعب والعيا وقوله وانحسرت بالسين أي عييت وكلت وانقطعت ومعنى كلامه أن الألسن كلت عن تفسير صفات الله وعن فهم حقيقتها وإدراك معناها وانحسرت العقول أي كلت وانقطعت عن الوصول إلى حقيقة معرفته وكنه صفته ويرحم الله الإمام بن غانم المقدسي حيث يقول:

قل لمن يفهم عني ما أقول	قصر القول فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه	ضربت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف أباك ولا	تدري من أنت ولا كيف الوصول
أين منك الروح في جوهرها	هل تراها هل ترى كيف تجول
أين منك العقل والفهم إذا	غلب النوم فقل لي يا جهول
أنت لا تدري صفات ركبت	فيك حارت في خفاياها العقول
أنت أكل الخبز لا تعرفه	كيف يجري منك أم كيف تبول
هذه الأنفاس لا تحصرها	لا ولا تدري متى منك تزول
فإذا كانت طواياك التي	بين جنبيك بها أنت ضلول
كيف تدري من على العرش استوى	لا تقل كيف استوى كيف النزول
إن تقل كيف فقد مثلته	أو تقل أين فقد رمت الحلول
هو لا أين ولا كيف له	وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له	وهو في كل النواحي لا يزول
جل ذاتا وصفاتا وسما	وتعالى جده عما نقول

اهـ . وذكرتها بطولها لاشتمالها على فوائد كثيرة ومسائل عزيزة .

وكَيفَ يُوصَفُ كُنْهُ صِفَتِكَ يا رَبِّ وَأَنت اللهُ المَلِكُ الجَبَّارُ القُدُوسُ

أي وكيف يثني عليك حق الثناء يا رب والحال أنت الذات الجامع لجميع صفات الكمال الغير المتناهية وإذا كان سيد العارفين وإمام المرسلين ﷺ يقول {لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك} مع أنه أفنى عمره في الثناء عليه فكيف بغيره، وقوله وأنت الله الملك الجبار القدوس تقدم للكلام على معنى الأسماء الأربعة فلا حاجة لإعادته، والمعنى أني أعترف بعجزي وقصوري عن الثناء عليك وكيف يثنى عليك وأنت الله الجامع لجميع الصفات المستحق لجميع الكمالات المنزه عن النقائص والآفات الذي لا شريك له في المخلوقات مالك الملوك الجبار أي المصلح لجميع الخلائق، وقيل القاهر لهم القدوس أي المنزه عن النقائص والمطهر عن سمات الحدوث.

الأَزَلي الذِي لَمْ يَزَلْ ولاَ يَزَالُ أَزَلِياً بَاقِياً أَبَدِياً سَرْمَدِياً فِي الغُيُوبِ وَحْدكَ لاَ شَرِيكَ لكَ

الأزلي ما لا أول له، والأبدي ما لا آخر له، والمعنى أن الله تعالى لا أول لوجوده ولا آخر لبقائه بمعنى أن الله قديم باق، قال في شرح الصغرى: الأصح أن القدم صفة سلبية ليست بمعنى موجود في نفسها كالعلم مثلا وإنما هي عبارة سلب العدم السابق على الوجود وإن شئت قلت هو عبارة عن عدم الأولية للوجود وإن شئت قلت هو عبارة عدم افتتاح الوجود والعبارات الثلاث بمعنى واحد اهـ.

قال جسوس ويعبر عن القديم بالأزلي وأما البقاء فالحق في تفسيره أيضا أنه صفة سلبية فيكون عبارة عن سلب العدم اللاحق للوجود أو هو عدم الآخرية للوجود أو هو عدم انتهاء الوجود والعبارات الثلاث بمعنى واحد وقوله دائما في الغيوب وحدك لا شريك لك يعني أن كنه ذاتك مختف في حجب الغيوب دائما لا يدركه أحد أبدا وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام ابن عرفة ﷺ بقوله:

إلا أن إدراك الحقيقة معجز	وإدراك نفس العجز عين الحقيقة
لذا ثبت التكليف في مستكرر	وباللـه أكبر فانتبه لمقالتي
فكل كمال بالحقيقة كائن	له وانتفاء النقص قل باستحالة

وليس لأنواع الكمال نهاية في الآثار امكان التسلسل حجة

اهـ . قال الشناوي يكرر سبعا ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾(طه:١١١) ويضرب بيده اليمنى وعلى الأرض ويقول شاهت الوجوه ويضرب باليسرى على الأرض لتفرقة الأعداء الظاهرة والباطنة اهـ .

لَيْسَ فيها غَيْرُكْ ولمْ يكُنْ إلَه سِوَاكْ

أي ليس في الغيوب أحد غيرك ولم يكن ولا هو كائن إلَه سواك وهذا يشير إلى قوله ﷺ كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ما عليه كان بمعنى أن الموجودات سواء إنما يقال موجودة به لا موجودة معه لما تقتضيه المعية في بادئ الرأي من الاستقلال والمشاركة في الوجود الذاتي ودوام المصاحبة وليس شئ من ذلك بثابت تعالى الله عن الشريك والنظير اهـ .

حارَتْ في بِحارِ بهاء ملَكُوتِ عَميقًا تِكَ مذَاهِبِ التَّفَكُّرِ

يعني حارت في سلطنتك وتصرفك العقول لكون مذهب تفكرها عميقة يقال عمق النظر من باب ظرف فهو عميق أي دقيق اهـ والتفكر الاعتبار .

فائدة: قال في الإحياء: اعلم أن الله قد أمر بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ .... الآية ﴾(آل عمران:١٩١) وقد قال ابن عباس: إن قوما تفكروا في الله ﷻ فقال النبي ﷺ {تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره} وقد نظم بعضهم معنى هذا الحديث فقال:

قد جاءنا عن النبي الصادق تفكروا في الخلق لا في الخالق

ثم قال: وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم أبي ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر وعن الحسن تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وقيل لإبراهيم أنك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العمل وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل ويقول:

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شئ له عبرة

اهـ باختصار وما ألطف قول بعضهم:

كل ما ترتقي إليه بوهم ... من جلال وقدرة وسناء

فالذي أبدع البرية أعلى ... منه سبحان مبدع الأشياء

ولله در القائل حيث يقول:

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصات ... على أطرافها الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

وتَوَاضَعَتَ الملوكِ لَهيبَتكَ

الَهيبة مالإجلال والخوف والمعنى جميع الملوك تواضعوا لأجل هيبة الله وإجلاله وخوفه لأن الملك حقيقة إنما هو للواحد القهار .

وعلَتِ الْوُجُوهُ بِذِلّةِ الاسْتِكانَةِ لعِزّتكَ

أي ذلت وخضت للواحد القهار دون غيره وذكر الوجوه وأراد المكلفين لأن عنت من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه وإنما خص الوجوه بالذكر لأن الخضوع بها يتبين وفيها يظهر وقوله بذلة بيان وإيضاح لقوله عنت وهو مضاف والاستكانة مضاف إليه ما قبله والإضافة للبيان لأن معنى الاستكانة التذلل والخضوع واللام في قوله لعزتك للتعليل أي لأجل عزة الله وجلاله وسلطانه وقهره عنت الوجوه بذلة الاستكانة .

وَانْقَادَ كلُّ شَيْءٍ لعَظَمتِكَ

الانقياد الخضوع والمعنى انقاد أي خضع كل شئ لعظمة الله تعالى وعظمته تعالى لا يعبر عنها لسان ولايفصح عنها بيان قال الشيخ المختار الكنتي في كتابه نضار الذهب سئل بعض المشايخ عن عظمة الله تعالى فقال ما نقول فيمن له عبد واحد يسمى جبريل له ستمائة جناح وفي رواية ستمائة ألف جناح لو نشر منها جناحا لسد ما بين الخافقين اهـ .

وَاسْتَسْلَمَ كلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِكَ

الاستسلام الانقياد وقدرة الله تقدمت معناها أي انقاد كل شئ لقدرة الله التي هي محيطة بالأكوان ولا يخرج عنه إنس ولا جان وكل مخلوق داخل تحت حيطته ومحصور في هيكل قدرته وإرادته .

وخَضَعَتْ لَكَ الرِّقَابُ

أي ذلت وتواضعت والرقاب جمع رقبة يعني أن الأعناق تخضع وتذل وتتواضع لعظيم هيبتك وجلالك ولا تخضع لأحد غيرك حقيقة وكل ما يقع من التذلل والخضوع بين المخلوقات فإنما هو مجاز . خلص الله لوجهه أعمالنا وطهر من شوائب الشركة أفعالنا بجاه أشرف الورى عند سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ .

وكَلَّ دُونَ ذَلِكَ تَحْبِيرُ اللُّغَاتِ

الكل بفتح الكاف العيا والتعب والتحبير التزيين والتحسين والمعنى أن تحسين اللغات وتزيينها تكل عن التعبير عن عظمة الله تعالى وقدرته وكمال سلطنته بحيث لا يتأتى لأحد بيان كنه هذه الصفات بلغة من اللغات .

وضَلَّ هُنَالِكَ التَّدْبِيرُ في تَصَارِيفِ الصِّفَاتِ

الضلال ضد الرشد، والتدبير هو فعل الشئ عن فكر وروية يقال تدبرت الأمر نظرت في دبره وهو عاقبته وآخره قاله في الصباح والمعنى أن من أراد أن يتصرف في صفات الله تعالى ويبين كنه حقيقتهما ويفصح عن معانيها فإنه يضل ويميل عن الطريق ولا يدرك تدبير رشده ولا يميز طريق الاهتداء من طريق الغيّ والردى وهذا هو الذي أشار إليه الصديق الأكبر ﷺ بقوله العجز عن درك الإدراك إدراك كما تقدم .

فائدة: يجب على المؤمن الصادق والمريد المحب أن يسقط تدبيره مع مولاه وأن لا يدبر لنفسه شيئا إلا ما دبره له الإله، وعلى هذا المقام تكلم العارفون ونصحوا العباد وهم لله مخلصون .

فقد ألف تاج الدين بن عطاء الله كتابا سماه "التنوير في إسقاط التدبير" قال في صدره قال ﷺ {ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا} وقال ﷺ

{اعبد الله بالرضى فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير} إلى غير ذلك فليراجعه مبتغيه ولما ألفه بعث به إلى أخيه في الله سيدي ياقوت العرشي لأنهما تلميذا أبي العباس المرسي ﷺ فطالعه واستحسنه وكتب على ظهره جميع ما اشتمل عليه هذا التأليف صحيح ولكني جمعته في بيتين فقلت:

ما تم إلا ما أراد ... فاخلع همومك وانطرح

واترك شواغلك التي ... شغلت فؤادك تسترح

فَمَنْ تَفَكَّرَ في إنْشَائكَ البديعِ وَثَنائكَ الرَّفيعِ وتَمعَّنَ في ذَلكَ رَجَعَ طَرْفُهُ إليهِ خاسِئاً حَسِيراً وعَقْلُه مَبْهُوتاً وتَفَكُّره مُتَحَيِّراً أَسيراً

تقدم معنى التفكر وإنشاء الله البديع يدل عليه كل ما سواه، قال في الإحياء: اعلم أن كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله تعالى وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب، قال شارحه الشيخ مرتضي: ومصاعد للأفكار ومراقي الاعتبار ثم قال في الإحياء تظهر بها حكمة الله تعالى وقدرته وجلاله وعظمته وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مدادا، لذلك قال شارحه: والأشجار أقلاما للكتابة لنفد البحر قبل أن تنفد عشر عشيره اهـ .

فمن أراد بيان التفكر فعليه بمراجعته في الكتاب المذكور والثناء الرفيع لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله وعز كماله كما قال سيد الوجود وعلم الشهود {لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك} والتمعن المبالغة في الشئ والطلب باستقصاء والطرف العين يقال طرف بصره إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر، وخاسئا اسم فاعل من خسا البصر إذا سد، والحسير مصدر حسر البصر حسورا من باب قعد كل لطول مدى ونحوه فهو حسير، وقوله مبهوتا اسم مفعول من بهت إذا دهش وتحير، وقوله وتفكره متحيرا اسم فاعل من حار يحار حيرة وحيرا بسكون الياء فيهما تحير في أمره فهو حيران، وقوله أسيرا أي كالأسير لأن الأسير متحير في أمره مبهوت في عقله وميزه .

والمعنى: أن من تفكر في إنشاء الله البديع الذي لا يقدر على صنعه وأحكامه إلا العلي القدير قال تعالى ﴿ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾(النمل:٨٨) وأراد ثناءه الرفيع رجع طرفه

أي كر النظر إليه خاسئا أي صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى حسيرا أي كليلا منقطعا لم يدرك ما طلب وعقله مبهوتا أي داهشا متحيرا وتفكره متحيرا لا يدري ما يصنع في أمره كالأسير إذا ضاقت عليه المسالك وانسدت دونه الأبواب فإن قلت كيف يترتب على التفكر الحسيات والتفكر لا يكون إلا بالعقل قلت التفكر في القدرة والسلطنة ليس إلا بعد النظر فيهما بالبصر أو بعد الاستماع فعلى تقدير إرادة البصر بالطرف يكون المعنى أن من نظر في ذلك بالبصر ثم تفكر فيه رجع بصره حسيرا وعقله مبهوتا فصح الترتيب .

فائدة: قال الشناوي ويقرأ ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾(الملك: ٣-٤) سبع مرات ويقرأ يا قدوس الطاهر من كل سوء فلا شئ يعادله على سبعة أحجار صغار على كل حجر مرة ويرمي كل حجر في جهة من الجهات الست ويحمل السابع على رأسه فكل مكان توجه إليه لا ينظره أحد من الأعداء اهـ .

اللَّهمَّ لكَ الحَمْدُ حَمْداً كَثيراً مُتَوَالِياً مُتَوَاتِراً

اعلم أن الكلام على الحمد بحر لا قعر له ولا نهاية لآخره وقد أفرده العلماء بالتأليف وما لا يدرك كله لا يترك جله، قال الشيخ المختار الكنتي في كتابه فتح الورود: أول من قال الحمد لله بعد الحمد الذي حمد الله به نفسه أزلا سيدنا آدم عليه السلام أخرج الحاكم والبيهقي أن رسول الله ﷺ قال {أفضل القرآن الحمد لله رب العالمين} وأخرج ابن عساكر والديلمي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال {لو أن الدنيا بحذافيرها بيد رجل من أمتي ثم قال الحمد لله لكانت الحمد لله أفضل من ذلك كله} وأخرج الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال {ما أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها إلا كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة وإن عظمت} وروى أن ناقته عليه السلام سرقت فقال {لئن ردها الله على لإشكرن ربي فردت فقال الحمد لله} فانتظروا هل يحدث صوما أو صلاة فظنوا أنه نسى فقالوا له في ذلك فقال {ألم أقل الحمد لله} .

وروى أن قوما يبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقول صبي من صبيانهم الحمد لله رب العالمين فيرفع عنهم بذلك أربعين يوما .

فائدة: نص الحافظ بن حجر: على أن الحمد أفضل من التسبيح ويؤيده حديث

{سبحان الله نصف الميزان والحمد لله يملؤه وحديث من قال لا إله إلا الله فله عشر حسنات ومن قال سبحان الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة} .

ونص الغزالي على أن الحمد أفضل من التهليل وبين ذلك بما حاصله أن الحمد فيه تنزيه الله وزيادة شكر نقله عن يس اهـ . وفي شرح الحكم لسيدي محمد بن عباد ﷺ ما نصه: قال سهل بن عبد الله ﷺ ما من نعمة إلا والحمد أفضل منها والنعمة التي ألهم بها الحمد أفضل من الأولى لأن بالشكر يستوجب المزيد، وفي ابن حجر الهيثمي على الأربعين النووية ما نصه: أخرج ابن ماجه ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ وأخذ منه بعض العلماء أن الحمد أفضل من النعم اهـ . قوله دائما أي ثابتا وقوله متواليا أي متابعا بعضه بعضا، وقوله متواترا أي مداوما عليه وملازما له قال في المصباح: ليس في عمله وتيرة؛ أي فترة، قال الأزهري: الوتيرة المداومة على الشئ والملازمة وهي مأخوذة من التواتر وهو التتابع، يقال: تواترت الخيل إذا جاءت يتبع بعضها بعضا اهـ .

مُتَضَاعِفاً مُتَّسِعاً مُتَّسِقاً

يعني أنه طلب من الله أن يضاعف حمده تضعيفاً لا أحد له ولا نهاية ويوسع دائرته اتساعا لا يحصره حد منتظما بعضه مع بعض فالألفاظ الثلاثة كلها أسماء فاعل فالتضاعف في اللغة الزيادة والاتساع بمعنى الوسع وهو خلاف الضيق والاتساع التتابع .

يَدُومُ ويَتَضَاعَفُ ولا يَبِيدُ

طلب من الله أن يدوم حمده وكلما حمده تضاعف له تضعيفاً لا انقضاء لحده ولا غاية لانتهائه ثم أكده بقوله ولا يبيد أي لا يهلك ولا ينقضي يقال باد يبيد بيدا هلك قاله في المختار والمصباح فهو بفتح الياء مضارع باد الثلاثي .

غَيْرَ مَفْقُودٍ في المَلَكُوتِ

أي غير منقطع في عالم الأرواح والملائكة وهما المراد هنا بالملكوت وأصل الملكوت زيدت فيه التاء للمبالغة كالرهبوت والرغبوت والرحموت من الرهبة والرغبة والرحمة .

ولا مَطْمُوسٌ في المَعالمِ ولا مُنْتَقَصٍ في العِرْفانِ

أي غير ممحو الأثر ودارس الطريق فقوله معالم جمع معلم وهو الأثر يستدل به على الطريق التي تكون في المفاوز لأنها أعلام يعلم بها كونها مواضع المرور وقول منتقص اسم مفعول من انتقص أي ذهب منه شئ بعد تمامه وقوله العرفان مصدر عرف ومعنى كلامه طلب من الله أن لا يمحو أثر حمده ولا يدرس طريقه ولا ينقصه في مواضع تحصيل العرفان فهو على حذف مضافين والمراد به هنا أمكنة العارفين بالله من حجراتهم وغيرها .

فَلكَ الحَمْدُ على مكارِمِكَ التي لا تُحْصَى ونعْمَتِكَ التي لا تُسْتَقْصى

هذا استشعار من الذاكر بما أنعم الله به عليه من النعم الظاهرة التي لا تحصى والباطنة لا تستقصى فلأجل هذا الحضور والاستشعار أتب بحمد الله تعالى واعلم أن الحمد هو من جملة النعم أيضا والتوفيق له من أجل النعم وأعظمها .

وقد روى أن سيدنا داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال: إلهي ابن آدم ليس فيه شعرة إلا وفوقها نعمة وتحتها نعمة فمن أين يكافئها؟ فأوحى الله إليه: **يا داود أني أعطي الكثير وأرضى باليسير وأن شكر ذلك أن تعلم أن ما بك من نعمة فمني**، وفي لطائف المنن قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: قلت يوما وأنا في مغارة سياحتي إلهي متى أكون عبدا شكورا فإذا النداء على يقال لي **إذا لم تر في الوجود منعما عليه غيرى فأنت إذا عبد شكور** فقلت سيدي فكيف لا أرى منعما عليه غيري وقد أنعمت على الأنبياء وقد أنعمت على العلماء وقد أنعمت على الملوك فإذا النداء على يقال لي **لولا الأنبياء ما اهتديت ولولا العلماء لما اقتديت ولولا الملوك لما آمنت فالكل نعمة مني عليك** اهـ . ويرحم الله القائل:

ومن أين لي شكر يقابل بركم ... ولا قدرتي أهل لذاك ولا قدري

وقال الآخر:

لك الحمد مولانا على كل نعمة ... ومن جملة النعماء قولي لك الحمد

فلا حمد إلا أن تمن بنعمة ... تعاليت لا يقوى على حمدك العبد

فى اللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ وفى البَرِّ والبِحَارِ والغُدُوِّ والآصَالِ والعَشِيِّ والإِبكارِ والظَّهِيرَةِ والأَسْحَارِ وفي كلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ اللَّيْلِ والنَّهارِ

أدبار الليل ذهابه وتوليه ومضيه وقيل دبر بمعنى أقبل تقول العرب دبرني فلان أي جاء خلفي فالليل يأتي خلف النهار وأسفر الصبح أي أضاء وتبين والبر بفتح الباء ضد البحر والبحار بكسر الباء جمع بحر والغدو بضم الغين والدال من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس والآصال جمع أصل بضم الهمزة والصاد جمع أصيل ويجمع آصال على أصائل فهو جمع جمع الجمع وألغز فيه الو نشريسي بقوله:

أفدني أيها النحوي جمعا	له جمع يجئ بالاضراد
وجمع الجمع يجمع وهو أمر	غريب ليس اللاذواق باد

وأجابه بعضهم بقوله:

جواب اللغز يابدر النجاة	بدا للناظرين ذوي الرشاد
أصائل جمع آصال بدا جمع أصل	للأصيل بلا مراد

وتسكين صاد أصل للوزن ومراد بفتح الميم أي شك فمفرد إصال أصل ومفرده أصل وهو العشية والإيصال العشايا جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس والعشي هو ما بين زوال الشمس إلى غروبها ومنه سميت صلاتي الظهر والعصر صلاتي العشى والإبكار ما بين طلوع الفجر إلى الضحى والظهيرة الهاجرة وذلك حين نزول الشمس عن كبد السماء، والأسحار جمع سحر بفتحتين مثل سبب وأسباب وهو الثلث الأخير من الليل قبل الصبح وفي كل جزء من أجزاء الليل والنهار تعميم بعد تخصيص .

فائدة: نظم الشيخ العلامة أبو على سيدي حسن بن إبراهيم الجبرتي المصري رحمه الله تعالى ساعات النهار والليل بقوله:

إذا رمت ساعات النهار وحصرها	مرتبة فاقبل عليها بالاعتنا
شروق بكور ثم غدوة ضحوة	فهاجرة ثم الهجيرة فظهرنا
ظهيرته ثم الرواح فعصره	أصيل غروب بالهناء أتى لنا

وإن رمت ساعات لليل فأول بها شفق يأتيك بالعيد بينا

غسيق عشاء ثم عتمة جهمه فزلفته ثم الشريفة فافطنا

فبهرته ثم السفير فصبحه صباح فاسفار فخذها بلاعنا

اهـ . ومعنى كلامه لك الحمد أي أحمدك يا رب في هذه الأزمنة كلها وفي جميع الأمكنة برا وبحرا أما كونه في جميع الأمكنة فلأن كل مكان لا يخلو عن وجود شئ فيه وكل شئ يسبح بحمده قال تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾(الاسراء: ٤٤) فيكون له الحمد في كل مكان وأما كونه في جميع الأزمنة فلأنه إذا أريد بالحمد الدلالة على ثناء الله تعالى وتنزيهه وقدرته كما ذهب إليه بعض العلماء في تفسير الآية، فلا شك أن تلك الدلالة ثابتة في كل شئ دائما من غير انقطاع في وقت ما دام ذلك الشئ موجودا فيكون له الحمد في جميع الأزمنة وإن أريد بالحمد الثناء حقيقة أعني باللسان الثناء القولي كما ذهب إليه أكثر العلماء المحققين في تفسير الآية، فلا شك أن ذلك الثناء لو لم يكن عن شئ في وقت مخصوص يكون عن شئ آخر في ذلك الوقت باليقين ومع هذا يمكن أن يكون ذلك الثناء في بعض الأشياء دائما من غير انقطاع في وقت فيكون له تعالى الحمد في جميع الأزمنة اهـ ذكره الشناوي رحمه الله .

تنبيه لطيف ومنزع شريف: قال الشيخ الأكبر ابن العربي الحاتمي ﷺ: اعلم أن سر الحياة سرى في الماء فهو أصل العناصر والأركان ولذلك جعل الله من الماء كل شئ حي فإنه ما من شئ إلا وهو حي وما من شئ إلا وهو يسبح بحمد الله تعالى ولا نفقة تسبيحه وقال أيضا جعل الله تعالى صور العالم تسبح بحمده ولكن لا نفقه تسبيحهم لأنا لا نحيط بما في العالم من الصور وفي شرحه لا نحيط عند الحجاب بما في العالم أي بشئ مما في العالم من الصور إحاطة تؤدينا إلى فهم ما يجري على ألسنتها في مراتبها الحسية والمثالية وأما إذا من الله ﷻ بالكشف عن تلك الصور بالإحاطة بها فقد نعلم ألسنتها ونفقه تسبيحها اهـ . ذكره سيدي عمر الفوتي ﷺ في الرماح اهـ .

اللّهمَّ لكَ الحَمْدُ بتَوْفيقِكَ قَدْ أَحْضَرْتَني النَّجاةَ وجَعَلْتَني مِنْكَ في وِلايَةِ العِصْمَةِ

طلب من الله تعالى أن يوفقه لحمده حين حضور هذه النعمة العظيمة على قلبه والتوفيق هو خلق القدرة على فعل الطاعات واجتناب المنهيات يقال وفقه الله سدد أمره

والنجاة الخلاص من الهلاك والولاية بكسر الواو القرب من الشئ والعصمة الوقاية من المكروه والحفظ منه يقال عصمه الله من المكروه حفظه ووقاه قاله في المصباح .

فَلَمْ أَبْرَحْ فِي سُبُوغِ نَعْمَائِكَ وَتَتَابُعِ آلائِكَ

قولـه فلم أبرح بفتح الراء مضارع برح بكسرها أي لم أزل قال في المصباح برح الشئ من باب تعب زال من مكانه اهـ . وسبوغ مصدر سبغ بمعنى اتسع يقال سبغت النعمة اتسعت والتتابع التوالي والآلاء النعم قال تعالى ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾(لقمان:٢٠) وقد كرر الله تعالى ذكر النعم في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة وفي كل مرة يقول ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ تقريرا للنعمة في التذكير بها وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال لهم {لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم وفي رواية كانوا أحسن منكم ردا كنت كلما أتيت على قولـه ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد } أخرجه الترمذي وقال حديث غريب اهـ . ذكره الخازن .

مَحْرُوساً بِكَ فِي الرَّدِّ وَالامْتِنَاعِ وَمَحْفُوظاً بِكَ فِي المِنْعَةِ وَالدِّفَاعِ عَنِّي

الحرس بالسين المهملة الحفظ والرد والانصراف الامتناع ضد الإعطاء والمنعة بفتح الميم وسكون العز يقال فلان في منعة أي في عز قومه فلا يقدر عليه من يريده والدفاع بكسر الدال مصدر دفع عنه الأذى ونحوه قال تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾(الحج:٣٨) ومعنى كلامه في هذه الجملة يقول فلم إبرح أي فلم أزل في سبوغ أي تمام نعمائك وتتابع أي توالي آلائك محفوظا من رد أوامرك والامتناع من امتثالها ليحصل الشكر على تلك النعم ومحروساً بك في المنعة من سلب تلك النعم عنى إذ جعلتني شاكرا عليها فلا تسلبها مني بفضلك وكرمك وجودك وإحسانك .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ إِذْ لَمْ تُكَلِّفْنِي فَوْقَ طَاقَتِي

حمدا لله تبارك وتعالى على عدم تكليفه بما لا طاقة له به والتكليف هو تحمل المشاق والطاقة الوسع يقال أطاق الشئ إطاقة وهو في طوقه أي في وسعه قال الله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾(البقرة:٢٨٦) قال في الخازن: وتكليف ما لا يطاق على وجهين

أحدهما أن ما ليس في قدرة العبد احتماله كتكليف الأعمى النظر والزمن[1] العدو فهذا النوع من التكليف الذي لا يكلف الله به عبده بحال الوجه الثاني من تكليف ما لا يطاق وهو ما في قدرة العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الأعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما كان في ابتداء الإسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا الذي سأل المؤمنين ربهم أن لا يحملَهم ما لا طاقة لَهم به واستدل بهذه الآية من يقول إن تكليف ما لا يطاق جائز إذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تحقيقه بالدعاء من الله تعالى اهـ .

وَلمْ تَرْضَ مني إلاّ طاعَتي

يعني إنك لم ترض مني ولم تكلفني بشئ ليس في مقدرتي إلا بطاعتي لك والطاعة الانقياد إلى عبادة الله تعالى .

وَرَضيتَ مِني مِنْ طَاعَتكَ دُونَ اسْتطاعَتي وأَقَلَّ منْ وُسْعي ومَقْدرَتي

أي رضيت مني أقل ما يجب لحقك وعظيم جلالك فلو بلغ الإنسان ما أدى ما وجب عليه من عبادة ربه وإلى هذا المعنى إشارة من قال:

سبحان من لو سجدنا بالعيون لَه ... على شبا الشوك والمحمى من الإبر

لم نبلغ العشر من مشار نعمته ... ولا العشير ولا عشرا من العشر

فإنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لا إلَه إلا أَنْتَ لمْ تَغِبْ وَلاَ تغيبُ عَنْكَ غَائِبةْ ولاَ تخفَى عليْكَ خَافِيَةْ ولَنْ تَضِلُّ عَنْكَ في ظُلَمِ الخَفِيَّاتِ ضَالَّةْ

هذا اعتراف من الذاكر بأن جميع النعم الكائنة في الوجود والتوفيق للحمد على جميعها والطاعة لخالقها ومالكها وهو الله تعالى ﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾(الحشر:٢٢) قال تعالى ﴿ قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ ﴾(النمل:٦٥) وكذلك لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولن تضل أي لا تخفى عليه في ظلم جمع ظلمة مثل غرفة وغرف والخفيات جمع خافية والضالة الغائبة عن الأعين قالت مولاتنا عائشة رضي الله عنها: من زعم أنه رأي النبي ﷺ يعلم ما في غد فقد أعظم على الفرية اهـ .

---

(١) الزمن : المريض بمرض مزمن لا يرجى برؤه .

فإن قلت: يرد على ما قالت مولاتنا عائشة ﵂ إشكالا وهو نفي كرامات الأولياء، قلت: الجواب عن هذا الإشكال هو أن مراد مولاتنا عائشة ﵂ بقولها في غد تعني يوم القيامة وهو علم خاص وأما كرامات الأولياء في ثابتة كتابا وسنة وإجماعا قال تعالى ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ۞ إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُول ﴾(الجن:٢٦-٢٧) يعني أو ولي، وروي أبو هريرة ﵁ عن رسول الله ﷺ أنه قال {لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس محدثون من غير أن يكونوا أنبياء وأن يكون في أمتي أحد فإنه عمر بن الخطاب} أخرجه البخاري .

قال ابن وهب في تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عائشة ﵂ عن النبي ﷺ أنه كان يقول {قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتى منهم أحد فإن عمر ابن الخطاب منهم} ففي هذا إثبات كرامات الأولياء وقد قالوا كل معجزة للنبي فهي كرامة للولي وإلى هذا المعنى أشار البوصيري في همزيته:

والكرامات منهم معجزات نالها من نوالك الأولياء

وقال الشيخ يوسف النبهاني في همزيته التي حاذى بها همزية البوصيري:

والكرامات كلها معجزات منه كانت لها الغيوب وعاء

أظهرتها الأخيار كالقادح الزند متى احتاج بان منه الضياء

وقد أجمع العلماء العاملون والكمل المخلصون على ثبوتها حتى نسبوا من نفاها إلى الاعتزال كالزمخشري وغيره انظر الخازن . وذكر الشعراني في كتابه اليواقيت والجواهر عن الإمام اليافعي ما نصه: والناس في إنكار الكرامات على أقسام: فمنهم من ينكرها مطلقا، ومنهم يصدق بكرامات من مضى ويكذب بكرامات أهل زمانه، فهؤلاء كبني إسرائيل فإنهم صدقوا بموسى حيث لم يروه وكذبوا بمحمد ﷺ حيث رأوه حسدا وعدوانا، ومنهم من يصدق بأن لله تعالى أولياء في عصره ولكن لا يصدق بأحد معين فهذا محروم من جميع الامداد في عصره .

ثم قال: وبالجملة فلا ينبغي لأحد التوقف في الإيمان بكرامات الأولياء لأنها جائزة عقلا وواقعة نقلا، أما جوازها عقلا: فلأنها من جملة الممكنات التي لا تستحيل على القدرة الإلهية، وبذلك قال أهل السنة والجماعة: من المشايخ العارفين والنظار والأصوليين والفقهاء والمحدثين ﵃ أجمعين، وأما وقوعها نقلا: فمن ذلك قوله تعالى ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ﴾(آل عمران: ٣٧) وقوله ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾(مريم:٢٥) إلى آخر ما ذكره الشعراني فليراجعه مبتغيه .

إنَّما أمرُكَ إذَا أرَدْتَ شَيْئاً أنْ تَقُولَ لَه كُنْ فيَكُون

وهذا اعتراف بكمال قدرة الله تعالى وإن قدرته صالحة لكل شئ ولا يعجزه شئ والمراد بالأمر هنا الشأن بالكون التكوين والحدوث، أي فهو كائن موجود لا محالة فالحاصل أن جميع المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن عبر عن إيجاده بقولَه: كن من غير أن كان منه كاف ونون وإنما هو بيان لسرعة الإيجاد كأنه يقول كما لا يثقل كون كن عليكم فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق وإعادتهم .

قال الشناوي ينبغي للطالب أن يقرأ عند قولَه كن قولَه تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَه يَسْجُدُونَ ﴾(الأعراف:٢٠٦) ثم يسجد ويسأل في سجوده ما يريد وهي ثانية سجدة في هذا الدعاء وهي جامعة لكل خير وكل ما يريده فإذا رفع رأسه من السجود يقول فيكون فإذا قال ذلك يقول: اللَهم لك الحمد ولك الشكر وإليك المشتكي وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا باللَه العلي العظيم ثم يسأل حاجته وهي إشارة ملاقات السلاطين وكفاية المهمات اهـ .

اللّهمَّ لكَ الحَمْدُ مثْلَ ما حَمِدْتَ بهِ نفْسَكَ وأضْعَافَ ما حَمِدَكَ بهِ الحامِدُونَ

حمدا لله تبارك وتعالى حمدا يؤدي ما وجب عليه مر المحامد على جميع النعم ولما علم الله تعالى عجز خلقه عن كمال حمده حمد نفسه بنفسه في أزلَه ثم إن كل مخلوق أراد أن يحمد الله بكمال حمده حمده بمثل الحمد الذي حمد به نفسه قال رسول الله ﷺ {لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك}، وقولَه {وأضعاف ما حمدك به الحامدون} أي وأحمدك حمدا متضاعفا على حمد كل حامد وهو على الدوام فائق متزايد، واعلم أن الله تعالى أنزل على النبي ﷺ سورة الحمد من بين سائر الأنبياء لأنه أكمل الحامدين وخص بلواء الحمد الذي يستظل تحته كل حامد، وخص بالمقام المحمود وشرع لأمته سنة وقرآنا أن تقول في ابتداء الأفعال وعند ختمها الحمد لله لأن كتاب الله تعالى مبدوء بها .

قال السهيلي: لما كان الأول في الخلق والسابق في الأحمدية شرع الابتداء بالحمد وجاءت الفاتحة مفتتحة به اهـ .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما إن الله افتتح الخلق بالحمد وختم بالحمد وهو أول ما تكلم به آدم عليه السلام فقد أخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لما نفخ في آدم الروح مارت وطارت فصارت في رأسه فعطس فقال: الحمد لله، فقال الله: يرحمك الله، قوله مارت أي دارت وترددت، وأول كلام أهل الجنة إذا دخلوها قال تعالى ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾(الزمر:٧٤) وقال تعالى ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾(فاطر:٣٤) ﴿ الْحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾(الأعراف:٤٣) اهـ .

وسَبَّحَكَ بِهِ المُسَبِّحُونَ

تسبيح الله تعالى هو تنزيهه عما لا يليق بعلى جنابه ورفيع كماله وقد حمد الله أيضا بعدد كل من سبحه من المسبحين واعلم أن التسبيح فيه فضل عظيم وثواب جسيم أخرج البخاري أن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ {كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم} . قال بعضهم كرر التسبيح في هذا الحديث الكريم اعتناء بشأنه من جهة كثرة الواصفين له بما لا يليق بجلاله بخلاف أوصاف الكمال فلا ينازع في ثبوتها له أحد وإنما وقع النزاع في كيفية ثبوتها وقد روى أن أول من سبح الله تعالى حرفيابيل وهو ملك له مائة ألف جناح من جناح إلى جناح مسيرة خمسمائة عام خطر على باله هل فوق عرش ربنا شئ فعلم الله منه ذلك فزاده مثل أجنحته مائة ألف أخرى فطار مائة ألف سنة فلم ينل قائمة من قوائم العرش فأوحى الله إليه لو طرت إلى يوم ينفخ في الصور لم تبلغ ساق العرش فخر راكعا وقال سبحان ربي العظيم فأخذ التسبيح في الركوع من ذلك الملك . اهـ .

وَمَجَّدَكَ بِهِ المُمَجِّدُونَ

حمدا لله تعالى أيضا بعدد من مجد الله تعالى وعظمه وشرفه من كل مخلوق والمجد في اللغ العز والشرف قاله في المصباح:

وكَبَّرَكَ بِهِ المُكَبِّرُونَ

أي قال الله أكبر والتكبير والتعظيم فقد حمد الله تعالى أيضا بعدد كل من قال من المخلوقات الله أكبر.

وهَلَّلتْ بهِ المُهَلِّلونَ

أي قال لا إلَه إلا الله وقد حمد الله تعالى أيضا بعدد من قال لا إلَه إلا الله واعلم أنه ورد في التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد أحاديث كثيرة أخرج الإمام أحمد والديلمي في مسند الفردوس والترمذي وحسنه والمنذري عن رجل من بني سليم ﷺ قال قال رسول الله ﷺ {سبحان الله والحمد لله ولا إلَه إلا الله والله أكبر ليس لَهذا عدل من القول وهي الباقيات الصالحات سبحان الله نصف الإيمان والحمد لله تملأ الميزان ولا إلَه إلا الله تملأ ما بين السماء والأرض} قولَه عدل: أي مثل .

وأخرج النسائي والحاكم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال {خذوا جنتكم من النار قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إلَه إلا الله والله أكبر فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومعقبات ومجتبات وهن الباقيات الصالحات من فضائلَها أنها أحب الكلام إلى الله وأفضلَه عنده ومصطفاه ومقاليد السموات والأرض} .

وأخرج الإمام أحمد والحاكم والضياء عن أبي سعيد وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ {قال إن الله اصطفى من الكلام أربعا سبحان الله والحمد لله ولا إلَه إلا الله والله أكبر فمن قال سبحان الله كتبت لَه عشر حسنات وحطت عنه عشرون خطيئة ومن قال الله أكبر مثل ذلك ومن قال لا إلَه إلا الله مثل ذلك ومن قال الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتب لَه ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون خطيئة} إلى غير ذلك من الأحاديث وفيما ذكر كفاية .

وقَدَّسَكَ بهِ المُقَدَّسُونَ

أي نزهك عما لا يليق بجمالك وجلالك وعلوك وكبريائك المقدسون أي الموصوفون بهذه الصفة الرفيعة وهم أولياء الله العارفون الكمل المخلصون جعلنا الله منهم .

ووَحَّدَكَ بهِ المُوَحِّدُونَ

أي أقروا لك بالوحدانية ذاتا وصفاتا وأفعالا ووحدانيته تعالى يجب اعتقادها في كل مؤمن قال تعالى ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾(الأنعام:١٩) وقال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾(الشورى:١١) .

وَعَظَّمَكَ بِهِ المُعَظِّمونَ

أي أقروا بعظمتك وجلالك واعلم أن عظمة الله تعالى لا يصفها واصف، قال الشيخ المختار الكنتي في كتابه "نضار الذهب العظيم": اسم من أسماء الله تعالى فلا حد لعظم جلالته وكماله وعلو سلطانه وعظم شأنه وشمول قدرته ونفوذ إرادته وعموم علمه ووفور حلمه اهـ .

ومعنى العظيم هو الذي لا يتصوره عقل ولا يحيط بكنهه بصر وقيل هو الذي لا تكون عظمته بتعظيم الأغيار وجل قدره عن الحد والمقدار وقيل هو العظيم بوجوب وجوده والعظيم فى قدره وسلطانه والعظيم بتنزهه عن صفات زحظ العبر منه أن يستحقر في نفسه ويذللها للإقبال عليه تعالى بالانقياد لأوامره وأن يجتهد في ارتكاب ما يرضيه واجتناب نواهيه قاله الشبراوي في شرحه لأسماء الله الحسنى .

وَاسْتَغْفَرَكَ بِهِ المُسْتَغْفِرُونَ

أي طلبوا مغفرتك يا الله لجميع خطاياهم بالمواظبة على الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار وقد وردت آيات كثيرة وأحاديث شريفة في الحض على الاستغفار لمحو الخطايا والأوزار والفوز برضى الله في دار القرار قال تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾(آل عمران:١٦) ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾(آل عمران:١٧) وقال ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾(النساء:٦٤) وقال حكاية عن نوح عليه السلام ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾(نوح:١٠-١٢) إلى غير ذلك من الآيات .

وأما الأحاديث فكثيرة معروفة لا يمكن استقصاؤها ولكن أشير إلى طرف منها فأقول روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ {ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر} وروى أبو داود في سننه والطبراني في كتاب الدعاء وأبو يعلي وابن مردويه عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال {أتاني آت من ربي فقال ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾(النساء:١١٠) وقد كانت شقت عليهم الآية التي قبلها من يعمل سوءا يجز به فأردت أن أبشر أصحابي، قال: قلت يا رسول

الله وإن زنى وإن سرق ثم استغفر له؟ قال: نعم، قلت: يا رسول الله وإن زنى وإن سرق ثم استغفر غفر له، قال: نعم، ثم ثلثت قال: نعم على رغم أنف عويمر} ثم قال كعب بن ذهل وأنا رأيت أبا الدرداء يضرب أنف نفسه، وروى ابن جرير وابن المنذر عن طريق عن ابن عباس في قوله ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ الله ﴾(النساء:١١٠) قال أخبر الله تعالى عباده بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته فمن أذنب ذنبا صغيرا كان أو كبيرا ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال وروى عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ {والذي نفسي بيده ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم} وفي هذا القدر كفاية.

حتَّى يكُونَ مِنِّى وَحَدِي في كلِّ طَرْفَةِ عَينِ وأَقَلَّ مِنْ ذلِكَ مِثْلُ حَمْدِ جميعِ الحامِدينَ

لما حمد الله تعالى بعدد من سبحه ومجده وكبره وهلله وقدسه ووحده وعظمه واستغفره بالغ في حمده وحده وطلب منه أن يكون حمده في كل طرفة عين أي تحرك العين وأقل من ذلك مما لا فتور عنه مثل حمد جميع الحامدين . المستغرقين جميع أوقاتهم في حمد ربهم وإن صدر منهم حمد الغير فنيتهم مصروفة إلى حمده كما قيل:

إذا نحن أتينا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذي نثني
وإن جرت الألفاظ يوما بمدحة لغيرك إنسانا فأنت الذي نعني

اللهم يأمولانا اجعلنا بفضلك من الحامدين الشاكرين ولآلائك من الذاكرين واختم لنا بخاتمة الخير آمين .

وتَوْحيدِ أَصْنافِ المُوَحِّدينَ والمُخْلِصينَ

حمدا لله تعالى أيضا بعدد من أقر لله بالوحدانية المخلصين لله تعالى في عبادتهم وجميع أفعالهم وأقوالهم، قال الشناوي رحمه الله: إنما قال الأصناف بصيغة الجمع لأن من الموحدين من يقول: بوحدة المعبود المستحق للعبادة، ولا يقول بوحدة الوجود، ومنهم من يقول: بوحدته مع وحدة المعبود، وهذا الصنف الثاني يتفرق إلى ثلاثة أصناف: أحدها: من يشاهد الخلق في الحق، وثانيها: من يشاهد الحق في الخلق، وثالثها: من يشاهد الحق في الخلق والخلق في

الحق بحيث لا يكون أحدهما مانعا عن الآخر، وهذه المرتبة الأخيرة مقام الأنبياء والأولياء الكاملين والمكملين رزقنا الله تعالى وجميع المسلمين هذا المقام بحرمة سيدنا محمد ﷺ.

وتَقْديسُ أجْنَاسِ العارفينَ وثَناء جميعِ المهَلّلينَ والمُصلّينَ والمُسَبِّحِينَ

التقديس تنزيه الحق جل جلاله وعز كماله وسلطانه عما يليق بعلى جنابه والعارفين جمع عارف وهو الكامل المعرفة بالله الفاني عن جميع الأكوان الذي لا يشاهد إلا الحق تعالى وإلى هذا أشار من قال:

مذ عرفت الإله لم أر غيرا	وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقا	وأنا اليوم واصل مجموع

وقال الآخر:

الله قل وذر الوجود وما حوى	إن كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله إن حققته	عدم على التفصيل والإجمال
واعلم بأنك والعوالم كلها	لولاه في محو وفي اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته	فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا بأن لم يشهدوا	شيئا سوى المتكبر المتعال
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا	في الحال والماضي والاستقبال

قال ابن عباد ﷺ وقد سئل أبو سعيد بن الأعرابي ﷺ عن الفناء فقال الفناء أن تبدوا العظمة والجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات والمقامات والأذكار تفنيه عن كل شئ وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الأشياء وعن فنائه عن الفناء لأنه يغرق في التعظيم عقله اهـ وأنشدوني في ذلك:

فيفنى ثم يبقى ثم يفنى	فكان فناؤه عن البقاء

قال الشناوي رحمه الله إنما قال الأجناس بصيغة الجمع عند أهل التصوف من يشاهد الحق شهودا قلبيا وللشهود مراتب مختلفة بعضها فوق بعض وعلى حسب استعدادات العارفين يحصل لبعضهم أعلى المراتب ولبعضهم أوسطها ولبعضهم أدناها وبحسب اجتهادهم في التهليل والتسبيح وكثرة الصلاة على أشرف المخلوقات وسيد السادات

مولانا رسول الله ﷺ أفضل الصلوات وأزكى التحيات بعدد أنفاس المخلوقات ترتفع مقاماتهم وتصعد درجاتهم جعلنا الله منهم بمنه وكرمه آمين .

وَمِثْلُ مَا أَنْتَ بِهِ عالِمٌ

حمد الله تبارك وتعالى بعدد ما أحاط به علم الله ومعلوم أن علم الله أحاط بكل شئ قال تعالى ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾(طه:٩٨) وقال ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾(البقرة:٢٥٥) .

وأنتَ مَحْمودٌ ومَحْبُوبٌ وَمَحْجُوبٌ

منْ جَميعِ خَلْقِكَ كلِّهمْ ومِنَ الحَيوَاناتِ والبَرَايا والأنامِ

يعني أنه حمد الله تعالى بعدد جميع الخلائق ومحبتهم فيه، وحجبهم عن رؤيته بالبصر لا بالقلب، وعممهم في خلقه كل الحيوانات جمع حيوان، والحيوان هو كل ذي روح ناطقا كان أو غير ناطق مأخوذ من الحياة يستوي فيه الواحد والجمع لأنه مصدر في الأصل قالَه في المصباح، وقولَه البرايا جمع برية وهي الخلق وأصلَه الَهمز ويجمع أيضا بريات قالَه في المختار، والأنام الخلق فهو عطف تفسير على ما قبلَه .

إلَهي أسألُكَ بِمسَائِلِكَ وأَرْغَبُ بِكَ إليْكَ في بَرَكَةِ

ما أنْطَقْتَني بهِ مِنْ حَمْدِكَ

رجع إلى الله تعالى بالتضرع والابتهال؛ وقرع بابه بالنداء والسؤال فقال: إلَهي وأضافه لنفسه لشدة احتياجه إليه في كل الأحوال وعدم التفاته لغيره في طلبه لكل نوال، فقولَه أرغب أي أطلب بك أي بوجهك الكريم، إليك أي إلى كمال فضلك وجودك وإحسانك في بركة أي تمنحني بركة كل حمد أنطقتني به وشكرتك على ما أسديت إلى من النعم ووهبتني من الإحسان فمن على بفضلك بالمغفرة والرضوان بجاه سيد ولد عدنان .

ووَفَّقْتَني لَه منْ شُكْرِكَ وتَمْجِيدي لكَ

حقيقة الشكر عرفا هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من سمع وبصر وغيرهما إلى ما يليق به وأعلم أن الشكر ينقسم إلى ثلاثة أقسام: شكر بالقلب وهو اعتقاد أن النعم كلَها من الله

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾(النحل:٥٣) وشكر باللسان وهو الثناء على الله وتدخل فيه التحدث بالنعم وإظهارها ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾(الضحى:١١) ومنه شكر الوسائط الثناء عليهم والدعاء لَهم {من لم يشكر الناس لم يشكر الله أشكر الناس لله أشكرهم للناس} وشكر بسائر الجوارح وهو أن يعمل بها العمل الصالح، قال تعالى﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً ﴾(سبأ:١٣) قاله سيدي الطالب ابن الحاج محشر المرشد ثم اعلم أن الشكر على النعم هي درجة العوام كما في تفسير ابن جزي ودرجة الخواص الشكر عليها وعلى النقم وعلى كل حال ودرجة خواص الخواص أن يغيب عن رؤية النعمة برؤية المنعم، قال رجل لإبراهيم بن أدهم: أن الفقراء إذا أعطوا شكروا وإذا منعوا صبروا . فقال إبراهيم: هذه أخلاق الكلاب ولكن الفقراء إذا منعوا شكروا وإذا أعطوا آثروا اهـ .
وقولَه: وتمجيدك أي تعظيمي لقدرك بالثناء على مقامك ورفيع جنابك .

فَما أَيسَرَ ما كلفتَني بهِ مِنْ حَقِّكَ

أي فما أخف علينا ما كلفتنا به من القيام بحقوقك الواجبة علينا حيث لم تكلفنا بما لا طاقة لنا به قال تعالى ﴿ لا يُكَلِّفُ الله نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾(البقرة:٢٨٦) وقال ﷺ لأصحابه {يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا} وقال تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(الحج:٧٨) .

وأَعظَمَ ما وعَدْتَني بهِ منْ نَعْمائِكَ ومَزيدِ الخَيْرِ علَى شُكْرِكَ

أي فما أجزل عطيتك لنا وأكرم موعدك إذ وعدت من مات على الإيمان بسكنى الجنان والمغفرة والغفران والأمان والرضوان وزيادة الثواب الجزيل على العمل القليل ذلك الفضل من الله والله ذو الفضل العظيم .

ابْتَدَأْتَني بالنِّعَمِ فَضْلاً وطَوْلاً

أي أنعمت على بالوجود بعد العدم فضلا أي منه منك وطولا أي إحسانا قال تاج الدين بن عطاء الله في حكمه نعمتان ما خرج موجود عنهما ولابد لكل مكون منهما نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد أنعم عليك أولا بالايجاد وثانيا يتوالى الامداد اهـ .

قال ابن عباد ﷺ: ومما لا ينبغي أن يتغافل عنه من أنواع هذا الجنس نعمة إيجاد الإيمان ومحبة الطاعة في قلبك وإمدادهما وكذلك كراهة الكفر والمعصية فإن ذلك من النعم التي لا مدخل للعبد فيها ولا لَه وسيلة إليها ولولا تولى الله تعالى لَه بتينك النعمتين في

القسمين لتاه في ظلمات الضلالات وغرق في بحار الجهالات وقد نبه الله ﷻ على هذا المعنى في كتابه الكريم فقال عز من قائل ﴿ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۞ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً ﴾(الحجرات:٧-٨)

ثم قال: قال الشيخ أبو طالب المكي بعد أن ذكر ما روى عن رسول الله ﷺ {أحبوا الله لما أسدى إليكم من نعمة ولما يغذوكم به أيضا} فمن أفضل ما غذانا به نعمة الإيمان به والمعرفة وغذاؤه لنا من دوام ذلك ومدده بروح منه وثبتنا عليه في تصريف الأحوال إذ هي أصل الأعمال، التي هي مكان النوال، فلو قلب قلوبنا في الشك والضلال كما يقلب نياتنا في الأعمال أي شئ كنا نصنع وعلى أي شئ كنا نعول وبأي شئ كنا نطمئن ونرجوا فهذا من أعظم النعم ومعرفته هو شكر نعمة الإيمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الإيمان توجب العقوبة اهـ . كلام الشيخ أبي طالب ﷺ .

وَأَمَرْتَني بالشُّكْرِ حَقّاً وعَدْلاً

أي طالبتني بالشكر على هاتين النعمتين العظيمتين وتلك المطالبة بمحض الحق والعدل قال تعالى ﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(النحل:١١٤) قال تاج الدين السبكي في كتابه مفيد النعم ومبيد النقم: اعلم أن النعمة لم تزل عنك إلا لإخلالك بالقيام بما يجب عليك من حقوقها وهو الشكر فإن كل نعمة لا تشكر حرية أي حقيقة بالزوال ومن كلامهم النعمة إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت وقيل لا زوال لَها إذا شكرت ولا بقاء لَها إذا كفرت اهـ منه .

وفي الحكم العطائية: من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالَها ومن شكرها فقد قيدها بعقالَها

وقال الشاعر:

من شكر النعمة قد صانها	بقيد شكر يا له من عقال
ومن يغيب في زهوه غافلا	عن شكرها عرضها للزوال

وَوَعَدْتَني عَلَيْهِ أَضْعافاً ومَزِيداً

أي وعدتني في مقابلة شكر النعمة بالزيادة الكثيرة المضاعفة في قولك وأنت أصدق القائلين ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(ابراهيم:٧) وذكر العارفون أن الرب تعالى قطع بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فيه واستثنى في خمسة أشياء في الأغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ ﴾(التوبة:٢٨) وقال ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ

شَاءَ ﴾(الأنعام:٤١) وقال ﴿ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ﴾(الشورى:١٩) وقال ﴿ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾(المائدة:٤٠) وقال ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ الله مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾(التوبة:٢٧) وقال في الشكر من غير استثناء ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(ابراهيم:٧) قاله تاج الدين السبكي ﷺ ومما قيل في الحض على الشكر:

ومن الرزية أن شكري صامت ... عما فعلت وإن بِرك ناطق

أأرى الصنيعة منك ثم أسرها ... إني إذا ليسد الكريم لسارق

وقال الصفي الحلي ﷺ:

سأشكر نعماك التي لو جحدتها ... أقر بها حالي وتم بها سري

وفي حسن حال المرء أعدل شاهد ... يقر بما أسدت إليه يد القطر

وفي الحديث القدسي {عبدي لم تشكرني إذا لم تشكر من أجريت النعمة على يديه} ولما دخل سفيان الثوري على جعفر الصادق وقال له علمني يا ابن رسول الله مما علمك الله قال له: إذا تظاهرت الذنوب فعليك بالاستغفار وإذا تظاهرت النعم فعليك بالشكر وإذا تظاهرت الغموم فقل لا حول ولا قوة إلا بالله، فخرج سفيان وهو يقول ثلاث وأي ثلاث اهـ ذكره الشرنوبي في شرحه لتائية السلوك :

وأعطيتني مِنْ رزقِكَ رزقاً واسِعاً كثيراً اختياراً ورِضىً

اعلم أن الله تبارك وتعالى لا يجب عليه شئ وإنما منحنا الأرزاق الواسعة والعطايا الجزيلة بالاختيار منه والرضى علينا وإلا فهو سبحانه يفعل في ملكه ما يشاء ويحكم ما يريد قال الشناوي وأعطيتني نعمة الاصطفاء بالشهود القلبي في الدنيا ونعمة رضوانك علي في الآخرة قال تعالى ﴿ وَرِضْوَانٌ مِنَ الله أَكْبَرُ ﴾(التوبة:٧٢) ويحتمل أن يكون المعنى وأعطيتني نعمة الاختيار وعدم الكراهة للبلايا والشدائد ونعمة الموافقة والرضى على تلك البلايا واعلم أن الاختيار والرضى بكلا المعنيين يحوز أن يطلق عليهما لفظ الرزق إلا أنهما من الرزق الباطني المعنوي اهـ .

وسألتني عنهُ شُكْراً يَسيراً

أي طلبت مني إذا أنعمت على بالرزق الواسع الكثير أن لا أصرفه إلا فيما يرضيك وهذا هو شكر النعم روى عن سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه قال يوم الطور {يا

رب إن أنا صليت فمن قبلك وإن أنا تصدقت فمن قبلك وإن بلغت رسالتك فمن قبلك فكيف أشكرك؟ قال: يا موسى الآن شكرتني ـ وفي لفظ ـ إذا عرفت أن النعم متى فقد رضيت بذلك منك شكرا} ويتعين على ذي النعمة أن ينظر إليها وإن قلت بعين التعظيم لكونها من قبل الله تعالى فإن قليله لا يقال له قليل وإلى نفسه بالتحقير بالإضافة إليها معترفا بأنه ليس أهلا لها وأن أصله نطفة من منى تمنى وقد أوصله الله تعالى إليها لا باستحقاق عليه بل بفضل منه .

لكَ الحَمْدُ اللَّهمَّ علىَّ إذْ نَجَّيْتَني وعَافَيْتَني برَحْمَتكَ مِنْ جَهْدِ البَلاءَ ودَرْكِ الشَّقاء

أوجب الذاكر على نفسه حمد الله تعالى لأجل نجاته وعافيته وذلك برحمة الله له وسعة كرمه من جهد البلايا والجهدبفتح الجيم الغاية والنهاية والبلاء بالمد التجربة والاختبار والامتحان وهو في الشر كثير والدرك بفتح الدال وسكون الراء وقد تفتح التتابع والشقاء بالمد ضد السعادة ولا مطلب أهم للعاقل من حمد الله على هذه النعمة العظيمة وهي نعمة الإيمان الذي به ينجو صاحبه من البلاء والخسران والشقاوة المؤذنة بالحرمان ختم الله لنا ولجميع المسلمين بحسن الخاتمة بجاه أشرف خلقه سيد ولد عدنان ﷺ في كل عصر وأوان .

ولَمْ تُسلِّمْني لِسُوء قَضَائِكَ وبَلَائِكَ

يعني أن الله تبارك وتعالى يكون للذاكر معينا على جميع الأمور حافظا له من النقم والشرور لطيفا بأحواله رءوفا به في جميع أفعاله، فقوله ولم تسلمني بضم التاء مضارع أسلمه يعني خذله، وسوء القضاء أي ولم تسلمني لسوء مقضيك وتخذلني ببلائك بمحض فضلك وإحسانك فإنك رءوف حليم جواد كريم وفي الحديث {وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيديك} وفي صحيح البخاري {تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء} قال العزيز في قوله سوء القضاء أي المقتضى لأن قضاء الله كله حسن لا سوء فيه اهـ بلفظه .

وجَعَلْتَ مَلْبَسي العافِيَةَ

أي جعلت لباسي بفضلك وكرمك العافية أي المدافعة عني لكل ما يؤذيني في الدين والنفس والمال وقد حث ﷺ على طلب العافية من الله تعالى بقوله {إذا سألتم الله فسلوه العافية} والعافية من أعظم النعم على الإنسان . أخرج البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن عبيد

الله بـن محصـن أن رسـول الله ﷺ قال {من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها} . ذكره السيوطي في الجامع الصغير .

وَأَوْلَيْتَنِي البَسْطَةَ والرَّخَاءَ

أي أعطيتني سعة وفضيلة منة منك وفضلا وكرما وإحسانا والرخاء بالمد اسم لاتساع العيش والتقلب في النعم والشعور بأن ذلك من الله من النعم العظيمة لأن التفكر في النعم يؤذن بالتفكر في المنعم وهو الله تعالى لكن التفكر في الله ممنوع .

روى أبـو الشـيخ عـن أبي ذر ﷺ {تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فتهلكوا} بكسر الـلام لأن كـل شـئ يخطر بالبال فهو بخلافه ، قال العزيزي قال تعالى ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾(النحل:٥٣) ومن هذا المعنى قوله ﷺ {تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة} .

وَشَرَعْتَ لِي أَيْسَرَ القَصْدِ

يعـني أنـك أكرمتنا بنبينا سيدنا محمد ﷺ حيث من علينا بالرخص في الشريعة فإنها أيسـر مـن العـزائم الشـاقة فقـد قـال ﷺ {إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب إن تؤتي عـزائمه} وقـال ﷺ {ما شاد الله أحد إلا غلبه} لكن لا ينبغي للمؤمن أن يتتبع الرخص ولا يرتكبها إلا لأجل الضرورة فالعمل بالعزيمة أولى من العمل بالرخصة .

وَضَاعَفْتَ لِي أَشْرَفَ الفَضْلِ

يعـني أنك مننت علينا بمضاعفة الخير الجزيل وأسديت إلينا من النعم العظيمة جزاء على الشكر القليل والحمد اليسير ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

مَعَ مَا عَبَّدْتَنِي بِهِ المَحَجَّةِ الشَّرِيفَةِ

يعـني أنـك تفضـلت علينا بالنعم العظيمة والخيرات الجسيمة مـع ما أقمتني فيه وهديتني إليه من المحجة أي الطريق الواضح وهو الإسلام الشريفة بنسبتها إلى سيدنا ومولانا محمـد رسول الله ﷺ قال تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾(المؤمنون:٧٣) ﴿ صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾(الشورى:٥٣) ثبتنا الله عليه إلى الممات وختم لنا بما ختم به لأوليائه وأصفيائه بفضله وإحسانه .

وَبَشَّرْتَنِي بِهِ مِنَ الدَّرَجَةِ العَالِيَةِ الرَّفِيعَةِ

يعني أنك بشرت على لسان نبيك سيدنا محمد ﷺ من مات على الإيمان بسكنى الجنان، والمراد بالدرجة العالية الرفيعة رؤية الله تبارك وتعالى التي هي أكمل وأعلى من الرؤية القلبية في الدنيا روى أبو منصور والديلمي عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {ثمن الجنة لا إله إلا الله وثمن النعمة الحمد لله} وقال سهل بن عبد الله التستري ﷺ: ليس لقول لا إله إلا الله ثواب إلا النظر إلى وجه الله ﷻ والجنة ثواب الأعمال وقال ﷺ {من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة} وسيأتي إن شاء الله تعالى مزيد بيان لفضل هذه الكلمة الشريفة ثبتنا الله عليها وجعلنا من خيار أهلها آمين .

وَاصْطَفَيْتَنِي بِأَعْظَمِ النَّبِيِّينَ دَعْوَةً

يعني أنك اصطفيتني أي اخترتني وأكرمتني بأعظم النبيين وإمام المرسلين وقائد الغر المحجلين، دعوة: أي إسلاما، فإن ملته أفضل الملل وأمته أحسن الأمم كيف ونبينا ﷺ يقول يوم القيامة {يا رب لا أسألك نفسي ولا آمنة التي ولدتني ولا حليمة التي أرضعتني ولا فاطمة ابنتي وإنما أسألك أمتي أمتي} وكل واحد يقول يا رب نفسي نفسي فالحمد لله الذي جعلنا من أمة هذا النبي الكريم رزقنا الله شفاعته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وَأَفْضَلَهُمْ شَفَاعَةً

يعني أن نبينا سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ أفضل الأنبياء شفاعة بل هو أفضل الأنبياء على الإطلاق وقد فضله الله تعالى عليهم بأمور لا تعد ولا تحصى منها هذه المنقبة الجليلة والخصوصية العظيمة وهي الشفاعة لجميع الخلائق يوم القيامة عند شدة الهم والضيق . أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال {أنا سيد المرسلين يوم القيامة وهل تدرون بم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس من رءوسهم فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم ﷺ فيأتون آدم فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم ﷺ إن ربي قد غضب اليوم

غضبا لم يغضب قبله مثله وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض قد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي اذهبوا إلى ابراهيم خليل الله عليه السلام فيأتون ابراهيم عليه السلام فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإني كذبت ثلاث كذبات ويذكرها نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى عليه السلام .

فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى عليه السلام إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا رواية فيقول إني عبدت من دون الله نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ .

فيأتون فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فانطلق فأتى تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال لي يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فارفع رأسي فأقول أمتي يا رب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذي نفسي بيده أن بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وجيرا وكما بين مكة وبصرى} اهـ .

حديث الشفاعة وجلبته بطوله لبيان هذه الكرامة العظيمة المقدار التي لم تعط إلا لمولانا رسول الله النبي المختار . رزقنا الله وجميع الأحبة شفاعته يوم الفرار، وسكنى الفردوس في جواره مع الأنبياء الأبرار والشهداء والصالحين الأخيار .

وَأَرْفَعَهُم دَرَجَةً

يعني أن نبينا ﷺ رفع الله درجته على سائر الأنبياء والمرسلين وهذه المزية أيضا خصه الله تعالى بها دونهم، قال سيدي المهدي الفاسي في شرحه لدلائل الخيرات: يعني يرفع الدرجات درجات الجنة أو درجات الفضل والمجد أو درجات المكانة أو علو المنزلة يعني أنه ارتقى وارتفع على الدرجات كلها فدرجته فوق الدرجات جميعا، أو يعني أن شأنه الارتقاء والارتفاع في الدرجات دائما من غير وقوف ولا حد ولا نهاية، وإلى هذا المعنى أشار البوصيري في همزيته:

رافعا رأسه وفي ذلك الرفع ... إلى كل سؤدد إيماء

رامقا طرفه السماء ومرمى ... عين من شأنه العلو والعلاء

وَأَقْرَبِهِمْ مَنْزِلَةً وَأَوْضَحِهِمْ حُجَّةً

اعلم أن نبينا ومولانا رسول الله ﷺ خصه الله أيضا بهاتين الخصلتين الجليتين وهما كونه ﷺ أقرب الأنبياء إلى الله تبارك وتعالى مكانة ومنزلة وأوضحهم حجة أي دليلا وبرهانا لما يتكلم به وأشار بقرب منزلته إلى ما روى في حديث الإسراء حيث قال فيه ﷺ كما في البخاري {حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الأقلام} الحديث، وفي حديث آخر عن سيدنا علي كرم الله وجهه {فلما كانت ليلة الإسراء كان جبريل السفير بي إلى ربي إلى أن انتهى إلى مقام فقام عنده فقلت: يا جبريل في مثل هذا المقام يترك الخليل خليله فقال إن تجاوزته احترقت بالنور فقال النبي ﷺ يا جبريل هل لك من حاجة إلى ربك فقال يا محمد سل الله أن أبسط جناحي على الصراط لأمتك حتى يجوزوا على قال النبي ﷺ فلما كان اللقاء ذهلت عن حاجة جبريل، فقال الله تعالى: أين حاجة جبريل؟ فقلت: اللهم إنك أعلم، فقال: يا محمد قد أجبته فيما سأل ولكن فيمن أحبك وصحبك} اهـ. ولابن رشيد رحمه الله.

يا قدامة في حضرة الحق قد سعى ... رسول له فوق المناصب منصب

بأعلى السما أمسى يكلم ربه ... وجبريل ناء والحبيب مقرب

قال مولانا رسول الله ﷺ في الحديث المتقدم {ثم زج بي في النور زجا فخرق لي سبعون ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا وانقطع عني حس كل ملك فإذا أنا أسمع النداء

من العلي الأعلى: أدن يا أحمد أدن يا محمد الحبيب، فأدناني ربي حتى كنت كما قال تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى} يعني قرب مكانه لا قرب مكان وأورثني علم الأولين والآخرين وعلمني علوما شتى الحديث، ويرحم الله ابن رشيد البغدادي إذ يقول في وترياته:

تداني فأدناه إلى العرش ربه ... ونادي تقدم يا وحيد محبتي

تلذذ بنا واسمع لذيذ خطابنا ... وعينك نزه في عجائب قدرتي

ترى العرش والكرسي والحجب قد بدت ... لديك وانواري عليك تجلت

تأنس نبا هذ الوصل وذا اللقا ... محب ومحبوب وساعة خلوة

تقرب ولا تجزع وأقبل ولا تخف ... وسل تعط أنت سيد صفوتي

تعاليت قدرا عندنا ومكانة ... وذكرك مرفوع فلا تنس نعمتي

اهـ . قال الشناوي في شرحه لهذا المحل ما نصه: أما كونه ﷺ أعظمهم دعوة فلأن كل رسول أرسل بدعوته إلى قومه خاصة ونبينا ﷺ أرسل بالدعوة إلى كافة الناس بل وإلى الجن أيضا وكذلك الملائكة على التحقيق قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾(سبا:٢٨) وأما كونه ﷺ أفضلهم شفاعة فقد تقدم في حديث الشفاعة وأنها خاصة به وأما كونه ﷺ أقربهم منزلة فلأن مرتبته ﷺ الوحدة وهي المسماة بالحقيقة المحمدية ومراتب سائر الأنبياء الواحدية وهي المسماة بالحقيقة الإنسانية ومرتبة الوحدة فوق مرتبة الواحدية كما يعلم من كتب الحقائق وأيضا رأى نبينا ﷺ الحق ﷻ ليلة المعراج بعين رأسه[1]، وأما كونه ﷺ أعظمهم حجة فلأن معجزاته أظهر وأعظم من معجزات سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اهـ . بزيادة للإيضاح وحذف للاختصار .

وقد قال بعض العلماء: ما أعطى الله لنبي من الأنبياء معجزة إلا وأعطى نبينا معجزة مثلها وأعظم منها وأعظم معجزاته القرآن المتعبد بتلاوته على مر الزمان قال بعضهم:

أعظمها معجزة القرآن ... تبقى على تعاقب الأزمان

---

(١) هذا مختلف فيه ، روي عن ابن عباس إنه قال : إن رسول الله ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء ، وقالت عائشة: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، وقال رسول الله ﷺ {نوراً إنّى آراه} وقال { رأيت نوراً } وأنى مفتوحة الألف بمعنى كيف ومن أين .

سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلى آلِهِ وَعَلى جَميعِ الأَنْبياء والمُرْسَلينَ

لما ذكر النبي ﷺ ببعض أوصافه الجميلة وخصائصه الرفيعة صرح بأفضل أسمائه العالية الجليلة وهو اسم محمد ﷺ وقال محمه ولم يقل غيره من الأسماء أشار إلى أن لَهذا الاسم الشريف خصائص، قال في المواهب اللدنية: منها كونه على أربعة أحرف ليوافق اسم الله تعالى اسم محمد ﷺ فإن عدة الجلالة أربعة أحرف كمحمد، ومنها أنه قيل إن مما أكرم الله به الآدمي وإن كانت صورته على شكل كتب هذا اللفظ فالميم الأولى رأسه والحاء جناحاه والميم سرته والدال رجلاه، قال الزرقاني: زاد الشامي وباطن الحاء كالبطن وظاهرها كالظهر ومجمع الاليتين والمخرج كالميم وطرف الدال كالرجلين اهـ . وفي هذا المعنى قال بعضهم:

لَـه اسم صـورة الـرحمن ربـي ... خلائقـه علـيه كمـا تـراه

لَـه رجـل وفـوق الـرجل بطـن ... وتحـت الـرأس قـد خلقـت يـداه

ثم قال في المواهب نقلا عن ابن مرزوق: قيل ولا يدخل النار من يستحق دخولَها أعاذنا الله منها إلا ممسوخ الصورة إكراما لصورة اللفظ اهـ .

وفي المواهب أيضا ومنها أن الله كتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل سماء وعلى الجنان وما فيها، قال ابن الزرقاني: من قصور وغرف وعلى نحور الحور العين وورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين الملائكة . رواه ابن عساكر عن كعب الأحبار اهـ . انظر تقيدنا المسمى بالزهر الفاتح في فضل صلاة الفاتح ثم سمى النبي ﷺ باسمه الشريف ﷺوعلى آله وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في كل وقت وحي،ن اغتناما لما ورد في الصلاة عليه ﷺ قال ﷺ لعمه العباس {يا عم لما ولدت يوم الاثنين خلق الله سبع جبال في السموات السبع وملاها من الملائكة ما لا يحصيهم إلا الله يسبحونه ويقدسونه إلى يوم القيامة وجعل ثواب تسبيحهم وتقديسهم لعبد ذكرت عنده بين يديه فأزعج أعضاءه بالصلاة علي} .

وعن سيدنا علي كرم الله وجهه: خلق الله في الجنة شجرة ثمرها أكبر من التفاح وألين من الزبد وأحلى من العسل وأطيب من المسك وأغصانها من اللؤلؤ الرطب وجذوعها من الذهب وورقها من الزبرجد لا يأكل منها إلا من أكثر الصلاة على سيدنا محمد .

وعن سيدنا عمر ﷺ الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شئ حتى يصلي على النبي ﷺ وعن أبي الدرداء ﷺ قال إذا سألتم حاجة فابدءوا بالصلاة على رسول الله

فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي أحدهما ويرد الآخرى .

إذا أملـت مـن مـولاك قـربا فجـدد ذكـر خـير الأنبـياء

وصـل علـيه أول كـل قـول وآخـره بصـبح والمسـاء

اهـ . ومـن أراد استيفاء الكـلام عـلى بعض ما يتعلق بفضل الصلاة على النبي ﷺ فليراجع تقيـيدنا المذكـور ويـدع الله لنا بالنجاة يوم النشور، قال الشناوي: وإذا وصل إلى لفظ محمد ﷺ يهلل إحـدى وأربعين مرة ويسجد ويطلب حاجته لفتح الباطن هنا ينبغي أن يقبل إظفار إبهاميه ويضعهما عـلى عينـيه ثـم قـال وينبغي للطالب أن يدعو عند قوله المرسلين إلهي بحرمة النبي ﷺ ثبتني على دينك يا من اصطفيتني بأعظم النبيين دعوة واحشرني في مقر زمرة أفضل النبيين شفاعة آمين .

وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ

لمـا صلى عـلى الـنبي ﷺ وآله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين صلى الله على أصحابه الكـرام الذيـن جـاهدوا في الله حـق جهاده ونصروه وآمنوا به وأصحاب جمع صحب وصحب جمـع صـاحب وهـو مـن اجـتمع بالـنبي ﷺ مـن جـنس العقـلاء ولو قبل إنذاره أو غير مميز اجـتماعا مـتعارفا عـلى وجـه الأرض ولـو لحظـة مؤمنا به في حال حياته يقظة رآه أو لم يره ومـات عـلى ذلـك فعيسـى والخضـر والياس صحابة على المعتمد لأنهم اجتمعوا به في الأرض وعيسى آخر الصحابة وهو أفضل جميع الصحابة كما أشار له التاج السبكي بقوله:

مـن باتفـاق جمـيع الحـق أفضل من خـير الصـحاب أبـي بكـر ومـن عمر

ومـن عـلى ومـن عـثمان وهـو فـتى مـن أمـة المصـطفى المخـتار من مضر

وجوابه

ذاك ابـن مـريم روح الله حيـث رأى نبيـنا المصـطفى في أحسـن الصـور

فـوق السـموات لـيلا عـندما اجـتمعا كذلـك عـند طـواف البيـت والحجـر

وجـبريل وكـل الملائكـة الذيـن اجـتمعوا بـه في الأرض صـحابة قطعا وكذا الجن على الـراجح عـند الحافظ بن حجر قال النبي ﷺ بعث إليهم قطعا فمن عرف اسمه منهم لا يبقى الـتردد في ذكـره في الصحابة وقوله الطيبين جمع طيب صفة لأصحاب والطاهرين جمع طاهر وهو البريء من العيب صفة بعد صفة .

اللّهمَّ صَلِّ علَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ

أعاد الصلاة على النبي ﷺ وعلى آله تلذذا بهذه العبادة ومحبة في هذه التجارة وتحل بترديد هذا الاسم الشريف طلبا ورغبة فيما وعد الله به المصلى من الثواب المنيف أخرج ابن الملقن مرفوعا قال ﷺ {من صلى على صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شئ في السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع والأشجار والنبات والطيور والسباع والأنعام إلا صلى عليه} اهـ .

وَاغفِرْ لي مَا لا يَسَعُهُ إلاَّ مَغْفِرتِكَ
وَلا يَمْحَقُهُ إلاَّ عَفْوَكَ وَلا يُكَفِّرُهُ إلاَّ تَجَاوُزُكَ وفَضْلُكَ

لما أتى بالصلاة على النبي ﷺ وعلى آله وأصحابه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أعقبها بالاستغفار بجميع خطاياه وطلب من الله تبارك وتعالى أن يكفرها عنه واعلم أن الاستغفار من أهم الأمور التي يعتني بها ويحافظ على العمل بها، قال يحيي بن معاذ ﷺ: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو، وقال ابن وهب: من عظمت ذنوب نفسه لم يطمع في الرضى وكان غاية أمله أن يطمع في العفو ومن كملت معرفته لم ير نفسه إلا في هذه المنزلة .

وكان سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام كثير التلاوة والبكاء فبكى يوما بكاء شديدا فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا إبراهيم إن ربك يقول لك هل رأيت خليلا يعذب خليله؟ فقال يا جبريل إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي . وإذا كان هذا حال إبراهيم عليه السلام مع نبوته وخلته فما بال حال العاصي مع زلته وخطيئته فحاسب نفسك قبل أن تحاسب ومهد لها قبل أن تعذب وجاهدها الجهاد الأكبر وقل عند ذبحها بسم الله والله أكبر فالعاقل يقيم هذا الميزان على نفسه حتى يتبين له من أي الفريقين هو ﴿ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾(الاسراء:١٤) اهـ .

قاله سيدي عمر الفوتي في الرماح: فقوله ما لا يسعه إلا مغفرتك أشار به إلى قوله تعالى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾(الأعراف:١٥٦) وقوله ولا يمحقه إلا عفوك أي لا يبطله ويمحوه إلا تركك له وعدم مؤاخذتك، وقوله ولا يكفره أي لا يمحوه إلا تجاوزك أي عفوك وصفحك وفضلك أي إحسانك وكمال جودك وكرمك .

وَهَبْ لي في يَوْمِي هَذَا ولَيْلَتِي هَذِهِ وَساعَتي هَذِهِ وشَهْرِي هَذَا وسَنَتِي هَذِهِ يَقيناً صَادِقاً

وطلب من الله تبارك وتعالى أن يهب له في جميع أوقاته من يوم وليلة وكل ساعة وشهر وسنة يقينا صادقا واليقين الصادق هو كما في لطائف المنن عبارة عن استقرار العلم بالله في القلب من يقين الماء في الجبل إذا سكن فيه فكل يقين إيمان وليس كل إيمان يقينا والفرق بينهما أن الإيمان قد يكون مع الغفلة واليقين لا تجامعه الغفلة اهـ بأنه أخص من الإيمان .

وقال أحمد بن عاصم الانطاكي: اليقين نور يجعله الله في عبد القلب حتى يشاهد به أمور آخرته ويخرق به كل حجاب بينه وبينها حتى يطالع الآخرة كالمشاهد لها اهـ . قال في الإحياء: حكى عن بعض الأحداث أنه راود جارية عن نفسها فقالت ألا تستحي فقال ممن ولا يرانا إلا الكواكب فقالت وأين مكوكبها .

وقال عبد الله بن عمر: خرجت مع عمر ابن الخطاب إلى مكة فانحدر علينا راع من الجبل فقال له: يا راعي بعني شاة من الغنم، فقال: إني مملوك، فقال: قل لسيدك أكلها الديب. فقال: فأين الله؟ قال: فبكى عمر ثم غدا إلى المالك فاشتراه منه وأعتقه وقال أعتقتك كلمتك في الدنيا وأرجو أن تعتقك في الآخرة .

وحكى أنه كان لبعض مشايخ هذه الطريقة تلميذ شاب وكان يكرمه: فقال له بعض أصحابه: كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ؟ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طيرا وقال أذبحه بحيث لا يراك أحد فرجع كل واحد بطيره مذبوحا ورجع الشاب والطير حي في يده، فقال له مالك: لم تذبح وقد ذبح أصحابك! ! فقال: لم أجد موضعا لا يراني فيه أحد إذ الله سبحانه مطلع على في كل مكان، فاستحسنوا مراقبته وقالوا: حق لك أن تكرمه وقيل في ذلك:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب
ألم تر اليوم يسرع ذاهبا ... وإن غدا للناظرين قريب

وفي الخبر أن الله جعل الروح والراحة في الرضى واليقين وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا على قدر يقينه ولا يقصر عامل حتى يقصر

يقينه وقد يكون عمل الرجل الضعيف إذا كان مستيقنا أفضل من عمل القوي الضعيف في يقينه ومن ضعف يقينه تغلبه المحقرات من الآثام اهـ. نقله جسوس في شرحه على تصوف المرشد .

قال الشناوي في شرحه ويقرأ اللّهم ما قسمت في هذا اليوم من رأفة ورحمة وعصمة ومغفرة وتجوز وعافية وإيمان وحياء وطاعة وشكر وذكر وصبر وإخلاص ويقين وعلم وزهد ومراقبة فاجعل لي ولمن شئت عن المؤمنين فيه أوفر حظ ونصيب وما قسمت فيه وفي كل يوم من آفة ونقمة وبلية وخذلان واستدراج ومحنة وعقوبة وسخط وقذف وزجر فاصرفه عني وعن جميع المسلمين فأنت على ذلك قدير وبالإجابة جدير وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين آمين .

يُهَوِّنُ علىً مَصَائِبَ الدُّنيا وَالآخِرَةِ وأَحْزَانِهِما

هذا هو ثمرة اليقين وأن من تيقن أن كل كائن بقضاء الله وقدره هان عليه جميع ما أصابه في الدنيا وبسبب يقينه تزول عنه مصائب الدنيا والآخرة وأحزانهما أما مصائب الدنيا فإنها تهون بذكر الموت قال ﷺ اذكروا هازم اللذات يعني الموت فإنه ما ذكر في سعة إلا وضيقها ولا في ضيق إلا وسعه وما أحسن قول الأستاذ أبي القاسم الأصفهاني حيث يقول:

يضيق صدري فليسليني اعتلاق يدي ... حبلا من الله مشتدا مراثره

إذا تبينت من الطافة أثرا ... على طليعة أمر هان سائره

وللإمام نصر بن أحمد الميكالي رحمه الله:

اتق الله لا الاعداء واعلم تيقنا ... بأن الذي لم يقضه لن يصيبكا

وحظك لا يعدوك إن كنت قاعدا ... ولا أنت تعدو حين يعدو نصيبكا

وأنشد بعض الأدباء لسيدنا عثمان بن عفان ﷺ:

خليلي واللّه لا من ملة ... تدوم على حبي وإن هي جلت

فإن نزلت يوما فلا تخضعن لها ... ولا تكثر الشكوى إذ النعل زلت

فكم من كريم قد بلى بنوائب ... فصابرها حتى مضت واضمحلت

وكم غمرة ماجت بأمواج غمرة ... تلقيتها بالصبر حتى تجلت

وكانت على الأيام نفسي عزيزة ... فلما رأت صبري على الذل ذلت

قلت لها يا نفسي موتي كريمة فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

ويشوقني إليك

أي إذا تيقنت أن ما عند الله خير وأبقى لتشوقت إلى لقائه وأحببت ما عنده قال تعالى ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾(الضحى:٤) وقال ﷺ لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف وهو اللبن المشوي لاختار العاقل ما يبقى على ما يفنى فكيف والأمر بالعكس .

وَيُرَغِّبُنِي فيما عِنْدِكَ

يعني أن اليقين الصادق يرغب صاحبه في طلب ما عند الله من الخيرات وسكنى الفردوس في أعلى الغرفات ويزهد في هذه الدنيا الفانية، وفي الحديث: {دخل سيدنا عمر على رسول الله ﷺ فوجده مضطجعا على حصير مرمل بشريط وقد أثر في جنبه الشريف فجعل عمر يبكي، فالتفت إليه رسول الله ﷺ وقال: ما يبكيك يا عمر؟ فقلت: يا رسول الله أدع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفي شك أنت يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة أولئك قوم عجلت طيباتهم في الحياة الدنيا} الحديث . وروى أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال (يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك إن تشاء أعطيتك في الدنيا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر من على قلب بشر وجعلت لك جبال تهامة ذهبا وفضة تسير معك حيث سرت قال: فقلت يا جبريل أعمر في الدنيا أم موت فقال لابد من الموت ومن لقاء الله ﷻ فقلت يا جبريل ما الرغبة في نعيم زائل ودنيا فانية إن الدنيا دار من لا دار له تغر من لا عقل له) وفي رواية (يجمعها من لا عقل لَه لا صحيحها سالم ولا نعيمها دائم فقال جبريل تبارك الله رب العالمين أتاني إسرافيل عن الله ﷻ بهذا الكلام فإن لم ترد الدنيا يا محمد فإن الله تعالى معطيك في الجنة قبة عرضها ثلاثمائة عام قد حفتها رياح الكرامة لا يدخلها إلا من أكثر الصلاة عليك) .

واكْتُبْ لي عِنْدَكَ المغفِرَةَ وبَلِّغْني الكَرامَةَ مِنْ عِنْدِكَ

لما طلب من الله أن يهبه اليقين الصادق الذي تهون بسببه مصائب الدنيا وينشأ عنه الشوق إلى الله والرغبة فيما عنده طلب منه أيضا أن يكتب له المغفرة لجميع الذنوب الكبائر والصغائر وأن يبلغه الكرامة التي عنده ولا كرامة أعظم وألذ وأشهى من رؤية الله والنظر إلى وجهه الكريم من الله علينا بها الجنة مع الأحبة وجميع المسلمين .

وأَوْزِعْني شُكْرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ

أي وألهمني الشكر على ما أنعمت به على من النعم العظيمة والخيرات الجسيمة ومن أعظمها نعمة الإيمان والإسلام والإقرار بتوحيد بارئ الأنام واتباع سنة سيدنا محمد ﷺ .

فإِنَّكَ أَنْتَ اللهُ الذِي لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ

صرح بالإقرار لله بالوحدانية وأظهر اسم الجلالة بعد ما قدرها في قولَه أنت تلذذا يذكره فإن هذا الاسم الشريف لا يزيد تكراره إلا حلاوة ولا أحلى على القلب والسمع واللسان منه .

أعدد ذكره أن القلوب تحبه وفي ذكره قوت لَها وشفاء

قولَه الذي لا إلَه إلا أنت: قال في جواهر المعاني: اعلم أن الإلَه في لغة العرب هو المعبود بالحق وأطلقوها على غيره غلطا منهم قال جل من قائل ﴿ الله لا إلَه إلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾(آل عمران:٢) معناه لا معبود بالحق إلا هو، والإلَه الذي قلنا أنه هو المعبود هو المتحقق بمرتبة الألوهية، وهو الذي خضع لَه كل الوجود كلَه بالعبادة والتذلل والخمود تحت قهره والتصاغر لعظمته وكبريائه وليس في الوجود شئ يشذ عن هذا قاصيه ودانيه فهو إلَه الحق الذي قهر جميع الموجودات بسطوته وقهره وانفراده بعظمته وكبريائه وعلوه وجلالَه وقولَه .

الوَاحِدُ الأَحَدُ

صفتان لاسم الجلالة ومعنى الواحد المتفرد بالذات لا شريك لَه، والأحد معناه المتفرد بالصفات لا مشارك لَه، واعلم أن في جامع الأصول ثبوت لفظ الأحد بعد الواحد كما هنا، وليس الأحد ثابتا في جامع الترمذي وعلى كل حال فمعناهما: أنه تعالى واحد من حيث إنه منزه عن التركيب والمقادير لا يقبل التجزئة والانقسام أحد من حيث إنه متعال عن أن يكون لَه مثل فيتطرق إلى ذاته التعدد والاشتراك وقيل معناهما المتفرد بإيجاد المعدومات المتوحد بإظهار المخفيات .

الرَّفِيعُ البَدِيعُ

صفتان أيضا لاسم الجلالة والرفيع ضد الوضيع وحظ العبد منه أن يرفع الحق ويوالي أولياءه فيرفعهم، والبديع هو الذي لا مثل لَه في ذاته ولا نظير لَه في صفاته وقيل معناه الذي أظهر عجائب صنعه وأظهر غرائب حكمته، وقيل الذي يفعل على غير مثال سابق وقيل

معناه الخالق ابتداء وهو المبدع. وقال الشناوي معنى البديع الآتي بما لم يسبق إليه يقرؤه أحد وأربعين مرة ثم يسجد ويطلب حاجته وهذا الاسم هو الكبريت الأحمر اهـ .

المُبْدِئُ المُعِيدُ

صفتان أيضا لاسم الجلالة فمعنى المبدئ: الفاطر وهو الخالق ابتداء، والمعيد: الخالق ثانيا، فهما إشارة إلى النشأتين الأولى والآخرة وحظ العبد منهما استعمال حقائق الإيمان بالبعث فيما ينفع بعد الموت، وقال الشناوي معنى المبدئ المظهر للشيء من العدم إلى الوجود وهو بمعنى الخالق للشئ .

السَّمِيعُ العَلِيمُ

صفتان أيضا لاسم الجلالة، قال في المقدمات السمع الأولى صفة ينكشف بها كل موجود على ما هو به انكشافا يباين سواء ضرورة وقيل معناه أنه تعالى يسمع دعوات عباده وتضرعهم إليه ولا يشغله نداء عن نداء ولا تمنعه إجابة دعاء عن إجابة دعاء، وقيل هو الذي أجاب دعوتك عند الاضطرار وكشف محنتك عند الافتقار وغفر زلتك عند الاستغفار وقبل معذرتك عند الاعتذار ورحم ضعفك عند الذلة والانكسار، وقيل هو الذي يسمع المناجاة ويقبل الطاعات ويقبل العثرات والعليم معناه البالغ في العلم وعلمه تعالى شامل لجميع المعلومات بها يتعلق بقديمها وحادثها وهو من صفات الذات وقيل الذي لا تخفى عليه خافية ولا تعزب عن علمه قاصية ولا دانية[1] قال الرازي وغيره اجتمعت الأمة على أنه لا يجوز أن يقال لله يا معلم وهذا من أقوى الدلائل على أن أسماء الله توفيقية لا قياسية[2] اهـ .

الَّذِي لَيْسَ لأَمْرِكَ مَدْفَعٌ وَلا عَنْ قَضَائِكَ مُمْتَنَعٌ

هذا أيضا من صفات الله تعالى الذي يجب اعتقاده وهو القضاء والقدر قال جسوس في شرح عقائد المرشد والإيمان بالقدر: والتصديق بأن علمه تعالى وإرادته قد تعلقا في الأزل بجميع الكائنات على ما هي عليه فيما لا يزال فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فكل محدث خيرا كان أو شرا صادر عن علمه وقدرته وإرادته وقد بسط القول في مسألة القدر بقسميها في الرسالة فقال: والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره وكل ذلك قد قدره الله ربنا ومقاديره الأمور بيده

---

(١) القاصية : البعيدة ، الدانية : القريبة .
(٢) أى: محددة ومبينة ومنصوص عليها من الشارع وليست على قياس اللغة والعقل .

ومصدرها عن قضائه علم كل شئ قبل كونه يجري على قدره ولا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(الملك: ١٤) يضل من يشاء فيخذله بعدله ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره من شقي أو سعيد تعالى أن يكون لأحد عنه غني أو يكون خالق الشئ إلا هو رب العباد ورب أعمالهم والمقدر لحركاتهم وآجالهم اهـ منه . قال جسوس في شرحه : وعليها مراد المؤلف أن كل واحد مسوق إلى ما أراده الله سبحانه وما أحسن قول أبي عمرو الزاهد:

إذا أراد الله أمر بالفتى	وكان ذا سمع وعقل وبصر
اذهب عنه سمعه وعقله	وسله من ذهنه سل الشعر
وحيله يفعلها في دفع ما	يأتي به محتوم أسباب القدر
حتى إذا أنفذ فيه حكمه	رد عليه عقله ليعتبر
فلا تقل لما جرى كيف جري	فكل شئ بقضاء وقدر

فالعبد وإن كان يحس من نفسه الاختيار فهو في الحقيقة مسوق بزمام القدرة إلى ما سبق له أزلا في علم الفاعل المختار اهـ .

وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَبِّي وَرَبُّ كل شَيْءٍ

أي وأقر بربوبيتك لكل مخلوق إذ من لازم المخلوق أن يكون له خالقا وليس ثم إلا الله تبارك وتعالى واعلم أن أهل الإيمان قسمان عامة وخاصة وإن شئت قلت أهل دليل وبرهان وأهل شهود وعيان أما أهل الدليل فيستدلون بالأثر على المؤثر وأما أهل الشهود فألاح الحق تعالى لهم من نوره ما لم يحتاجوا معه إلى تأمل دليل اهـ .

قال الشيخ أبو الحسن: إنا لننظر إلى الله ببصر الإيمان فأغنانا ذلك من إقامة الدليل والبرهان . وقال أبو بكر ﷺ: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا .

فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ العَلِيُّ الكَبِيرُ المُتعَالِ

قوله فاطر السموات والأرض يعني خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق وأصل الفطر الشق فطر ناب البعير إذا شق وظهر وفطر الله الخلق أوجده وأبدعه ، وفي الإحياء تكاد فطرة

النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفه بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى ﴿ أفِي الله شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾(ابراهيم:١٠) ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله ثم قال الله ﷻ ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ الله ﴾(الزمر:٣٨) وقال ﴿ فِطْرَتَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾(الروم:٣٠) اهـ بخ . وقوله ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾(الأنعام:٧٣) يعني أنه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما يشاهدونه، وقيل الغيب هو المعدوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر في الحس، وقوله العلي أي البالغ في علو الرتب إلى ما لا نهاية له من رتب الكمال والذي علا عن أن تدرك الخلق ذاته وعن أن يتصور صفاته بالكنه والحقيقة، والكبير أي العظيم الذي يَصْغُر كل كبير بالإضافة إلى عظمته وكبريائه فهو يعود إلى معنى كبر قدرته وأنه تعالى المستحق لصفات الكمال والمتعالى المتنزه عن صفات النقص المتعالي عن صفات الخلق، وفيه دليل على أنه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة ومنزه عن جميع النقائص اهـ .

قال الخازن قال الشناوي: وإذا وصل إلى الكبير المتعال يقرأ مرة ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ الله لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾(آل عمران:٩) إحدى وعشرين مرة ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾(آل عمران:١٩٢) لدفع العدو ويكرر من قوله فإنك أنت الله .. إلى المتعالي أربعين مرة ثم يقرأ مرة ويسجد فأي حاجة طلب حصلت اهـ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ

المراد بالأمر اليقين الصادق والأعمال الصالحة والمراد بالثبات الدوام، قال الشناوي: والمراد بالثبات في الأمر الدوام على الدين ولزوم الاستقامة قال ﷺ {أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل} .

وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ

العزيمة القصد إلى الشيء يقال عزم على الشيء عقد ضميره على فعله والرشد قال في المصباح الصلاح وهو خلاف الغي والضلال وهو إصابة الصواب اهـ . وقال العزيزي: عزيمة الرشد حسن التصرف في الأمر والإقامة عليه .

والشُّكْرَ على نِعَمِكَ

الشكر على النعم واجب وأعظم الشكر هو أن لا يعصي الله بنعمة قال ﷺ ليس شئ من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله ويجب على المؤمن أن يعتقد أن كل نعمة من الله ولذلك قال سيدنا موسى عليه السلام في مناجاته (إلهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف أشكرك؟ فقال الله ﷻ: علم أن كل ذلك مني فكانت معرفته شكراً) اهـ ذكره الغزالي في الإحياء.

وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادتِكَ

حسن العبادة هو إيقاعها على الوجه الحسن وذلك باستيفاء شروطها وأركانها ومستحباتها والمحافظة على أدائها في أوقاتها .

وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ كلِّ مَا تَعْلَمُ وَأَعُوذ بِكَ مِنْ شَرِّ كلِّ مَا تَعْلَمُ

سأل من الله أن يمنحه من كل خير واستعاذ به أن يدفع عنه كل شر وهذا من جوامع كلمه ﷺ أخرج الترمذي والنسائي عن شداد بن أوس {اللهم إني أسألك الثبات في الأمر وأسألك عزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك لسانا صادقا وقلبا سليما وأعوذ بك من شر ما تعلم وأسألك من خير ما تعلم وأستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب} ذكره السيوطي في الجامع الصغير .

وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ شَرِّ كلِّ مَا تَعْلَمُ إنَّك أنْتَ علاَّمُ الغُيوبِ

أي أطلب مغفرتك لكل ذنب أنت عالم به منا فلا تؤاخذنا به وقوله إنك أنت علام الغيوب يعني أنك تعلم ما كان وما سيكون أي من الأشياء الخفية .

وَأَسْأَلُكَ أمْناً

أي وأطلب منك يا رب أن تؤمنني من عذاب الدنيا وخزي الآخرة ومن الفزع الأكبر ومن عذاب النار.

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ جَوْرِ كُلِّ جَائِرٍ

أي وأستعيذ بك من ظلم كل ظالم يقال جار في حكمه يجور جورا ظلم قال تعالى ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً ﴾(الجن:١٥) أي الجائرون، حكى: أن الحجاج لما أحضر بين يديه سعيد بن جبير قال له: ما تقول في قال قاسط عادل فأعجب الحاضرين، فقال لهم الحجاج: ويحكم لم تفهموا جعلني جائرا كافرا ألم تسمعوا قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ ... ﴾ الخ، وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾(الأنعام:١) .

وَمَكْرِ كُلِّ مَاكِرٍ

أي أستعيذ بك يا رب من خدع كل مخادع يقال مكر مكرا خدع قال تعالى ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ الله ﴾(الأنفال:٣٠) يعني يحتالون ويدبرون في أمرك: ويمكر الله: أي يجازيهم الله جزاء مكرهم فسمى الجزاء مكرا لأنه في مقابلته .

وَظُلْمِ كُلِّ ظَالِمٍ

أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه والظلم حرام كتابا وسنة وإجماعا قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(البقرة:٢٢٩) وقال ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾(الشعراء:٢٢٧) وقال ﷺ { الظلم ظلمات يوم القيامة} وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى (اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري) وقال ابن مسعود: لما كشف الله تعالى العذاب عن قوم يونس ترادوا المظالم حتى إن كان الرجل لا يقلع الحجر من أساسه فيرده إلى صاحبه .

وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب: يا معشر الظلمة لا تجالسوا أهل الذكر فإنهم إذا ذكروني ذكرتهم برحمتي وإذا ذكرتموني ذكرتكم بلعنتي، وقال أبي أمامة: يجئ الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسرجهنم لقيه المظلوم وعرف ما ظلمه به فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظُلموا حتى يأخذوا ما بأيديهم من الحسنات فإن لم يجدوا حسنات حملوا عليهم سيئاتهم مثل ما ظلموا حتى يردوا الدرك الأسفل من النار .

يروي أن يونس ﷺ لما نبذ بالعراء وأنبت الله عليه شجرة من يقطين كان يأوى إلى ظلها فيبست فبكى عليها فأوحى الله تعالى إليه تبكي على شجرة فقدتها ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن أهلكهم وما أحسن قول بعضهم:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا فالظلم مصدره يفضي إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال آخر:

إذا ما المظلوم استوطأ الأرض مركبا ولج غلوا في قبيح اكتسابه
فكله إلى صرف الزمان فإنه سيبدي له ما لم يكن في حسابه

وقال بعضهم: لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الأقوياء وقال ﷺ {لو كان الظلم بيتا في الجنة لخرب} وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه {يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم حراما فلا تظلموا} وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه {أنا أظلم الظلمة إن لم أنتصف للمظلوم من ظالمه يوم القيامة} وعنه ﷺ {من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة} وفي هذا القدر كفاية لأن من لم ينفعه القليل لم ينتفع بالكثير .

وَسِحْرِ كلَّ سَاحرِ

أي وأستعيذ بك يا رب من سحر ساحر والسحر بكسر السين، قال ابن فارس: إخراج الباطل في صورة الحق ويقال هو الخديعة قاله في المصباح، قال في الخازن: حاصل السحر تمويه وتخييل وصاحبه لا يفلح أبدا اهـ . وهو حرام، قال تعالى ﴿ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾(يونس:٨١) وقال تعالى ﴿ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾(طه:٦٩) .

وبَغْيِ كلَّ باغٍ

البغي ظلم قال في المصباح بغى على الناس بغيا ظلم واعتدى فهو باغ والجمع بغاة وبغى سعى بالفساد ومنه الفرقة الباغية لأنها عدلت عن القصد وهو أيضا حرام كالذي قبله .

وَحَسَدِ كلَّ حَاسِدٍ

يعني أن الذاكر استعاذ أيضا بالله من حسد الحساد ولا دواء للمحسود إلا التعوذ منه بالله المأمور به مع الصبر على ما يرى ويسمع ، وبذلك ينعكس الحال والبلاء على الحاسد

فيموت غما ويمتلئ غيظا وكمداً كما قال تعالى ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾(آل عمران: ١١٩) وينبغي للمؤمن أن يداري نفسه من هذه العلة الخبيثة فإن الحسود لا يسود وقال ﷺ {استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود} . ويقال ثلاثة لا يهنأ لصاحبها عيش: الحقد والحسد وسوء الخلق، وقيل لبعضهم: ما بال فلان يبغضك؟ فقال لأنه شقيقي في النسب وجاري في البلد وشريكي في الحرفة، فذكر جميع دواعي الحسد، وقال أعرابي: الحسد داء منصف يفعل في الحاسد أكثر من فعلّه في المحسود، وقال الشاعر:

ألا قل من بات لي حاسدا ... أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في حكمه ... إذا أنت لم ترض لي ما وهب

فجازاك عني بأن زادني ... وسد عليك وجوه الطلب

وقال ﷺ {الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل} . واعلم أن الحاسد مضر بنفسه ثلاث مضرات: أحدها اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام، الثانية: سوء الأدب مع الله ﷻ باعتراض عليه في فعلّه كما مر، الثالثة: كثرة تألم قلبه وتضاعف غمه، كما قيل:

دع الحسود وما يلقاه من كمده ... كفاك منه وقود النار في كبده

إن لمت ذا حسد نفست كربته ... وإن سكت فقد عذبته بيده

وقال آخر:

إني لأرحم حاسدي لفرط ما ... ضاقت صدورهم من الأوغار

نظروا صنيع الله بي فعيونهم ... في جنة وقلوبهم في نار

لا ذنب لي قد رمت كتم فضائلي ... فكأنما علقتها بمنار

وقال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ (ما كانت نعمة الله على أحد إلا وجد لَها حاسداً فلو كان الرجل أقوم من القدح لما عدم غامزا) . وقد قال الشاعر:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولَهم ما بي وما بهم ... ومات أكثرهم غيظا بما يجد اهـ

واعلم أن الحسود عدو لا تزول عداوته ولا تنفع مداراته ومسالمته كما قيل:

كل العداوة قد ترجي مودتها إلا عداوة من عاداك من حسد

ومن ثم استمرت عداوة إبليس لأبينا آدم عليه السلام ولذريته وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول (نعوذ بالله من كل قدر وافق إرادة حاسد) وقيل لعبد الله بن عروة: لم لزمت البدو وتركت قومك؟ قال: وهل بقي إلا حاسد على نعمة أو شامت على نكبة، والحسد معجون في طينة الآدمي ومبتلى به ولا يسلم منه إلا من طهره الله تعالى من أصفيائه وقليل ما هم ولم يزل ذو الفضل محسودا وكلما كثر الفضل كثر الحساد فوجود الحساد دليل على وجود الفضل وعدمهم على عدمه، فإذا قيل للشخص كثر الله حسادك كان دعاء له وإذا قيل له قلل الله حسادك كان دعاء عليه وقال معن بن زائدة:

إني حسدت فزاد الله في حاسدي ما عاش من عاش يوما غير محسود

لا يحسد المرء إلا من فضائله بالعلم والظروف أو بالبأس والجود

وقال معاوية رضي الله عنه: ليس في خصال الشر أعدل من الحسد يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود، وقال بعض الحكماء: يكفيك من الحاسد أنه يغنم في وقت سرورك، وقال عبد الله بن المعتز رحمه الله تعالى:

أصبر على كيد الحسو د فإن صبرك قاتل

فالنار تأكل بعضها إن لم تجدا ما تأكل

وقال آخر:

إذا ما شئت إرغام الأعادي بلا سيف يسل ولا سنان

فزد من مكرماتك فهي أعدى إلى الأعداء من نوب الزمان

وربما كان الحسد منبها على فضل المحسود ونقص الحسود كما قال أبو تمام الطائي:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

لولا التخوف للعواقب لم يزل للحاسد النعمي على المحسود

وقال الشناوي الحسد إرادة زوال النعمة على المسلم بما له فيه صلاح وإن انتفى الصلاح

فغيرة وإن أراد مثلها لنفسه دون الزوال عنه فغبطة ومنافسة والحسد حرام بخلاف الغيرة والغبطة ومنه الحديث {لا حسد أي غبطة إلا في اثنين رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل تعلم علما فهو يعلمه الناس} أو كما قال، وقد قال سيدنا زكريا ﷺ: قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بالقسمة التي قسمت بين عبادي اهـ:

لا تحسد الناس على نعمة ... وكن أخا حليم سليم الحشا

فذاك فضل الله في خلقه ... والله يؤتي فضله من يشا

ولتمسك العنان ❊ عما جمح بنا فيه القلم واللسان ❊ واستغفر الله العظيم ❊ من كل ذنب ذميم ❊ إنه غفور رحيم .

وَغَدْرِ كلَّ غَادِرِ

الغدر نقض العهد وهو أيضا حرام قال تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ الله إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾(النحل: ٩١) ومنه قول بعضهم:

إذا قلت في شيء نعم فأتمه ... فإن نعم دين على الحر واجب

وإلا فقل لا تسترح وتريحنا ... لئلا يقول الناس إنك كاذب اهـ

وكَيْدِ كلَّ كائِدِ

الكيد الخداع والمكر يقال كاده خدعه ومكر به وهو أيضا حرام ولا ينصف به المؤمن وقد عده الله تعالى من أوصاف شرار خلقه إبليس لعنه فقال ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾(النساء:٧٦)

وَعَدَاوَةِ كلَّ عَدُوِّ

العدو ضد الصديق الموالي ولا عداوة أعظم من عداوة الدين فيقدر محبة الله تعظم عداوة الكفار والمنافقين قال ﷺ {الحب في الله والبغض في الله من الإيمان} وكذلك بغض الشيطان قال تعالى ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً ﴾(فاطر:٦) وكذلك النفس قال ﷺ {أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك} ، قال البوصيري ﷺ في بردته :

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهم

وَطعْنِ كلِّ طاعِنٍ

الطعن بفتح الطاء وسكون العين مصدر طعن بفتحهما من باب قتل ومن باب لغة القدح والعيب طعنا وطعنا وهو طاعن وطعان في أعراض قالَه في المصباح وإلى هذه اللغة أشار بعضهم بقولَه:

طعن بطعن بفتح في نسب   وفي الرماح ضم تتبع العرب

وَقَدْحِ كلِّ قَادِحٍ

القدح بفتح القاف وسكون الدال العيب والتنقص ومنه قدح فى نسبه وعدالته إذا عيبه وذكر ما يؤثر في إنقطاع النسب ورد الشهادة قالَه أيضاً فى المصباح .

وَحِيَلَ كلِّ مُتَحَيِّلٍ

الحيل بكسر الحاء وفتح الياء جمع حيلة وهي الخداع في تدبير الأمور وهو تغلب الفكر حتى يهتدي إلى المقصود وأصلَها الواو واعلم أن الحيلة إذا كانت على أمر جائزة شرعا فهي جائزة وإن دبرها صاحبها ليتوصل بها إلى باطل أو دفع حق ترتب عليه أو أخذ ما ليس لَه فهي حرام، قالت الحكماء: الحازم يحتال للأمر الذي يخافه لعل أن لا يقع فيه فليس من القوة التورط في الَهوة ومن لم يتأمل العواقب بعين عقل لم يقع سيف حيلته إلا على مقابلته، وأنشد لتأبط شرا :

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده   أضاع وقاصى الصعب وهو مقصر

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا   به الأمر إلا وهو للقصد مبصر

ويقال إذا اتسع لك المنهج فاحذر أن يضيق عليك المخرج وقال الشاعر:

وإذا هممت ورود أمر فالتمس   من قبل مورده طريق المخرج

أخـــر :

إيـاك والأمـر الـذي إن توسعت   مـوارده ضـاقت علـيك الصـادر

فأحسن أن يعذر المرء نفسه   وليس لَه من سائر الناس عاذر

ويقال: تفكر قبل أن تعزم، وتدبر قبل أن تهجم، فإنه من لم ينظر في العواقب فقد تعرض لحادثات النوائب .

وَشماتَةِ كلُ شَامِتٍ

الشماتة الفرح ببلية العدو وبابه سلم يقال شمت به يشمت إذا فرح بمصيبة نزلت به والاسم الشماتة وأشمت الله به العدو وفي دلائل الخيرات: وأعوذ بك من شماتة الأعداء.

وَكَشْحِ كلُ كاشِحٍ

الكشح مثال فلس ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، قال المرادي: والكاشح الذي يطوي كشحه على العداوة، وقيل: الذي يتباعد عنك قاله في المصباح، وقال في المختار: والكاشح الذي يضمر لك العداوة يقال كشح له بالعداوة من باب قطع، واعلم أن الذاكر استعاذ بالله من جميع هذه الخصال الرديئة والأوصاف الخسيسة نعوذ بالله من البلية وأهلها والتخلق بها .

اللّهمَّ بِكَ أَصُولُ عَلَى الأعْدَاءِ والقُرَناءِ

توسل إلى الله تعالى أن يرزقه صولة بعناية الله على جميع أعدائه. يقال صال عليه استطال، والأعداء: جمع عدو ولا عداوة أشد من عداوة من يخالفك في الدين أو ينتهك حرمة المسلمين، والقرناء: بضم القاف وفتح الراء جمع قرين وهو من يماثلك في العلم أو الشجاعة أو السن أو غير ذلك من الأوصاف .

وَإيَّاكَ أرْجُو وِلايَةَ الأحِبَّاءِ وَالأوْلياء والقُرَبَاءِ

أي لا أرجو إلا إياك يا رب في ولاية بكسر الواو أي نصرة الأحباء مع حبيب وهو الصديق الملاطف وهو قليل في هذا الزمان بل لا يكاد يوجد وإلى عدم وجوده أشار القائل:

لما رأيت بني الزمان وما بهم ... خل وفي للشدائد اصطفى

أيقنت أن المستحيل ثلاثة ... الغول والعنقاء والخل الوفي

ووصفه بعضهم بقوله:

أن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيك شمله ليجمعك

ووصفه بعضهم بقوله: هو الذي يكون معك لا سر مكتوم، ولا مال مقسوم، وهو في هذا الزمان معدوم، ولكن لا ينبغي ترك الأخوان ومجانبة الخلان، وأن فسد الزمان وقال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: (لقاء الإخوان جلاء أحزان)، وقال خالد بن صفوان: إن أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم، وقال على كرم الله وجهه لابنه الحسن: يا بني الغريب من ليس له حبيب، وقال ابن المعتز: من اتخذ إخوانا كانوا له أعوانا، وقال الأدباء: أفضل الذخائر أخ وفي، وقال بعض البلغاء: صديق مساعد عضد وساعد، وقال بعض الشعراء:

همـوم رجـال في أمـور كـثيرة ... وهمـي مـن الدنـيا صـديق مسـاعد

تكـون كـروح بـين جسـمين قسـمت ... فجسـماهما جسـمان والـروح واحـد

وينبغي أن يتوقى الإفراط في محبته فإن الإفراط داع إلى التقصي ولأن تكون الحال بينهما نامية أولى من أن تكون متناهية روى ابن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: {أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما} . وقال عمر بن الخطاب ﷺ:(لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا) وقال أبو الأسود الدؤلي:

وكـن معدنا للخير واصفح عن الأذي ... فـإنك وراء مـا علمـت وسـامع

واحبـب إذا أحببـت حـبا مقاربـا ... فـإنك لا تـدري مـتى أنـت نـازع

وابغـض إذا أبغضـت غـير مـباين ... فـإنك لا تـدري مـتى أنـت راجـع

والأولياء: جمع ولي وحقيقته كما في الجيش الكفيل هو العارف بالله تعالى وصفاته المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي المعرض عن اللذات والشهوات قاله في فرائض العوائد اهـ . منه . والقرباء: بضم القاف وفتح الراء جمع قريب وهو الكامل في الولاية المقرب إلى الله تعالى ومرتبته فوق مرتبة الولي وهذا والله أعلم هو المعبر عنه بالغوث اهـ .

فَلَكَ الحَمْدُ عَلى مَا لا أَسْتَطِيعُ إِحْصَاءَهُ
وَلا تَعْدِيدَهُ مِنْ عَوَائِدِ فَضْلِكَ

حمدا لله تعالى على جميع النعم التي عليه ولا قدرة له على إحصائها وتعديدها العائدة عليه من الله فضلا منه ومنة، فقوله: إحصاءه أي إطاقته وتعديده أي عده وإلى هذا

المعنى أشار من قال:

لـو كـل جارحـة مـني لَهـا لغـة ... تـثني عليك بمـا أولـيك مـن حسـن

لكـان مـا زاد مـن شـكر شـكرت بـه ... إلـيك أزيـد في الإحسـان والمـنن

وهذا مقتبس من قول النبي ﷺ {لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك} والعوائد جمع عائدة وهي معروفة سميت بذلك لأن صاحبها يعاودها أي يرجع إليها مرة بعد أخرى .

وَعَوَارِفِ رِزْقِكَ

عوارف جمع عارف على غير قياس أي ما يعرفه الإنسان من الأرزاق التي من الله بها عليه .

وَأَلْوَانِ مَا أَوْلَيْتَنِي بِهِ مِنْ إِرْفَادِكَ وَكَرَمِكَ

الألوان جمع لون وهو النوع من كل ما أنعم الله به علينا من إمداده أي إعانته وتقويته لنا بالفضل منه والجود والكرم .

فَإِنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ

أقـر لله تـبارك وتعـالى بالوحدانـية تكـثيرا لذكـره إذ بذكـره يكـثر الإيمـان ويحصـل الاطمئـنان، وقـد كـان معروف الكرخي ﷺ كثير الإيمان في مجلسه عند ذكر الصالحين تنزل الـرحمة فقـام إلـيه رجـل مـن أصحابه وقـال: يـا سيدي إذا كان عند ذكر الصالحين تنزل الـرحمة فعـند ذكـر الله مـاذا يـنزل؟ فغشـى عـلى الشـيخ سـاعة ثـم أفاق عند ذكر الله تنزل الطمأنينة ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾(الرعد:٢٨) اهـ .

الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُكَ

قولـه الفاشـي أي الظاهـر المنتشـر وهـو اسـم فاعل وحمدك هو الفاعل وفي الخلق جار ومجـرور يـتعلق بـه يعني أن حمدك ظاهر ومنتشر وفاش في الخلق ظهور النهار ولا ينكره إلا من أراد الله به الهلاك والبور من الكفار والفجار .

الباسِطُ بالجُودِ يَدَكَ

يعني أن الله تعالى بسط لخلقه النعم العظيمة وأمدهم بالمواهب الجميلة، قال تعالى ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾(المائدة:٦٤) والباسط: اسم فاعل وفيه ضمير مستتر يعود على الله تعالى هو الفاعل ويدك مفعول به وبالجود جار ومجرور متعلق به واعلم أن الباسط الذي هو اسم من أسماء الله تعالى مشتق من البسط بمعنى التكسير والتوسيع يقال بسط الله الرزق كثره ووسعه .

لا تُضَادُّ في حُكمِكَ

أي لا تنازع ولا تخالف في أحكامك النافذة في خلقك الضد هو النظير والكفء والجمع أضداد وقال أبو عمر والضد مثل الشئ والضد خلافه قاله في المصباح .

وَلا تَنَازُعَ في أَمْرِكَ وسُلْطانِكَ وَمُلْكِكَ

أي لا تخالف في مأمورك أي ما تأمر به ولا تخالف أيضا في سلطانك أي عظمتك وقهرك وملكك وعزتك.

وَلاَ تُشَارِكُ في رُبُوبِيَّتِكَ

أي ليس في الوجود أحد يعبد على الحقيقة ويدعى ربا حقيقة إلا الله تبارك وتعالى وهذا رد على من قال بإلهين وعلى من قال بثلاثة كما في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾(المائدة:٧٣) وقوله تعالى ﴿ وَقَالَ اللهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾(النحل:٥١) .

وَلاَ تُزَاحَمُ في خَلْقِكَ

أي لا يزاحمك ولا يضيق عليك أحد في خلقك بحيث يكون لهم رب يعبدونه حقيقة والازدحام في خلق الله تعالى محال لأنه يستدعي الجسم والحلول تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والمراد به المشارك له في التصرف في الخلق والمستحق للعبادة وهو منفي عند جميع أهل السنة .

تملِكُ مِنَ الأنامِ مَا تَشَاءُ وَلاَ يَملِكُونَ مِنكَ إلاّ مَا تُرِيدُ

يعني أنك مالك لجميع الخلائق وبيدك زمامهم وإليك قيادهم وهم لا يملكون عندك إلا ما

قدرته لهم وهذه إشارة إلى قوله ﷺ {لو اجتمع أهل السموات والأرض على أن ينفعوك بشئ لم يُقدّر لك ما قدروا ولو اجتمع أهل السموات والأرض على أن يضروك بشئ لم يُقدّر لك ما قدروا} .

اللّهم أنتَ المُنعِمُ المُتَفَضّلُ

يعنى أنه لا منعم ولا متفضل ولا معطي إلا الله ﷻ، والمنعم بكسر العين اسم فاعل من أنعم الله عليه جعله في نعمة واسعة والمتفضل اسم فاعل أيضا من تفضل إذا أحسن بإسداء النعم تفضلا وامتنانا .

القَادِرُ المُقْتَدِرُ

هاتان صفتان أيضا لاسم الجلالة ومعناها ذو القدرة ولكن المقتدر أكثر مبالغة لما في التاء من معنى التكلف والاكتساب فإن ذلك وإن امتنع في حقه تعالى حقيقة لكنه يفيد المعنى مبالغة ومن حقهما لا يوصف بهما مطلقا غير الله تعالى فإنه القادر بالذات والمقتدر على جميع الممكنات وما عداه ليس كذلك وحظ العبد منهما التبري من الحول والقوة إلا به ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾(الفاتحة:٥) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

القَاهِرُ المُقَدّسُ بِالمَجْدِ فِي نُورِ القُدْسِ

صفتان أيضا لاسم الجلالة والقاهر الغالب لعباده وهم مقهورون تحت قدرته، والقهار معناه الذي يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق عليهم ويثقل ويغم ويحزن ويغفر ويميت ويذل خلقه فلا يستطيع أحد من خلقه رد تدبيره والخروج من تحت قهره وتقديره وهذا معنى القاهر في صفة الله تعالى لأنه القادر والقاهر الذي لا يعجزه شئ أراده اهـ . قاله في الخازن .

وقوله المقدس أي المنزه عن النقائص وسمة الحدوث، وقوله بالمجد متعلق به ومعناه الكرم والجود، وقوله في نور القدس جار ومجرور متعلق بمحذوف تقديره كائن شبه قدسه تعالى بالنور والخلوص وأضيف المشبه به للمشبه على طريق لجين الماء فالمعنى أنت الكائن في القدس الذي هو كالنور المتصف به وإنما كرر هذه الصفة للتأكيد من التفنن في العبارة ويمكن أن يقال إن المعنى أنت المختفي بالكنه في الحجب النورانية المقدسة الغير المتناهية وعلى هذا فلا تكرار فيه ولقد ألهمني الله تعالى به بفضله وكرمه هنا وجها آخر وهو أن المراد بنور القدس المرتبة الأحدية أعني الوجود المطلق إذ الظاهر في سائر مراتب الظهور كالنور والمقدس من سمات

النقص كالمعنى أن كنهك كائن في تلك المرتبة الأحدية لأن تلك المرتبة هي كنه الحق ﷻ لا تنكشف ولا تحصل تلك المرتبة لأحد أبدا بل لا يعلمها إلا الله تعالى اهـ . قاله الشناوي .

واعلم أن الله تعالى إذا أنزل أمرا استغاث إليه في ذلك الأمر الأولياء ثم الإبدال ثم النجباء ثم القرباء ثم الأقطاب فإن لم يجابوا رفعوا ذلك إلى الغوث فيدعو فيستجاب دعاء الغوث لأنه هو مركز الأقطاب وهو من الذين وصفهم رسول الله ﷺ في حديث أويس القرني ﷺ {رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره} وفي رواية {رُبَّ ذي طمرين لا يؤبه لو أقسم على الله لأبره} أخرجه البزار عن ابن مسعود وروى الإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة {رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره} .

تَرَدَّيْتَ بِالمَجْدِ والبَهَاء

أي ترفعت بالكرم والجود والبهاء أي العظمة والكبرياء أي لا مثل لك ولا نظير ولا كفء في مجدك أي كرمك وبهائك أي عظمتك .

وتَنَظَّمْتَ بِالعِزَّةِ والعلاء

يعني أنك تعظمت أي اتصفت بالعظمة والعزة أي القوة والمنعة والبلاء بفتح العين ممدودا مأخوذ من العلو والارتفاع .

وتَأَزَّرْتَ بِالْعظَمةِ والكِبرياء

أي وصفت نفسك بالعظمة والكبرياء يشير بهذا إلى ما روى عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار} وفي رواية {فمن نازعني في ردائي قصمته وفي أخرى والعز إزاري فمن نازعني في شئ منهما عذبته} اهـ .

تنبيه: شبه العز والعلاء بالرداء والعظمة والكبرياء بالأزار على طريق الاستعارة بالكناية ووجهة الشمول على الوجه الأكمل والاختفاء على الوجه الأتم وإثبات التردي والتأزر استعارة تخيلية ، فإن قلت: ما معنى كون وجه الشبه الشمول على الوجه الأكمل والاختفاء على الوجه الأتم ؟ قلت: أما الأول فمعناه: أنه كما أن الرداء والازار شاملان لصاحبهما على الوجه الأكمل إذا غطى تمام البدن بهما كذلك العظمة والعلاء شاملان له

تعالى على الوجه الأكمل بمعنى أنهما ثان له تعالى من جميع الوجوه في ذاته وصفاته كلها، وأما الثاني فمعناه: أنه كما أن صاحب الرداء والازار يختفي لونا وبدنا عن غيره على الوجه الأتم بواسطة الرداء والازار إذا أحاط به كذلك الحق ﷻ مختلف من حيث الكنه عن الخلق على الوجه الأتم بواسطته كمال العظمة والعلاء إذ بكمال العظمة والمهابة والعلاء لا يقدر الخلق على أن ينظروا ويعلموا ويبلغوا إلى كنهه تعالى اهـ . قاله الشناوي .

فائدة: يحرم على المؤمن الصادق أن يتصف بصفة من هذه الأوصاف لما ورد في ذلك من الوعيد الشديد قال تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾(الأعراف:١٤٦) وقال ﷻ ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾(غافر:٣٥) وقال تعالى ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾(النحل:٢٣) وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(غافر:٦٠) وقال رسول الله ﷺ {لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان}. وقال ﷺ {بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأعلى بئس العبدعبد تجبر واختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد عبد غفل وسهى ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وبغى ونسى المبتدأ والمنتهى} وقال ﷺ {إن في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم} وقال ﷺ {اللهم إني أعوذ بك من نفحة الكبرياء} وقال {من فارق روحه جسده وهو برئ من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلو} . ويروي أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأي المهلب بن أبي صفرة وهو يتبختر في جبة خز، فقال: يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله، فقال له المهلب: أما تعرفني؟ قال: بل أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة، فمضى المهلب وترك مشيته وأنشدوا في المعنى:

عجبت من معجب بصورته ... وكان بالأمس نطفة مذرة

وفي غد بعد حسن هيئته ... يصير في القبر جيفة قذرة

وهو على تيهه ونخوته ... ما بين ثوبيه يحمل العذرة

قال الغزالي في كتابه مكاشفة القلوب إلى حضرة علام الغيوب وقال الأحنف بن قيس عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر وقد وصف بعض الشعراء الإنسان فقال:

يا مظهر الكبر إعجابا بصورته ... أنظر خلاك فإن النتن تثريب

لو فكر الناس فيما في بطونهم ... ما استشعر الكبر شبا ولا شيب

هـل في ابـن آدم مـثل الـرأس مكرمة وهـو بخمـس مـن الأقـذار مضـروب
أنـف يسـيل وأذن ريحهـا سـهك والعـين مرمصـة والـثغر ملعـوب
يـا ابـن الـتراب ومأكول التراب غدا اقصـر فـإنك مـأكول ومشـروب اهـ

وتَغَشَّيْتَ بِالنُّورِ والضِّياء

أي تجللت وترفعت بحجاب النور وضيائه شبه اختفاء كنه ذاته تعالى بالتغشي واستعير فعل التغشي لفعل الاختفاء على طريق الاستعارة التبعية، فالمعنى اختفى كنه ذاتك الحجب النورانية لأن تلك الحجب غير متناهية لا يمكن قطعها فيكون الكنه ممتنع الحصول محال الظفر؛ وإنما كانت الحجب غير متناهية لأن تعينات وجوده تعالى الكامنة في جميع مراتب الظهور الالَهية والكامنة والكلية الجزئية غير متناهية وكل تعين منها حجاب بين كنه الذات، قالَه الشناوي اهـ.

وتَجَلَّلْتَ بِالمَهَابَةِ وَالبَهاء

قولَه تجللت أي تعظمت وجلا الله عظمته والمهابة مصدر هابه قال ابن فارس الَهيبة الاجلال قالَه في المصباح والبهاء العظمة والكبرياء.

لكَ المَنُّ القَدِيمُ

يعني لك المن القديم على جميع المخلوقات ليس مختصا بالحال بل من حين وهبتهم الوجود إلى هذا الإيمان؛ بل وقبل الوجود، أما كون المن من حيث الوجود إلى هذا الإيمان فظاهر وأما كونه قبل الوجود فلأنه تعالى قدر في حق العبد ما قدر من المواهب والعطايا تقديرا أزليا وجعلَه قبل وجوده مستعدا لنعمة الوجود وما يتبعها من الفضائل السنية وهذا محض منة منه تعالى على العبد قبل وجوده.

والسُّلْطانُ الشَّامِخُ

يعنى أن الله تبارك وتعالى لَه الولاية التامة والمجد العالي وسلطانه وعظمته لا يتصف بها مخلوق.

فقل لملوك الأرض تجهد جهدها فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

والمُلْكُ البَاذِخُ

اعلم أن ملك الله تعالى لا يقدر أحد على وصفه فضلا أن يتصف به قال تعالى مالك يوم الدين يعنى أنه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء والمالك هو المتصرف بالأمر والنهي وقيل هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى اهـ قاله في الخازن .

فإن قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للأيام كلها قلت لأن ملك الأملاك يومئذ زائل فلا ملك ولا أمر يومئذ إى لله تعالى كما قال تعالى ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ (الفرقان:٢٦) وقال ﴿ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (غافر:١٦) اهـ . وقوله الباذخ بالذال المعجمة أي العالي المرتفع الذي لا يتناهى .

وَالجُودُ الوَاسِعُ

أي الكرم الذي وسع العباد وأمدهم بليل كل مطلوب ومراد فقوله الواسع نعت للجود وهو صفة لله تعالى وهو من أسماء الله الحسنى .

قال الشبراوي: معناه الواسع في علمه فلا يجهل والواسع في قدرته فلا يعجز والذي لا يعزب عنه أثر الخواطر في الضمائر أو الذي أفضاله شامل ونواله كامل والذي لا نهاية لبرهانه ولا غاية لسلطانه وحظ العبد منه سعة صدره وحلمه عند السؤال .

والقُدْرَةُ الكامِلَةُ

قدرة الله صفة أزلية يحصل بها التمكن من الفعل بلا واسطة ولا معالجة ولا تعارض من المقدور ولا تراخ ولا توقف على وفق الإرادة قال تعالى وما أمرنا إلا واحدة أي كلمة واحدة كلمح البصر في الإسراع فلهذا توصف قدرة الله بالكمال اهـ .

وَالحِكْمَةُ البَالِغَةُ

المراد بالحكمة الإصابة في القول والفعل وقوله البالغة أي التامة النافذة .

والعِزَّةُ الشَّامِلَةُ

أي الغلبة والقدرة وفيه إشارة إلى كمال القدرة وأنه القادر على جميع الحوادث ولهذا

وصفت بالشاملة أي التي عمت كل مخلوق وحادث .

فَلَكَ الحَمْدُ عَلى مَا جَعلْتَني مِنْ أُمَّةِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ وعلى آله

إنما حمد الله تعالى على هذه النعمة العظيمة وهي كونه من هذه الأمة الشريفة لأن أمة نبينا محمد ﷺ خير الأمم كلها كما قال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس ﴾(آل عمران: ١١٠) وعن فهر بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ {يقول في قوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس ﴾ قال أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى} أخرجه الترمذي وقال حديث حسن، وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى} وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال {إن الله لا يجمع أمتى ـ أو قال أمة محمد ﷺ ـ على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ في النار} أخرجه الترمذي .

وأخرج أبو داود عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ {إن أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل} وأخرج الترمذي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال {مثل أمتي كمثل المطر لا يدري آخره خيره أم أوله} وأخرج أيضا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال {أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم} وأخرج أيضا عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ {باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع المجد ثلاثة ثم إنهم يتضاغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول ـ زاد غيره في الحديث وهم شركاء الناس في سائر الأبواب} وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ {من أمتي من يشفع في الفئاد من الناس ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد} .

وأخرج البخاري عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ {ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا وسبعمائة ألف سماطين متماسكين أخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر} وأخرج الترمذي عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول {وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بلا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي} وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال {إن الجنة حرمت على الأنبياء حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي} .

قال الشناوي ينبغي للطالب أن يدعو عند هذا القول هكذا: إلَهي بحرمة النبي ﷺ ثبتني على ما جعلتني من أمة سيدنا محمد ﷺ اهـ .

وَهُوَ أَفْضَلُ بَنِي آدَمَ ﷺ

يعني أن نبينا ومولانا رسول الله ﷺ أفضل من جميع المخلوقات على الإطلاق فهو أفضل من الأنبياء والملائكة على التحقيق خلافا للزمخشري في كشافه .

نبينا أفضل بالاطباق	من كل مخلوق على الاطلاق
وانعقد الإجماع أن المصطفى	أفضل خلق الله والخلف انتفى
وما انتحى الكشاف في التكوير	خلاف إجماع ذوي التنوير
فاق الأنام خلقا وخلقا	وهو كما قد قيل فيه حقا
محمد بشر لا كالبشر	بل هو كالياقوت بين الحجر

قال الشعراني في طبقاته الكبرى نقلا عن أبي المواهب الشاذلي ﷺ أنه كان يقول: قلت في مجلس، محمد بشر الخ البيت فرأيت النبي ﷺ فقال لي (قد غفر الله لك ولكل من قالَها معك) وكان ﷺ لم يزل يقولها في كل مجلس إلى أن مات اهـ منها .

الَّذِينَ كَرَّمْتَهُمْ وَحَمَلْتَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْتَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْتَهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ تَفْضِيلاً

يعني أن الله تبارك وتعالى أكرم بني آدم على غيرهم من المخلوقات، قال ابن عباس: هو أنهم يأكلون بالأيدي وغير الآدمي يأكل بفيه من الأرض وبالعقل وبالنطق والتمييز والحفظ والفهم واعتدال القامة وامتدادها وحسن الصورة وتسليطهم على جميع ما في الأرض وتسخيره لَهم وتدبير أمر المعاش والمعاد وان منهم خير أمة أخرجت للناس، قوله: وحملتهم في الرأي على الإبل والخيل والدواب والحمير، وقوله: والبحر أي وحملتهم في البحر على السفن ورزقتهم من الطيبات يعني لذيذ المطاعم والمشارب، وقيل: إن جميع الأغذية إما نباتية وإما حيوانية ولا يتغذى الإنسان إلا بأطيب القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا لغير الإنسان، وقوله: وفضلتهم يعني في أنفسهم بإحسان الشكل وفي صفاتهم بالعلم

المنتج لسعادة الدارين وأكد الفعل بالمصدر وهو تفضيلا إشارة إلى استغراقهم في الفضيلة،

قال البيضاوي والمستثنى جنس الملائكة أو الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض أفراده والمسألة موضع نظر اهـ . وقد أطالوا البحث فيه أهل التفاسير ولا قدرة لنا على الخوض في ذلك والله الفتاح العليم .

وَخَلَقْتَنِي سَمِيعاً بَصِيراً

هذا أيضا من النعم التي يجب الحمد عليها وهو نعمة السمع والبصر فيجب على كل مؤمن شكرهما فشكر العينين أن يستر كل عيب يراه ويغضهما عن كل قبيح وشكر نعمة الأذنين أن لا يسمع حراما وأن يستر كل عيب يسمعه من غيبة ونميمة وغير ذلك قال ﷺ {مستمع الغيبة أحد المغتابين} فالمستمع شريك القائل كما قيل:

فسامع الذم شريك لَه ومطعم الأكل كالآكل

وقيل:

وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند سماع القبيح شريك لقائلَه فانتبه

ومن كلام العلماء في غض البصر من أرسل طرفه . اقتض حتفه . العين سبب الحين . وقال سيدنا عيسى عليه السلام (إياكم والنظرة .فإنها تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها فتنة ❊ رب فتنة ❊ رب حرب أثارتها لفظة . ورب صبابة غرستها لحظة) . وقالوا نحت الجبال بالأظافر أيسر من إزالة الَهوى إذا تمكن من كثرت لحظاته دامت حسراته والعين سهم إبليس القديم الذي إذا ضرب به لم يخط فمن أراد صون قلبه عن الخواطر الردية لم ينظر إلى المستحسنات لأن النظر إليها يوجب تفرقة القلب فتقسم بحسبها وتكثر أشغالَه وقد قال سيدنا على رضي الله عنه (من لم يملك بصره فليس لقلبه عنده قيمة) وأنشدوا:

وإنك إن أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كلَه أنت قادر عليك ولا عن بعضه أنت صابر

ومما ينسب للإمام الشافعي رضي الله عنه:

تمتعتما يا ناظري بنظرة ... وأوردتما قلبي أمر الموارد
أعيني كفا فؤادي فانه ... من البغي سعى اثنين في قتل واحد

قال بعض الصالحين: عاهدت الله تعالى أن لا أنظر إلى حسان الوجوه فبينما أنا أطوف حول البيت فإذا بإمرأة حسناء فتأملتها وعجبت من حسنها وجمالها فإذا بسهم وقع من الهواء فأصاب عيني فإذا على السهم مكتوب نظرت بعين العبرة فرميناك بسهم الأدب ولو نظرت بعين الشهوة لرميناك بسهم القطيعة اهـ . قاله جسوس في شرح تصوف المرشد .

صَحِيحاً سَوِيّاً سَالِماً مُعَافاً

هذا أيضا من النعم العظيمة يجب عليها الشكر وهي صحة البدن واستواؤه وسلامته وعافيته قال ﷺ {إذا سألتم الله فاسألوه العافية} والمراد بالاستواء اعتدال الأعضاء في أحسن صورة .

وَلَمْ تَشْغَلْنِي بِنُقْصَانٍ فِي بَدَنِي عَنْ طَاعَتِكَ

يعني أنه يجب على الذاكر أن يتفطن في حال ذكره لهذه النعمة وهي أن الله تعالى لم يشغله عن طاعته بنقصان في بدنه أو دينه، قال ابن عطاء الله في حكمه: متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك، وفي هذا المعنى قيل:

لو لم ترد نيل ما أرجوه من طلب ... من فيض جودك ما ألهمتني الطلبا

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال {من أذن له في الدعاء منكم فتحت له أبواب الرحمة وما يسأل الله شيئا قط أحب إليه من أن يسأل العفو والعافية في الدنيا والآخرة} . وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال {من أعطى الدعاء لم يحرم الإجابة} . قال الشيخ أبو الخفاف ﷺ: وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته ولولا ذلك ما فتح له باب الدعاء اهـ . ذكره ابن عباد رحمه الله تعالى .

وَلا بِآفَةٍ فِي جَوَارِحِي

الآفة عرض يفسد ما يصيبه وهي العاهة قال في المصباح فإذا أصيبت بها الجوارح تمنع صاحبها كمال الحركة ومن كل ما يريد فعله .

ولا عَاهَةٍ في نَفْسي ولا في عَقْلي

العاهة هى الآفة فإذا أصابت النفس منعتها مما تريد أو العقل أبطلت تدبيره .

ولاَ تَمْنَعْني كرامَتَكَ إيَّايَ

يعني أنك أكرمتني إكراما لا أستحقه بل وهبته لي تفضلا وامتنانا منك على فقولَه تمنعني بفتح التاء والنون الأولى مضارع منع من باب قطع والنون للوقاية وفيه ضمير مستتر هو الفاعل وكرامتك مفعول به.

وَحُسْن صَنيعِكَ عِنْدِي

الواو حرف عطف وحسن معطوف على كرامتك وهو مضاف وصنيعك مضاف إليه والمعنى أنك لم تمنعني أيضا حسن صنيعك أي خيرك وإحسانك الذي هو كامن عندي .

وَفَضْلَ مَنائِحكَ لَدَيَّ

معطوف على أيضا والمنائح جمع منحة أي العطية الحسنة ولدي بمعنى عندي أي الكائنة عندي .

وَنَعْمائِكَ عَلَيَّ

معطوف على منائحك والنعماء بفتح النون وسكون العين جمع نعمة بكسر النون وقولَه على جر ومجرور متعلق بمحذوف أي الكائنة المستقرة الثابتة على.

أَنْتَ الَّذِي أَوْسَعْتَ عَلَيَّ في الدُّنْيَا رِزْقاً

ضمير أنت يعود على الله تبارك وتعالى وقولَه أوسعت أي بسطت على في الدنيا الرزق وكثرته، واعلم: أن رزق الأشباح هو القوت ورزق الأرواح هو الذكر وتلاوة القرآن والصلاة على سيد ولد عدنان ﷺ وعلى آلَه في كل وقت وزمان .

وَفَضَّلْتَني على كَثيرٍ مِنْ أهْلَها تَفْضِيلاً

يعني أنك فضلتني على كثير من خلقك من أهل الدنيا بأمور عديدة وخصال جميلة تفضلا منك وامتنانا وكرما وجودا وإحسانا فمن الأمور التي فضلَه الله بها قولَه .

فَجَعَلْتَ لي سَمْعاً يَسْمَعُ آياتِكَ

من أعظم النعم على الإنسان نعمة السمع وصرفه لاستماع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فيه ثواب جزيل قال ﷺ {القارئ والمستمع شريكان في الأجر} . وأخرج الديلمي عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ {ألا من اشتاق إلى الله فليسمع كلام الله مثل القرآن كمثل جراب مسك أي وقت فتحته فاح ريحه} . وأخرج أبو الشيخ الديلمي عن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {والذي نفسي بيده لسماع آية من كتاب الله أعظم أجرا من صبرة ذهبا يتصدق بها ولقراءة آية من كتاب الله أفضل من كل شئ دون العرش} . وفي رواية عن أبي هريرة {من تلا آية من كتاب الله كانت لَه نورا يوم القيامة ومن استمع لآية من كتاب الله كتبت لَه حسنة مضاعفة} كذا في الاكمال اهـ قالَه العلامة النازلي في خزينة الأسرار الكبرى .

وَعَقْلاً يَفْهَمُ إيمانَكَ

اعلم أن العقل يشترك بين معان مختلفة من جملتها معنيان أحدهما أنه يطلق ويراد به العلم بالحقائق فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محلَه القلب وهذا هو المشهور وإليه أشار ابن زكريا التلمساني في محصل المقاصد بقولَه :

محلَه القلب على المشهور ... الوحي وهو مذهب الجمهور
وفي الدماغ قال جل الحكماء ... بقولَهم قد قال بعض العلماء
دليلَه الذي أتى في الأعراف ... وسورة الحج معا وفي قاف

فقولَه يفهم إيمانك لا يفهم الإيمان إلا بالعقل قال تعالى لَهم قلوب لا يفقهون بها وهذا هو الذي مدحه الناس كثيرا فما قيل في مدحه :

ما وهب الله لامرئ هبة ... أفضل من عقلَه ومن أدبه
هما حياة الفتى فإن فقدا ... ففقده للحياة أليق به

وقال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ (أصل الرجل عقلَه وحسبه دينه ومروءته خلقه) وقال الحسن البصري: ما استودع الله أحدا عقلا إلا استنقذه به يوما ما، وقال بعض الحكماء: العقل أفضل مرجو والجهل أنكى عدو، وقال بعض الأدباء: صديق كل امرئ عقلَه وعدوه جهلَه، وقال بعض البلغاء: خير المواهب والعقل وشر المصائب الجهل، وقال بعض الشعراء وهو ابن حسان:

يزين الفتى في الناس صحة عقلَه ... وإن كان محظورا عليد مكاسبه
يشين الفتى في الناس قلة عقلَه ... وإن كرمت أعراقه ومناسبه
يعيش الفتى بالعقل في الناس إنه ... على العقل يجري علمه وتجاربه
وأفضل قسم الله للمرء عقلَه ... فليس من الأشياء شئ يقاربه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقلَه ... فقد كملت أخلاقه ومآربه

ويرحم الله الإمام صالح بن عبد القدوس حيث يقول:

إذا تم عقل المرء تمت أموره ... وتمت أمانيه وتم بناؤه

وروى عنه ﷺ أنه قال {الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لأهل العقل وواحدة لسائر الناس}. وروى البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال {لكل شئ وثيقة ومحجة واضحة وأوثق الناس مطية وأحسنهم دلالة ومعرفة بالحجة الواضحة وأفضلَهم عقلا}. وقال {بزر جمهر الإنسان صورة فيها عقل فإن أخطأه العقل ولزمته الصورة فليس بإنسان} قال المتنبي:

لولا العقول لكان أدني صيغم ... أدني إلى شرف من الإنسان

وقالت عائشة ﵂ أفلح من جعل الله لَه عقلا وقال الأصمعي لو صور العقل لأضاء معه الليل ولو صور الجهل لأظلم معه النهار وقال رسول الله ﷺ {لكل داء دواء ودواء القلب العقل ولكل حرث بذر وبذر الآخرة العقل ولكل شئ فسطاط وفسطاط الأبرار العقل} . ويقال العقل دبر رشيد وظهير سعيد من أطاعه نجاه ومن عصاه أرداه وقال بعضهم يصف العقل:

لله در العقل من رائد ... وصاحب في العسر واليسر
وحاكم يقضي على غائب ... قضية الشاهد للأمر

وإن شاء في بعض أحوالـه أن يفصل الخير من الشر
فذو قوي قد خصه ربه بخالص التقديس والطهر

آخر :

العقل حلة فخر من تسربلها كانت لـه نسبا تغني عن النسب
والعقل أفضل ما الناس كلهم بالعقل ينجو الفتى من حومة الطلب

أخر :

بعد رفيع القوم من كان عاقلا وإن لم يكن في قومه بحسيب
وإن حل أرضا عاش فيها بعقلـه وما عاقل في بلده بغريب

وقال طاوس: ما قلادة نظمت من در ياقوت بأزين لصاحبها من العقل ولو ناصح المرء عقلـه لأراه ما يزينه مما يشينه فالمغبون من أخطأ حظه من العقل إلى غير ذلك مما مدح به العقل وفيما ذكر كفاية والثاني أنه قد يطلق ويراد به تلك اللطيفة الربانية .

وَبَصَراً يَرَىٰ قُدْرَتَكَ

أي أثر قدرتك يعني أن الذاكر حمد الله تعالى على هذه النعمة العظيمة وهي نعمة البصر ويجب على المؤمن أن لا يصرفه إلا فيما أباح الله له النظر فيه وأن ينظر قدرة الله تعالى ويعتبر بذلك قال تعالى ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾(النور: ٣٠) .

وَفُؤَاداً يَعْرِفُ عَظَمَتَكَ وَقَلْباً يَعْتَقِدُ تَوْحِيدَكَ

اعلم أن القلب والفؤاد لفظان مترادفان يطلقان على معنيين على اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وهو حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب المطالب المعاتب واعلم أنه يجب على العبد المؤمن الصادق أن لا يصرف هذه الجارحة إلا فيما أحل بأن لا يعقد في قلبه حقدا على مؤمن ولا حسدا ولا عداوة ولا خديعة ولا مكرا وأن يعتبر في آيات الله ويتفكر فيها قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(آل عمران: ١٩٠) قال ﷺ {ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها} وعن

النبي ﷺ {بينما رجل مستلق على فراشه فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللّهم اغفر لي فنظر الله إليه فغفر لَه} وقال ﷺ {لا عبادة كالتفكر} .

فَإِنِّي لِفَضْلِكَ عَلَيَّ شَاهِدٌ حَامِدٌ شَاكِرٌ

إن حرف تأكيد ونصب والياء هو اسما ، وقولَه شاهد وحامد وشاكر خبرها ولفضلك يتعلق به وعلى يتعلق بفضلك ، والمعنى : إني شاهد لفضلك على وحامد وشاكر على ما أسديت إلى من مواهب مننك وجميل إحسانك وكرمك .

وَلَكَ نَفْسِي شَاكِرَةٌ وبِحَقِّكَ عَلَيَّ شَاهِدَةٌ

اعلم أن النفس مشترك بين معان مختلفة من جملتها معنيان أحدهما : الأصل الجامع للصفات المذمومة وهي المشار إليها بقولَه ﷺ {أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك} والمعنى الثاني : هو تلك اللطيفة الربانية والمراد بها هنا تلك اللطيفة الروحانية إذ هو العارف والفاهم والمعتقد والشاكر قالَه الشناوي .

قال في الحكم العطائية أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك عنها ، قال شارحه ابن عبادة ﷺ : فإذا لا شئ أوجب على العبد من المعرفة بنفسه ويلزم من ذلك عدم الرضى عنها وبقدر تحقق العبد في معرفة نفسه يصلح لَه حالَه ويعلو مقامه .

قال أبو حفص ﷺ من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أيامه كان مغرورا ومن نظر إليها باستحسان شئ منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه والكريم ابن الكريم بن الكريم يقول {وما أبرئ نفسي} وقال أيضا أبو حفص منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي أن الله ينظر إلى نظر السخط وأعمالي تدل على ذلك .

وقال الجنيد ﷺ لا تسكن إلى نفسك وإن دامت طاعتها لك في طاعة ربك . وقال أبو سليمان الداراني ﷺ : رضيت عن نفسي طرفة عين اهـ . باختصار ويرحم الله الشاعر :

لم أرض عن نفسي مخافة سخطها ورضى الفتى عن نفسه إغضابها

ولو أنني عنها رضيت لقصرت عما تزيد بمثله آدابها

وتبينـــت آثـــار ذاك فأكـــثرت عذلـي علـيه فطـال مـنه عـتابها

فقولـه: وبحقك عـلى شاهدة يعني أن نفسـي شـاهدة بـأن لك على حقوقا كبيرة لا يؤديها إلا الشكر .

وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حَيٌّ قَبْلَ كُلِّ حَيٍّ

أشـار بهـذا إلى صـفة مـن صفات الله تعالى وهي القدم وهو من صفات التنزيه، قال في شـرح الصـغرى: الأصـح أن القدم صفة سلبية أي ليست بمعنى موجود في نفسها كالعلم مثلا وإنمـا هـي عـبارة عـن سلب العدم السابق على الوجود، وإن شئت قلت: هو عبارة عن عدم الأولـية للوجـود، وإن شـئت قلـت: هـو عبارة عن افتتاح الوجود، والعبارات الثلاث بمعنى واحـد اهــ . والقـدم بهـذا المعنى واجب لذاته العلية ولصفاته الجلية السنية فهو تعالى حي بحياة قديمة عالم بعلم قديم ... الخ، الصفات كلها قديمة اهـ . قاله جسوس .

وَحَيٌّ بَعْدَ كُلِّ حَيٍّ

أشـار بهـذا إلى صـفة الله تعـالى بالبقاء والحق أيضا أنه صفة سلبية فتكون عبارة عن سلب العـدم اللاحـق للوجود؛ أو هو عدم الأخرية للوجود؛ أو هو عدم انتهاء الوجود، العبارات الثلاث بمعـنى واحـد أيضـا، والـبقاء بهـذا المعـنى واجب لذاته العلية ولصفاته الجليلة السنية . قال ابن زكـري: فهـو الـباقي ذاتـا وصـفات؛ فذاته بعد الذوات وعلمه بعد العلوم الخ الصفات كلها باقية أيضـا اهــ . ومـن أسمائه تعالى الأول والآخر فقيل: الأول الذي لا ابتداء له والآخر الذي لا انتهاء له، فهما من صفات السلوب وقيل من صفات الأفعال انظر شروح أسماء الله الحسنى.

وَحَيٌّ بَعْدَ كُلِّ مَيِّتٍ

أشـار بهـذا إلى أن حـياته تعـالى باقـية بخـلاف حياة الخلائق فإنها تفنى ولا يبقى إلا الواحـد القهـار، وأمـا المسـتثنيات الثمانـية فـبقاؤها جائـز لا واجب بدليل حدوثها وهي باقية بإمداده لو انقطع إمداده عنها لاضمحلت اهـ . قاله سيدي الطالب بن الحاج بحاشية المرشد .

وَحيٌ لَمْ تَرِثِ الحَيَاةَ مِنْ حَيِّ

أشار بهذا إلى أن حياة الله تعالى ليست مسبوقة بعدم بل لا أولية لَها، وحياته تعالى صفة قائمة بذاته تعالى فهو معنى وجودي غير البقاء لأن البقاء سلب وتنزيه وغير الوجود لأن الوجود نفسي ولا يلزم منه الحياة، وحياته تعالى قديمة باقية واجبة عقلا ونقلا .

قال الجنيد: الحي على الحقيقة من به حياة كل حي ومقتضى العلم بأن الحياة الباقية لَه لا لغيره أن تنحصر الوجهة فيه وأن يكون التوكل عليه، ولذا قال تعالى ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾(الفرقان:٥٨) إشارة إلى أن غيره لابد أن يموت فلا معنى للتوكل عليه، وكتب رجل إلى آخر: أن صديقي فلانا قد مات فمن كثرة ما بكيت عليه ذهب بصري، فكتب إليه، يا من هو حي لا يموت ارحم عبدا قد دنا أجلَه، يا من هو عزيز لا يذل ارحم عزيزا قد دنا ذلَه، الذنب لك حين احببت الحي الذي يموت هلا أحببت الحي الذي لا يموت حتى لا تحتاج إلى البكاء عليه، وفي مثلَه قيل:

ألم تر أن الدهر تهدم ما بني	ويسلب ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سره أن لا يرى ما يسوؤه	فلا يتخذ شيئا يخاف لَه فقدا

ولما قتل بزر جمهر وجد في جيب قميصه ورقة فيها مكتوب: إذا لم يكن جد ففيم الكد؟ وإذا لم يكن للأمر دوام ففيم السرور؟ وإذا لم يرد الله دوام ملك ففيم الحيلة؟ وقال ابن الرومي:

رأيت حياة المرء رهنا بموته	وصحته رهنا كذلك بالسقم
ومن كان في عيش يراعي زوالَه	فذلك في بؤس وإن كان في نعم

وَلمْ تَقْطَعْ خَيْرَكَ عَني في كلِّ وَقْتٍ

يعني أنك يا رب تسدي إلى من خيراتك في جميع الأوقات نعما كثيرة ومنحا جليلة بالفضل منك والإحسان لا باستحقاق لَها وأنا مع ذلك مصر على العصيان فقابلني بفضلك بالمغفرة والغفران فإنك الحليم الرءوف والمنان .

وَلَمْ تَقْطَعْ رَجائِي

يعني أن علمك بحلمك وجودك وكرمك لم يؤيسني من رجائك، والرجاء هو الطمع فيما عند الله بشرط العمل في سبب الوصول إليه، ولذا قال في الحكم: الرجاء ما قارنه عمل وإلا فأمنية، ويجب على المؤمن أن يكون في حالة الصحة بين الرجاء والخوف كالطائر بين جناحين بل يغلب الخوف إلا في حالة المرض فيغلب الرجاء لحديث مسلم {لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله} ولقول القائل:

يا من دنا الموت منه	بالله ظنك حسن
إن كنت عبدا مسيئا	فربك الله محسن

وبسبب حسن الظن بالله حصلت المغفرة لكثير من الناس كانوا مكبين على المعاصي والشهوات، كما حكى عن أبي النواس الحكم بن هاني حين مات وجد تحت وسادته بخطه:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة	فلقد علمت بأن عفوك أعظم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا	فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
إن كان لا يرجوك إلا محسن	فمن الذي يرجو المسئ المجرم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا	وجميل ظني ثم إني مسلم

قال الطيبي: فرئي في المنام فأخبر أن الله غفر له بهذه الأبيات :

وَلَمْ تُنْزِلْ بي عُقُوباتِ النِّقَمِ

أي لم تحل بي شدائد النقم وعقوبات المحن، فقوله تنزل بضم التاء مضارع أنزل أي حل والنقم بكسر النون وفتح القاف جمع نقمة، يقال: نقم من باب ضرب انقم عليه إذا عبته وكرهته أشد الكراهة لسوء فعله فإنه في المصباح .

وَلَمْ تُغَيِّرْ عَلَيَّ وثائِقَ النِّعَمِ

أي وبفضلك وكرمك وجودك وإحسانك لم تغير على النعم الوثيقة، فقوله ولم تغير بضم التاء وفتح الغين المعجمة وكسر الياء مضارع غيرت الشئ تغيرا أزلته عما كان عليه،

والوثائق جمع وثيقة، يقال: وثق الشئ بالضم وثاقه قوي وثبت فهو وثيق ثابت محكم، والنعم بكسر النون وفتح العين جمع نعمة الله علينا لا تعد ولا تحصى .

وَلمْ تَمنَعْ عَنّي دَقائِقَ العِصَمِ

أي وعرفتني الأمور الخفية على جل الناس المختلف في حرمتها، فقوله: تمنع بفتح التاء والنون مضارع منع من باب قطع ودقائق جمع دقيقة، يقال: دق الأمر إذا غمض وخفى معناه فلا يكاد يفهمه إلا الأذكياء والمراد به هنا العصمة من المحرمات التي اختلف في حرمتها فإن تلك العصمة دقيقة على الذهن بسبب الاختلاف بحيث لا يعلم وجوب تلك العصمة على الناس إلا بعد التأمل كما لا يخفى، ويحتمل أن يكون المراد هنا العصم الخفيات من البليات الخفيات بحيث لا يعلم تلك البليات ولا العصم منها اهـ . قاله الشناوي .

فلَوْ لمْ أذكرْ مِنْ إحْسَانِكَ وإنْعامِكَ علَيَّ إلاّ عفوكَ عنيَّ والتَّوفيقَ لي

يعني أنك أنعمت على يا رب بنعم عديدة ومنحتني خصالا جليلة ولو لم أذكر من إحسانك وإنعامك على إلا عفوك عني أي زوال إسقامي ومحو ذنوبي في الآخرة وتوفيقي لدعائك واعلم أن التوفيق الدعاء نعمة عظيمة فقد روى عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {إذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا وسحه عليه سحا فإذا دعا قالت الملائكة صوت معروف وقال جبريل يا رب عبدك فلان اقض حاجته فيقول الله تعالى دعوا عبدي فإني أحب أن أسمع صوته فإذا قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك لا تدعوني بشئ إلا أستجيب لك ولا تسألني شيئا إلا أعطيتك إما أن أعجل لك ما سألت وإما أن أدخر لك عندي أفضل منه وإما أن أدفع عنك من البلاء ما هو أعظم من ذلك} اهـ . ذكره ابن عباد في شرح الحكم .

والاستِجابَةَ لِدُعائِي حِينَ رَفَعْتُ صَوْتِي بِدُعائِكَ

يعني أن الله تبارك وتعالى وعد من دعاه بالإجابة في قوله تعالى ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(البقرة:١٨٦) وقوله تعالى ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾(النمل:٦٢) وقوله تعالى ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(غافر:٦٠) ﴿ إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾(الرعد:٣١) واعلم أن التضرع إلى الله تعالى يفرج الكربات وتنجلي عن الداعي الهموم والآفات وتسرع إليه الأوطار والحاجات وينال من الله أرفع الحالات ومما جرب للتضرع إلى الله تعالى والالتجاء إليه وهو

سريع الإجابة قريب الإصابة قول الإمام أبي محمد سيدي عبد الرحمن السهيلي ﷺ:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع

يا من يرجى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن رزقه في قول كن ... أمنن فإن الخير عندك أجمع

ما لي سوى فقري إليك وسيلة ... بالافتقار إليك فقري أدفع

ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ... ولئن رددت فأي باب أقرع

ومن الذي أدعو واهتف باسمه ... وإن كان فضلك عن فقيرك يمنع

حاشا لجودك أن تقنط عاصيا ... الفضل أجزل والمواهب أوسع

ثم الصلاة على النبي وآله ... خير الورى ومن به يتشفع

وَتحْمِيدِكَ وَتَوحِيدِكَ

يعني أن رفع صوتي بتحميدك والثناء عليك وتوحيدك المقر بربوبيتك من أعظم النعم على والإحسان منك إلى فاتمم ذلك على تفضيلا منك .

وَتمْجِيدِكَ وَتهْلِيلِكَ

يعني أن بتحميدك أي الثناء عليك وتهليلك أي قولي لك خالصا لا إلّه إلا الله محمد رسول الله هما من أعظم نعمتك التي وهبتني ومن أجل مننك التي منحتني فجد على بذلك عند ختم الأعمال وأجرهما على لساني عند السؤال فإنك المتفضل المتعال .

فائدة: ورد في فضل لا إلّه إلا الله أحاديث كثيرة وأطبق العلماء على فضلها على جميع الأذكار فاعتنوا بذكرها آناء الليل وأطراف النهار، ومن آثر عليها الاستغفار، فهو مغرور أعظم اغترار راض عن نفسه، وأمن من مكر ربه، يقول برأيه الفاسد، ولآيات الله يحرف ويعاند، فيقول بزعمه الكاسد، واعتقاده الذي هو للأحاديث النبوية جاحد، أن الهيللة قاصرة على صاحبها والاستغفار عام لقائله وغيره واستدل على سعيه بآيات لا شاهد له فيهن فتدبر هذه الأحاديث المصرحة بالتعميم في فضل ذكر هذه الكلمة الشريفة قال ﷺ {إذا قال العبد لا إلّه إلا الله يقول الله تعالى يا اسرافيل أخر النفخة أربعين سنة إكراما

لقائلها} فأنت ترى أن الله يؤخر النفخة المستوجبة لتعجيل العذاب على الكافر والمنافق والعاصي ببركة هذه الكلمة المشرفة .

وفي الحديث القدسي (لولا من يقول لا إله إلا الله لسلطت جهنم على أهل الدنيا) وقال ﷺ {يا أبا هريرة كل حسنة تعملها يوم القيامة إلا شهادة لا إله إلا الله توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كانت لا إله إلا الله أرجح من ذلك} وقال ﷺ {لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبي وشرد عن الله شرود البعير عن أهله قيل: يا رسول الله ومن يأبي؟ قال: من لم يقل لا إله إلا الله فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد وهي كلمة الإخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهى العروة الوثقى وهي ثمن الجنة} قال تعالى ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾(الرحمن:٦٠) الإحسان في الدنيا قول لا إله إلا الله وفي الآخرة الجنة لمن قالها، وقال تعالى ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾(يونس:٢٦) الإحسان قول لا إله إلا الله، والحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم .

وأوحى الله إلى سيدنا موسى عليه السلام في التوراة لولا من يقول لا إله إلا الله لسلطت جهنم على أهل الدنيا، وقال ﷺ {من قال لا إله إلا الله ثلاث مرات في كل يومه كانت له كفارة لكل ذنب أصابه في ذلك اليوم} إلى غير ذلك من الأحاديث المصرحة بفضل هذه الكلمة المشرفة .

وقال النازلي في رسالته البدور المسفرة عن وجوه الأحاديث الواردة في اتساع المغفرة: أخرج عبد الحميد عن عمر بن الخطاب أنه قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله في الآخرة بمنزلة الماء في الدنيا لا يحيي كل شئ في الدنيا إلا بالماء قال تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حي فقوله لا إله إلا الله محمد رسول الله بمنزلة الماء في الدنيا فمن لم يكن معه لا إله إلا الله فهو ميت ومن كانت معه فهو حي وما أنعم الله على العبد نعمة أفضل من لا إله إلا الله ولا قول أفضل من القرآن العظيم ولا كلمة أشرف من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله اهـ .

وَتَكْبِيرَكَ وَتَعْظِيمَكَ

هذا أيضا من أعظم الأمور التي وهبها الله لمن أحبه من خلقه فأطلق لسانه بالتكبير والتعظيم فاستوجب بذلك الثواب الجسيم والفضل العميم من الله الجواد الكريم .

وَإلاَّ في تَقْدِيرِكَ خَلْقِي حِينَ صَوَّرْتني فأحْسنْتَ صُورَتي

أي وإلا ففضلك على في تقديرك خلقي على أحسن مثال وأقوم استواء واعتدال على تقدير المستثنى المنصوب الكائن بغير لفظ ليناسب لما عطف عليه أعني قوله إلا عفوك عني وقوله حين صورتني مفعول فيه المستثنى المقدر منصوب بتقدير في بدل من قوله في تقديرك والمبدل منه في حكم العدم لأن المقصود بالنسبة هو البدل دون المبدل منه فكأنه قيل وإلا فضلك على حين صورتني في الرحم وقس على هذا قوله وإلا في قسمة الأرزاق حين قدرتها لي فإن ما ذكرناه من تقدير المستثني وبداية الظروف جار هنا فتأمل قاله الشناوي .

وَإلاَّ في قِسْمَةِ الأرْزاقِ حِينَ قَدَّرتهاَ لِي

أي فلو لم أذكر من إحسانك وإنعامك على إلا عفوك وتوفيقك واستجابة دعائك وتقديرك خلقي وقسمة الأرزاق لكان ذلك كافيا في حقي ولا أقدر على شكره والحمد عليه لأن هذه نعم عظيمة وخصال جليلة وهذا يشير إلى قوله ﷺ {فرغ ربك من أربع خلق وخلق ورزق وأجل} ثم اعلم أنه يجب على المؤمن الصادق أن يرضى بما قدر الله له من الأرزق ويقنع بقسمة الملك الخلاق قال ﷺ {لا يبلغ المرء حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه} قال أبو الدرداء ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضى بالقدر وعن ابن مسعود من رضي بما نزل من السماء إلى الأرض دخل الجنة وعنه ﷺ أنه قال لابن مسعود {لا تكثر همك ما قدر يكن وما ترزق يأتيك} .

حكى عن ثعلب قال: دخلت على عبيد الله بن سليمان بن وهب وعليه خلع الرضى بعد النكبة فلما مثلت بين يديه قال لي يا أبا العباس اسمع ما اقول :

نوائب الدهر أدبتني	وإنما يوعظ الأديب
قد ذقت حلوا وذقت مرا	كذلك عيش الفتى ضروب
لم يمض بؤس ولا نعيم	إلا ولي فيهما نصيب
كذلك من صاحب الليالي	تغذوه من درها الخطوب

فقلت لمن هذه الأبيات؟ قال: لي ومنها أن يختبر أمور زمانه * وينتبه على صلاح شأنه، فلا يغتر برخاء ولا يطمع في استواء . ولا يؤمن أن تبقى الدنيا على حالة، وتخلوا من تقلب

واستحالة، فإن من عرف الدنيا وخبر أحوالها هان عليه بؤسها ونعيمها، وقال بعض الأدباء:

كم عالم يسكن بيتاً بالكرا ... وجاهل يملك دورا وقرى

لما قرأنا قوله سبحانه ... نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ زال المرا

اشار رحمه الله قوله تعالى ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ﴾(الزخرف:٣٢) الآية ومنه قول بعضهم:

كم عالم وعالم أعيب مذاهبه ... وجاهل جاهل تراه مرزوقا

هذا الذي ترك الأوهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقا

وقال سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام يا معشر الحواريين ارضوا بدنى الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وقد عقد هذا المعنى بعضهم فقال:

أرى رجالا بادنى الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما ... استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

لكانَ فِي ذَلِكَ مَا يَشْغَلُ فِكْرِي عَنْ جَهْدِي

أي فلو لم أذكر من نعمك إلا عفوك الخ ما ذكر من النعم العظيمة لكان فيما ذكر ما يشغل فكري يعني بالنظر والاعتبار والفكر بكسر الفاء تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، وقوله عن جهدي بفتح الجيم أي غاية طاقتي ونهاية مشقتي.

فَكَيْفَ إذَا فَكَّرتُ فِي النِّعَمِ الْعِظَامِ
التي أَتَقَلَّبُ فِيهَا وَلاَ أَبْلُغُ شُكْرَ شَيْءٍ مِنْهَا

يعني إذا كان يشغل فكري ما ذكر من النعم التي عرفتها وشعرت بها وأنا لا أقدر أن أؤدي شكرها فكيف إذا تفكرت في النعم العظيمة التي أتقلب فيها أثناء الليل وأطراف النهار وأعظمها نعمة الإيمان والإسلام والكون من أمة سيدنا محمد ﷺ ولهذا قال بعض العلماء: ينبغي لكل مؤمن أن يقول كل يوم ثلاث مرات: الحمد لله الذي أنعم علينا وهدانا للإيمان

والإسلام ولما ذكر هذه النعم الكثيرة وعدد بعضها شرع في الحمد عليها فقال :

فَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ مَا حَفِظَهُ عِلْمُكَ

أي أحمدك يا رب حمدا لا نهاية له ولا عدد يحصيه ولا حد يحيط به لأن علم الله تعالى لا تحيط به عبارة ولا تعتبر عنه إشارة قال تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾(البقرة:٢٥٥) وقال ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾(يوسف:٧٦)، ومنتهى العلم إلى الله العظيم .

وَجَرَى بِهِ قَلَمُكَ

يعني أنه حمد الله تعالى عدد ما جرى به قلم الله من أول الدنيا آخرها، فقوله وجرى بمعنى نفذ ومضى والضمير عائد إلى الموصول الذي هو ما والباء للمصاحبة، وقوله قلمك يعني بالكتابة فيما مضى في اللوح المحفوظ والفروع المنتسخة منه بعد ذلك إلى حين هذا الوقت وفيما يأتي في الفروع المنتسخة الآتية وأما اللوح المحفوظ فظاهر الأخبار أنه فرغ من كتابته قبل خلق السموات والأرض وقد كتب فيه مقادير كل شئ وما هو كائن إلى يوم القيامة وإنما المكتوب بعد ذلك الفروع المنتسخة منه كالفروع المنتسخة من الأصل وفيها يقع الإثبات والمخول على ما ذكر في الآية اهـ، قاله سيدي المهدي الفاسي في شرحه لدلائل الخيرات .

وَنَفَذَ بِهِ حُكْمُكَ فِي خَلْقِكَ

نفد بفتح الفاء وبالذال المعجمة بمعنى مضى وحكم الله هو قضاؤه في خلقه بما شاء كيف شاء وقد حمد الله تبارك وتعالى بعدد ما نفذ به حكم الله ولا حصر له ولا عد .

وَعَدَدَ مَا وَسِعَتْهُ رَحْمَتُكَ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ

اعلم أن رحمة الله تبارك وتعالى وسعت جميع الخلق إلا من خرج من الدنيا على غير الإيمان قال تعالى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾(الأعراف:١٥٦) وقال ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(الأعراف:٥٦) .

فائدة: ورد في فضل الرحمة للخلق أحاديث كثيرة أخرج الطبراني عن ابن جرير والحاكم عن ابن مسعودﷺ ان رسول الله ﷺ قال {ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء} وأخرج البيهقي في الشعب أن رسول الله ﷺ قال {ارحموا ترحموا واغفروا يغفر

لكم} وأخرج الحاكم وأبو داود والترمذي والإمام أحمد عن عبد الله ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال {الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء} وأخرج أبو يعلي والطبراني عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال {والذي نفسي بيده لا يضع لله الرحمة إلا على رحيم قلنا يا رسول الله كلنا رحيم؟ قال ليس الرحيم الذي يرحم نفسه وأهل خاصته ولكن الرحيم الذي يرحم المسلمين} وأخرج الإمام احمد وابن عدي في كامله عن أبي بكر الصديق ﷺ أن رسول الله ﷺ قال {ال الله ﷻ إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي} وروى الترمذي حديثا {من لم يرحم الناس لا يرحمه الله ومن لم يرحمه الله فهو شقي} وقد نظم بعض العلماء معنى هذا الحديث بقوله:

ارحم بنيَّ جميع الخلق كلهم وانظر إليهم بعين اللطف والشفقة
وقر كبيرهم وارحم صغيرهم وراع في كل خلق من خلقه

إلى غير ذلك مما ورد في رحمة الخلائق وفيما ذكر كفاية اهـ.

وَعَدَدَ مَا أَحَاطَتْ بِهِ قُدْرَتُكَ

يعني أنه حمدا لله تبارك وتعالى عدد ما أحاطت به قدرة الله تعالى ؛قال الشيخ الطيب في شرحه على المرشد: ثم نقول القدرة تعلق صلاحي قديم وهو عام لوجود ما وجد وقت حصوله وقبله وبعده بدلا ولعدمه كذلك لعدم ما لم يوجد ولوجوده أن وجد بمعنى أنه تعالى بالصفة التي يتأتى بها خلقه وإيجاده لألوف ألوف من أمثال هذا العالم وأعظم أو أعظم من الأعظم وزد ما شئت إلى غير نهاية وإن لم يقع شئ من ذلك لعدم تعلق المشيئة به وتتعلق تعلقا تنجيزيا يوجد ما وجد أو يوجد لا بعدمه ما دام موجودا بعدمه وقت عدمه لاحقا على الخلاف لا بوجود وبعدم ما لم يوجد على قول لا بوجوده: ثم قال: ولا تتعلق القدرة بالواجب والمستحيل لأنها لو تعلقت بوجود الواجب وعدم المستحيل لزم تحصيل الحاصل وإن تعلقت بعدم الواجب ووجود المستحيل لزم قلب حقيقتهما برجوعهما جائزان وقد فرضا واجبا ومستحيلا هذا خلف، انظر تمام كلامه عند قول المرشد وقدرة اهـ.

وَأَضْعَافَ مَا تَسْتَوْجِبُهُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ

يعني أنه حمد الله تبارك وتعالى بأضعاف مضاعفة مما يستوجبه أو يجب له على جميع

خلقه من الحمد والشكر وما من مخلوق إلا وعليه نعم عظيمة يجب عليها الحمد في كل لحظة .

اللّهمّ إني مُقِرٌّ بِنِعْمَتِكَ عليَّ

أي باللّه الذي لّه الأسماء الحسنى والصفات العلى إني مقر أي معترف بنعمتك على ولا أجل ولا أفضل ولا أحسن من نعمة الإيمان والإسلام، ومقر بكسر القاف اسم فاعل من أقر بمعنى اعترف.

فَتَمِّمْ إحْسَانَكَ إليَّ فيمَا بَقَى مِنْ عُمْرِي

يعني أنه طلب من الله أن يتمم إحسانه إليه في بقية عمره لأنه لا أهم للعاقل من طلب خاتمة الخير وقد أكثر الناس من طلبها وحولها يدندن الأولياء العارفون الكمل المخلصون وإلى هذا المعنى أشار من قال:

المـوت أفـنى مـن مضـى والمـوت يفـنى مـن بقـى

يـا محسـنا فـيما مضـى كـن محسـنا فـيما بقـى

كمَا أحْسَنْتَ إليَّ فيمَا مَضَى مِنْهُ برَحمتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحمين

يعني أنه طلب من الله تبارك وتعالى أن يحسن إليه في بقية عمره إحسانا أعظم وأتم وأكمل وأحسن مما أحسن إليه فيما مضى من عمره، فقولّه أعظم وما عطف عليه صفة لمصدر محذوف دل عليه المذكور وتقديره إحسانا أعظم، ثم أنه طلب هذا من الله أن يهبه لّه برحمته وناداه يا أرحم الراحمين، واعلم أن هذا الاسم الجليل قيل فيه: إنه هو الاسم الأعظم لقولّه تعالى ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(الأنبياء:٨٣) .

وأخرج الحاكم في المستدرك عن أبي أمامة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ {إن لله تعالى ملكا موكلا بمن يقول يا أرحم الراحمين فمن قالّها ثلاثا قال لّه الملك أن ارحم الراحمين قد أقبل عليك فسل}. ذكره النووي في الأذكار والحديث عن عبد الله بن جعفر قال: لما توفى أبو طالب خرج النبي ﷺ ماشيا إلى الطائف على قدميه فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه فانصرف فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال {اللّهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين ... الخ} الحديث، والحديث عن أبي أمامة الباهلي كما عند الطبراني في معجمه

الكبير ذكر دعاء عن النبي ﷺ وفي آخره {وأن تجيرني من النار بقدرتك يا أرحم الراحمين} انظر غاية المغنم في الاسم الأعظم لسيدي محمد البكري الصديقي رحمه الله .

اللَّهمَّ إني أسألُكَ وأتَوَسَّلُ إليكَ بتَوْحيدكَ وتَمْجيدِكَ

هذا توسل من الذاكر أيضا إلى الله تعالى بتوحيده أي وحدانيته وتمجيده أي كرمه وجوده وإحسانه .

وتحْميدكَ وتَهْليلِكَ

أي أسألك يا رب وأتوسل إليك أيضا بتحميدك أي بحمدك البالغ في الثناء عليك فالتحميد أبلغ من الحمد والحمد أعم من الشكر وبتهليلك أي بحق من قال لا إلَه إلا الله .

وتكْبيرِك وتَسْبيحِكَ

توسل أيضا إلى الله تعالى بحق تكبيره أي تعظيمه وتسبيحه أي تنزيهه عما لا يليق به فهما مصدران الأولى مصدر كبر تكبيرا والثاني مصدر سبح تسبيحا .

وكَمالِكَ وتَدْبيرِكَ

يعني أنه توسل إلى الله بحق كمالَه وبحق تدبيره أي نظره في أمور مخلوقاته والقيام بشأنهم

وتَعظِيمِكَ وتَقْدِيسكَ

تعظيم الله هو الثناء عليه وتقديسه تنزيهه عما لا يليق بعلى مقامه ورفيع جنابه تعالى الله علوا كبيرا .

وَنُورِكَ ورأفَتِكَ

نور الله هو صراطه المستقيم وهو الحق المبين قال ابن عباس في قولَه تعالى ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾(النور:٣٥) معناه: الله هادي السموات والأرض فهم بنوره إلى الحق ويهتدون بهدايته من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه الله منور السموات والأرض نور السماء بالملائكة ونور الأرض بالأنبياء، وقولَه ورأفتك أي شدة رحمتك لعبادك .

وَرَحمَتِكَ وَعِلمِكَ

أي أتوسل إليك يا رب بحق رحمتك العظيمة وعلمك الواسع قال تعالى ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾(طه:٩٨) .

وَحِلمِكَ وَعُلُوِّكَ

حلم الله تعالى هو عفوه وستره وصفحه عن ذنوب عباده المؤمنين وعلوه ارتفاعه وعظمته وكبرياؤه

وَوَقَارِكَ وفَضْلِكَ

وقار الله هو حلمه وعفوه وفضله هو إحسانه إلى عباده ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(الجمعة:٤).

وَجَلالِكَ ومَنِّكَ

جلال الله هو عظمته ومنك بفتح الميم وتشديد النون بمعنى الامتنان أي إنعامك علينا منة منك وإحسانا.

وَكَمالِكَ وَكِبْرِيائِكَ

كمال الله تعالى لا ينكره إلا جاهل فهو ﷻ كامل الذات رفيع الصفات جميل الأفعال وكبرياؤه وعظمته وجلاله .

وَسُلْطَانِكَ وَقُدْرَتِكَ

سلطان الله هو ولايته على خلقه وقدرة الله تقدم تفسيرها .

وَإِحْسَانِكَ وَامْتِنَانِكَ

إحسان الله إنعامه على عباده وامتنانه أي إسداؤه النعم العظيمة فضلا وإحسانا وكرما وجودا وامتنانا.

وَجَمَالِكَ وبهَائِكَ

جمال الله ضد الجلال كما أن الله يوصف بالجلال كذلك يوصف بالجمال وجمال الله إنعامه على عباده بالخيرات العظيمة وفي الحديث إن الله جميل يحب الجمال أي أنه مفيض الخيرات الكثيرة والبهاء عطف تفسير عليه وهو الحسن والجمال.

وبُرْهَانِكَ وَغُفْرَانِكَ

برهان الله حجته على خلقه وغفرانه رحمته لعباده المؤمنين بالمغفرة لذنوبهم غفر الله بمنه ذنوبنا وستر عيوبنا آمين .

ونَبيِّكَ وَوَليِّكَ

توسل إلى الله تعالى بحق نبيه أي جنس أنبيائه ووليه أي جنس أوليائه فأفرد باعتبار الجنس واعلم أن النبي هو شخص أوحى إليه بشرع فإن أمر بتبليغه فرسول أيضا وإلا فنبي لأن الرسول أخص من النبي فإن كل رسول نبي ولا عكس والولي هو عبد مؤمن تجرد إلى الله بالعبادة فقربه الله إليه بالمحبة وتأنس بالله من كل وحشة والمراد بالنبي هنا هو نبينا سيدنا محمد ﷺ إذ هو المقصود الأهم المطلوب الأعظم فلذلك عطف عليه عترته الطاهرين فقال:

وَعِتْرتِهِ الطاهِرينَ

عتر الرجل أقاربه والمراد هنا آل النبي ﷺ وقوله الطاهرين أي المطهرين من كل عيب قال تعالى﴿ يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾(الأحزاب:٣٣) وفي الدر المنثور أخرج الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن أم سلمة ﵂ قالت في بيتي نزلت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْت ﴾ وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثم قال {هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا} .

أنْ تُصليَ على سيِّدنَا محمَّدٍ وَعلى سائِرِ إِخْوَانِهِ الأنبِياءِ وَالمُرسِلينَ

هذا هو مفعول أسألك وأتوسل إليك وقوله بتوحيدك وتمجيدك وما عطف عليه إلى

قولـه الطاهـرين متعلق بأسأل وأتوسل وتقدم بعض ما يتعلق بالصلاة على النبي ﷺ ثم أعقب الصلاة على سائر إخوانه الأنبياء والمرسلين تبعا له واختلف هل تجوز الصلاة على غيره استقلالا، منهم من جوزها، ومنهم من منعها، والاتفاق على جوازها تبركاً كما هنا .

وَأَنْ لا تَحْرِمَنِي رِفْدَكَ وَفَضْلَكَ

معطوف على قولَه أن تصلي مفعول لأسأل وأتوسل، وقولَه تحرمني بفتح التاء مضارع حرم مثل عسر، والرفد بكسر الراء وسكون الفاء العطاء والصلة، والفضل الإحسان والمعنى: أسألك يا رب أن لا تمنعني رفدك أي عطائك وصلتك وفضلك أي إحسانك .

وَجَمَالِكَ وَجَلالِكَ

المراد بجمال الله كرمه وجوده وإحسانه وإنعامه وبجلال الله دفعه عنا جميع المكروهات والنوائب المعضلات والشدائد المهلكات .

وَفَوَائِدِ كَرَامَاتِكَ

الفوائد جمع فائدة وهي اسم فاعل من قولك فأدت لَه فائدة فيدا من باب باع وأفدته مالا أعطيته والفائدة مشتقة من الفؤاد لأن من نظر في فائدة وتأملَها انفتح لَها قلبه وفي هذا المعنى قيل:

من الفؤاد اشتقت الفائدة ... والنفس يا صاح بذاك شاهدة

فإذا فهمها فيجب عليه شكر من أفاده إياها وقد أشار بعضهم إلى هذا المعنى فقال:

إذا أفادك إنسان بفائدة ... من العلوم فلازم شكره بدا

وقال فلان جزاه الله صالحة ... أفادنيها والق الكبر والحسدا

اهـ وفوائد مضاف وكرامات مضاف إليه ما قبلَه جمع كرامة وهي المودة والإحسان .

فَإِنَّهُ لا تَعْتَرِيكَ لِكَثْرَةِ مَا قَدْ نَشَرْتَ مِنَ الْعَطَايَا عَوَائِقُ الْبُخْلِ

يعني أنك لا تعتريك عوائق البخل لكثرة ما قد نشرت من العطايا وأسديت من المنن ومنحت من كثرة النعم، فقولَه تعتريك بفتح التاء مضارع اعتراه بمعنى أصابه، وقولَه نشرت فعل ماض من باب قعد، والعطايا جمع عطية أي ما يعطيه الله تبارك وتعالى، والعوائق

جمع عائق يقال عاقه إذا منعه، والبخل ضد الكرم وقد وردت في ذمه آيات وأحاديث قال تعالى ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ .... ﴾(آل عمران: ١٨٠) الآية وقال ﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾(محمد: ٣٨) وقال ﷺ خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال ﷺ {أقسم الله تعالى لا يدخل الجنة بخيل} وقال ﷺ {خلق الله اللؤم فخفه بالبخل والمال} وروى محمد بن إبراهيم التيمي عن عروة بن الزبير عن النبي ﷺ أنه قال {السخي قريب من الله ﷻ قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخل بعيد عن الله ﷻ بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار} وقال ﷺ لعدي بن حاتم {رفع الله عن أبيك العذاب الشديد لسخائه} وبلغه ﷺ عن الزبير إمساك فجذب عمامته إليه وقال {يا زبير أنا رسول الله إليك وإلى غيرك انفق عليك ولاتوك فأوك عليك[1]} .

وروى أبو الدرداء قال قال رسول الله ﷺ {ما من يوم غربت فيه شمسه إلا وملكان يناديان اللهم اعط منفقا خلفا وممسكا تلفا} وأنزل في ذلك القرآن ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾(الليل: ٥-١٠) .

وروى الخطيب أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بإسناده عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال {لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها أظهري أنهارك فأظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر ثم قال لها اظهري حورك وحليك وحللك وسررك وحجالك ثم قال لها تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله ﷻ أنت حرام على كل بخيل} أورده في كتاب البخلاء له .

وقال رسول الله ﷺ لقوم من الأنصار من سيدكم ؟ قالوا: الجد بن قيس على بخل فيه فقال ﷺ {وأي داء أدوا من البخل} وقال ﷺ {إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم} وقال على بن أبي طالب (البخيل يتعجل الفقر لنفسه يعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء) .

وقال حكيم: لو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضير بخلهم ومذمة الناس لهم وإطباق القلوب على بغضهم إلا سوء الظن بربهم في الخلف لكان عظيما فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾(سبأ: ٣٩) كفى بالبخيل معرة أن يمنع نفسه اكتساب

---

(١) أى لا تضيق على خلق الله فيضيق الله عليك

الحسنات مع افتقاره إليها ويحرمها مباح الشهوات مع اقتداره عليها وربما ترك التداوي وإن أجحفت به العلة وأهمل دفع المكاره عن نفسه وقد نيطت به المذلة لكثرة الاشفاق على الإنفاق فهو لا يلقى في الدنيا شكورا ولا يلقى في الآخرة أجراً مذخورا .

وقال الحسن بن على ﷺ: البخل جامع المساوي والعيوب وقاطع المودة من القلوب . قال سقراط: الأغنياء البخلاء بمنزلة البغال والحمير تحمل الذهب والفضة وتعلف التبن والشعير . وقال بشر بن الحارث الحافي: لا غيبة لبخيل ولشرطي سخي أحب إلى من عابد بخيل . وقالوا: صديق البخيل من أطعمه وسقاه وعدوه من تركه وقلاه . وقيل: النظر إلى البخيل يقسى القلب . وقالوا: البخل يهدم مباني الشرف ويسوق النفس إلى التلف . وقيل في منثور الحكم: الجود عز الوجود . وقيل في المثل: سؤدد بلا جود كملك بلا جنود .

وقال بعض الحكماء: الجود حارس الأعراض . وقال بعض الأدباء: من جاد ساد ومن أضعف ازداد . وقال بعض الفصحاء: جود الرجل يحببه إلى أضداده وبخله يبغضه إلى أولاده . وقال بعض الفصحاء: خير الأموار ما استرق حرا وخير الأعمال ما استحق شكرا .
وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله :

ويظهر عيب المرء في الناس بخله ... ويستره عنهم جميعا سخاوة

نعط بأثواب السخاء فانني ... أرى كل عيب فالسخاء غطاؤه

وروى عن النبي ﷺ أنه قال {أقسم الله تعالى بعزته لا يجاوره بخيل} وروى عن النبي ﷺ أنه قال {طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء} وسمع رسول الله ﷺ رجلا يقول الشحيح أعذر من الظالم فقال {لعن الله الشحيح ولعن الظالم} وقال بعض العلماء: البخل جلباب المسكنة . وقال بعض الأدباء البخيل ليس له خليل . وقال بعض البلغاء: البخيل حارس نعمته وخازن ورثته . وقال بعض الشعراء:

إذا كنت جماعا لمالك ممسكا ... فأنت عليه خازن وأمين

تؤديه مذموماً إلى غير حامد ... فيأكله عفوا وأنت دفين

اهـ ذكره الماوردي في كتاب أدب الدنيا والدين وقال بعضهم في ذمه:

البخل داء دوى لا يليق بذي مروءة لا ولا عقل ولا دين
من آثر البخل عن وفر وعن جدة فقد لعمري أضحى بالمغبون
يا بؤس من منع الدارين حقهما فباع أخراه بعد الدين بالدون

وقال آخر:

إذا المال لم ينفع صديقا ولم يصب قريبا ولم يجبر به حال العدم
فعقباه أن تختاره يد وارث وللباخل المورث عقبى التندم

وقال بشر: لقاء البخيل كرب والنظر إليه يقسي القلب . وفي ذلك قيل:

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى بخيلا له في العالمين خليل
وإني رأيت البخل يزري بأهله فأكرمت نفسي أن يقال بخيل

وكفى بالبخل خسة أن يجمع لغيره ويحتمل معرة ضيره ولا ينال لذة وفره وخيره وفي مثله يقول وكيع:

لئيم لا يزال ينلم وقرا لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو فريسته ليأكلها سواه

اهـ قاله الغزالي في كتابه مكاشفة القلوب .

وَلاَ يَنقُصُ جُودَكَ التقْصيرُ في شُكْرِ نِعمَتِكَ

يعني أن تقصيري في شكر نعمتك لا ينقض جودك بل جودك ممنوح للعباد ومعطي لهم بتوالي الإمداد، فقوله ينقص فعل مضارع من نقص من باب قتل ذهب منه شئ بعد تمامه والتقصير فاعل به وجودك أي إحسانك مفعول به وفي شكر نعمتك جار ومجرور يتعلق بالتقصير.

وَلا تُنْفِدُ خَزَائِنَكَ مَوَاهِبَكَ المُتَّسِعَةُ

يعني أن عطاياك الواسعة ومنحك الفائقة لا تنفد خزائنك قال تعالى ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾(النحل:٩٦) . وأخرج النووي فى أربعينة عن أبي ذر الغفاري ﷺ عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ أنه قال {يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم

محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم وكانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه }رواه مسلم اهـ .

فقولـه: تنفد بضم التاء وكسر الفاء مضارع أنفد بمعنى أفنى وأتم، ومواهبك فاعل والمتسعة صفة لمواهب وخزائنك مفعول به .

وَلا تُؤَثِّرُ في جُودِكَ العَظِيمِ مِنَحُكَ الفَائِقَةُ الجَلِيلَةُ الجَمِيلَةُ الأَصِيلَةُ

يعني أن منحك وعطاياك ومواهبك لا تؤثر نقصا ولا إقلالا في جودك العظيم، واعلم أن تأثير المنح في الجود على معنيين: أحدهما: أن ينتقل الجود بسبب المنح من صفة الكثرة إلى صفة القلة، وثانيهما: أن ينتفي بالكلية بسبب المنح، فقوله: مضارع أثر ومنحك فاعل والفائقة والجليلة والجميلة والأصيلة أوصاف لمنحك وفي جودك يتعلق به والتعظيم صفة لجودك .

وَلاَ تَخَافُ ضَيْمَ إِمْلاَقٍ فَتُكْدِي

يعني أن الله تعالى لا يخاف ضيم أي ضرر إملاق أو فقر فيكدى أي فيقل خيره أو يقطع، فقولـه: فتكدى بضم التاء وكسر الدال بينهما كاف ساكنة مضارع أكدى قال تعالى ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى ﴾(النجم:٣٤) أي قطع القليل .

وَلا يَلْحقُكَ خَوْفُ عَدَمٍ فَيَنْقُصَ مِنْ جُودِكَ فَيْضُ فَضْلِكَ

يعني أن الله تبارك وتعالى لا يلحقه خوف العدم وهو الإفلاس فينقص فيض فضله وسعة كرمه وجوده وإحسانه من جوده الموهوب لخلقه المبذول لهم في جميع الأوقات والممنوح

في كـل الـلحظات، واعلم أن الخوف من العدم والإفلاس بسبب الجود والعطاء إنما يكون إذا كانت الخزانة قليلة وخزائنه تعالى لا تنقصها نفقة أناء الليل وأطراف النهار .

قـال في الـدر المنـثور: أخـرج أحمـد وعـبد بـن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجـه والبـيهقي في الأسمـاء والصـفات عـن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ {إن يمين الله مـلآى لا يغيضها نفقة سخاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه قال وعرشه على الماء وفي يده الأخرى القسط يرفع ويخفض} اهـ .

فقولـه: لا يـلحقك مضارع لحق وخوف فاعل به وهو مضاف وعدم بضم العين وسكون الـدال بمعـنى الفقـد للمتاع مضاف إليه ما قبلَه، وقولَه: فينقص الفا سببية لأن النقص سبب عـلى خـوف العـدم وهـو مضارع منصوب في جواب النفي وفيض فاعل به وفضلك مضاف إلى فيض من جودك متعلق بينقص .

إنَّكَ علَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ وَبِالإجابَةِ جَدِيرٌ

قولـه: إنـك بكسر الَهمزة على الاستئناف البياني فيكون تعليلا بجملة هي جواب عن سؤال مقـدر كـأن قـائلا قـال لـه من قبل الله تعالى لأي شئ قصرت سؤالك على فقال إنك .. الخ، وقولَه: تشـاء قديـر المشـيئة والإرادة بمعـنى واحـد خلافا للكرامية قالَه ابن زكري وهي صفة أزلية متعلقة في الأزل بتخفيض الحـوادث بأوقات حدوثها والقدرة صفة أزلية تؤثر في المقدورات عند تعلقها بما فيما لا يزال أي في المستقبل على وفق تخصيص الإرادة، وقولَه جدير أي حقيق بالإجابة .

اللَّهمَّ ارزُقْني قَلْباً خاشِعاً خاضِعاً ضَارِعاً

طلـب مـن الله تبارك وتعالى أن يرزقه قلباً خاشعا خاضعا ضارعا وهذه الأوصاف مطلوبة في حـق كـل مؤمـن وهما فرضان في حق المصلي والخشوع والخضوع متلازمان كلما وجد أحدهما وجد الآخـر، ولذلـك يعـبرون بالخشوع تارة وبالخضوع أخرى، وذلك أن المصلي إذا راقب الله تعالى في صلاته وأقـبل علـيه بكليـته واستحضر جلالَه وعظمته فإنه بالضرورة يكون متأدبا ساكن الجوارح الظاهـرة والباطـنة منكسـر القلـب مـتذللا متواضـعا خائفـا باكـيا وهـو معنى الخشوع والحضور في الصـلاة، وهـذا أعني: خشوع خوف وانكسار وإذلال هي المرتبة الأولى من مراتب الخشوع الثلاث وهـي للعـباد الـزهاد، الثانـية: خشـوع تعظـيم وهيـبة وإجلال وهي للمريدين السائرين، الثالثة: خشـوع فـرح وسـرور وإقـبال وهـي للواصـلين من العارفين ويسمى هذا المقام قرة العين ويعين على

الخشوع الزهد في الدنياوالإكثار من ذكر الله بالقلب والقالب وادمان الطهارة اهـ .

وقال ابن جزي في تفسير قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾(المؤمنون:٢) ما نصه: الخشوع حالة في القلب من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة المولى ﷻ ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات والبكاء والتضرع والضراعة إلى الله تعالى تنشأ من خوفه وشدة بأسه وعذابه، قال تعالى ﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾(الأنعام:٤٣) .

وَعيناً باكِيَةً

اعلم أن البكاء لا ينشأ إلا من الحزن والحزن لا ينشأ إلا من خوف الله تعالى قال تعالى ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(التوبة:٨٢) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرج النبي ﷺ ذات يوم من المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فوقف وسلم عليهم ثم قال {أكثروا ذكر هاذم اللذات}. ثم خرج بعد ذلك مرة أخرى فإذا قوم يضحكون فقال {أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا}. وقال ﷺ {كثرة الضحك تميت القلب}. وقال ﷺ {من ضحك لشبابه بكى لهرمه ومن ضحك لغناه بكى لفقره ومن ضحك لحياته بكى لموته} وقال ﷺ {اقرؤا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا} .

وعن الحسن: يا عجبا من ضاحك ومن ورائه النار ومن مسرور ومن ورائه الموت، وقال ﷺ {كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاثة عين بكت من خشية الله وعين غضت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله تعالى}. ويقال ثلاثة أشياء تقسي القلب: الضحك من غير عجب، والأكل من غير جوع، والكلام في غير حاجة، اهـ . ذكره الغزالي في كتابه مكاشفة القلوب .

وبَدَناً صَحِيحاً صَابِراً

طلب من الله تبارك وتعالى صحة البدن والصبر فبالصحة يقدر على العبادة وبالصبر يتقوى عليها .

ويَقِيناً صَادِقاً بالحَقِّ صَادِعاً

اليقين الصادق هو علم قوي تيقن صاحبه متعلقه ولم يغب عنه من حقيقته شئ ولم تعارضه فيه الأوهام فلم يبق معه إلا الفعل أو الترك والإقبال على الحق والارتحال عن

الباطل ولهذا قال أئمة هذا الشأن المؤمن هو الذي يعلم أن ما قال الله كما قال الله وأن ما قال الرسول ﷺ كما قال الرسول ﷺ وهو ثلاثة أنواع: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، والعلم في جميعها صار حالا وصفة لازمة للنفس لا تغفل عنه ومثالها من تيقن وجود البحر يقينا غلب على قلبه، ومن رآه وشاهده على بعد ومن دخله وانغمس فلا شك أن من رأى ليس كمن علم كما أن من دخله وانغمس في لجته ليس كمن رآه على بعد وإن اشترك الثلاثة في العلم به، وثمرة حق اليقين الفناء في التوحيد وناهيك بما يكون لصاحبه من المواهب والأسرار والفيوض الإلهية، وثمرة عين اليقين الذي ينكشف أوصاف الحق ﷻ التي منها الوجود الحقيقي الذاتي أن يبقى في نظره ما يعتمده ولا ما يستند إليه ولا ما يستأنس به غير مولاه لأنه يشهد الأكوان كلها عدما إلا إذا وجودها عارية مردودة فلا يعبأ بها ولا يلتفت إليها فيتم له التوكل والتفويض والاستسلام اهـ. قاله جسوس في شرحه لتصوف المرشد، فقوله: ما دعا صفة ليقينا ومعناه متكلما أي صاحبه بالحق جهارا.

وتَوْبَةً نَصُوحاً

أي: ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود إلى الذنب الذي تاب منه، قال عمر بن الخطاب وأبي بن كعب ومعاذ ﷺ: التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع. وقال الحسن: هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ألا يعود إليه. وقال الكلبي: أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن. وقال سعيد بن المسيب: معناه توبة تنصحون بها أنفسكم. وقال محمد بن كعب القرظي: التوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار تلك العود بالجنان، ومهاجر سيء الإخوان اهـ، ذكره الخازن.

وقال ابن عطاء الله في تاج العروس: من فعل المعاصي وتقلب في المحارم لو انغمس في سبعة أبحر لم تطهره حتى يعقد مع الله عقدة التوبة اهـ. وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال {لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا به مهلكه ومعه راحلته اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع إلى مكاني فرجع فنام نومه ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده} قال في تاج العروس: فإن ظفرت بالتوبة فقد أحبك الله فالحق سبحانه لم يرض لك أن تكون محبا بل محبوبا وابن المحبوب من المحب وإنما يغتبط بالشئ من عرف قدره لو بذرت الياقوت بين الدواب لكان الشعير أحب إليها انظر أي الفريقين أنت

إن تُبت فأنت من المحبوبين وإن لم تتُب فأنت من الظالمين، قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(الحجرات:١١) من تاب ظفر ومن لم يتب خسر، ولا تقطع بأسك وتقول: كم أتوب وانقض، فالمريض يرجو الحياة ما دامت فيه الروح، إذا تاب العبد فرحت به داره من الجنة وتفرح به السماء والأرض والرسول ﷺ وهي من الفضل العظيم، يذنب العبد سبعين سنة فيتوب إلى الله في نفس واحد فيمحو ما عمله لله في تلك المدة، التائب من الذنب كمن لا ذنب له اهـ . ملفقا من مواضع من جسوس على تصوف المرشد .

والأصل في وجوب التوبة الكتاب قال الله تعالى ﴿ وَتُوبُوا إِلَى الله جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُون ﴾(النور:٣١) وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى الله تَوْبَةً نَصُوحاً ﴾(التحريم:٨)

والسنة قال ﷺ {توبوا فإني أتوب كل يوم سبعين مرة - وفي رواية مائة مرة} والإجماع على أنها واجبة ولا خلاف بين أهل السنة في صحتها من بعض الذنوب ويطلب بالتوبة فيما بقى منها، والتوبة من جميع الذنوب هي التوبة النصوح اهـ . واعلم أن النسيان من أقبح المصائب فعلى العاقل أن يحاسب نفسه ولا ينسى ذنبه كما قيل:

يا أيها المذنب المحصي جرائمه ... لا تنس ذنبك واذكر منه ما سلفا

وتب إلى الله قبل الموت وانزجرا ... يا عاصيا واعترف إن كنت معترفا

ولساناً ذاكراً حامداً

هذا أيضا من الأمور المهمة التي يطلبها العاقل ولا يغفل عنها إلا الجاهل وقد نطق الكتاب والسنة بفضل الذكر والترغيب فيه والحث عليه قال تعالى ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾(البقرة:١٥٢) قال في الإحياء: أي استحضروا جلالي وعظمتي في قلوبكم أذكركم بالألطاف والإحسان، وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا الله ذِكْراً كَثِيراً ﴾(الأحزاب:٤١) وقال تعالى ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا الله عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾(البقرة:١٩٨) وقال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾(آل عمران:١٩١) وقال تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا الله قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ﴾(النساء:١٠٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية، وقال تعالى في ذم المنافقين ﴿ وَلا يَذْكُرُونَ الله إِلَّا قَلِيلاً ﴾(النساء:١٤٢) إلى غير ذلك من الآيات .

وأما الأخبار فقد قال رسول الله ﷺ {ذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن

الفارين وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم وذاكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء وسط الشجر الهشيم الذي نحلت من الصرير أي شدة البرد وذاكر الله في الغافلين يغفر له بعدد كل صبح وأعجم وذاكر الله في الغافلين يعرفه الله ﷻ مقعده من الجنة} قال السيوطي في الجامع الكبير رواه صصري في أماليه وابن شاهين في الترغيب في الذكر وقال صحيح الإسناد حسن المتن غريب الألفاظ اهـ .

وقال ﷺ {يقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه} وقال ﷺ {من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله ﷻ} وسئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل فقال {أن تموت ولسانك رطب بذكر الله} وقال ﷺ {أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله ﷻ تصبح وتمس وليس عليك خطيئة} إلى غير ذلك من الأحاديث ومن أراد جملة وافرة من الباب فعليه بتقييدنا المسمى بالزهر الفاتح في فضل صلاة الفاتح ففيه غنية والله يثيبنا على حسن النية .

وَإِيمَاناً صَحِيحاً

الإيمان الصحيح عرفه النبي ﷺ في الحديث الذي عليه مدار الدين فقال في أثنائه أخبرني عن الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ـ وفي رواية حلوه ومره ـ وفي الحديث ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد ﷺ رسولا ، وفي الحديث أيضا {ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان وطعمه أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ولأن توقد نار عظيمة فكان أن يقع فيها خير له من أن يشرك بالله} اهـ ،

وَرِزْقاً حَلالاً طَيِّباً وَاسِعاً

اعلم أن المهم عند العاقل هو طلب الحلال لما يتقوت به وتقوم به بنيته في كل وقت وحال قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾(البقرة:١٧٢) وقال ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾(المؤمنون:٥١) وقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾(البقرة:٢٧٨) ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾(البقرة:٢٧٩) .

وقال ﷺ {طلب الحلال فريضة على كل مسلم} وقال ﷺ {إن لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل يوم إلا من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل أي نافلة ولا فريضة}

وقال ﷺ { كل لم نبت من حرام فالنار أولى به } وفى التوراة ((من لم يبال من أين مطعمه لم يسأل الله به من أى باب من أبواب النار أدخله)) وقال ﷺ {الربا من الكبائر} وعن على ﷺ لعن رسول الله ﷺ صاحب الربا وآكله ومطعمه وكاتبه وشاهده وفي رواية وموكله . وقال ﷺ {من أكل الربا فقد برئت منه ذمتي} وقال {ما فشا في قوم الربا والزنى إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله}. وقال {الدرهم من الربا أعظم عند الله من مائة فجرة أي زانية}. وقال {الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من مائة زانية يزنيها في الإسلام} .

وعن عبد الله بن سلام: الربا سبعون جزءا وأدناه منزلة مثل اضطجاع الرجل مع أمه. وقال عبد الله بن عباس ﷺ: عماد الدين وقوامه طيب المطعم فمن طاب كسبه زكى عمله ومن لم يطب كسبه خيف عليه أن لا تقبل صلاته وصيامه وحجه وجهاده وجميع عمله لأن الله تعالى يقول ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾(المائدة:٢٧)، وقال أيضا: لا يقبل الله صلاة من فى بطنه حرام، وقال أيضا: من أكل لقمة من حرام لم يقبل الله منه عمله أربعين صباحا،

قد ورد: من أكل الحلال أطاع الله أحب أم كره ومن أكل الحرام عصى الله أحب أم كره . ويقال: التوفيق بين الماء والدقيق . ويقال: كل ما شئت فمثله تفعل واصحب من شئت فالمرء على دين خليله .

ومن خواصه تنوير القلب، وقد ورد: من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة على لسانه، ومن خواصه: استجابة الدعاء وقد سأل سعد بن أبي وقاص النبي ﷺ أن يجعل الله دعوته مستجابة فقال {طيب لقمتك ـ أي اجعلها من حلال ـ تستجب دعوتك} وأخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة أن النبي ﷺ {قال إن الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام غذي بالحرام فأنى يستجاب له} وقد أشار ناظم بيوت بن جماعة رحمهما الله إلى بعض ما تقدم من آفات أكل الحرام وفوائد أكل الحلال فقال:

الحمد للواحد ذي الجلال ... منور القلوب بالحلال
وجاعل الران على القلوب ... بأكلها الربا مع الذنوب
ولم يجئ في سائر الذنوب ... ما جاء في الربا من الحروب
ومن يطلق حرب العزيز القاهر ... مع رسوله الكريم الطاهر

وأمـــــر الله بـــــأكل الطيـــــب | وهـــو الحـــلال عـنـدنا في المذهـــب
وجـاء أيضـا في الحديـث الواضـح | عـن سـيد الخلـق الشـفيع الناصـح
قـــال لســـعد طـــيبن لقمـــتك | مهمـــا أردت تســـتجاب دعوتـــك
ومـــن أكـــل الحـــلال أربعـــين | يومـــا أطـــاع ربـــه يقيـــنا
وهكـــذا بـــالعكس جـــاء في الخـــبر | فـــابعد عـــن الـــربا وحقـــق الـــنظر
فإنــــه يذهــــب أنــــوار الفكــــر | حـــتى يصير القلب أقسى من حجر

تنبيه: قال الشيخ زروق في شرح الوغليسة: قد أجمع الصوفية على وجود الحلال، وقالوا: لو لم يكن موجودا للأولياء قوت لأنهم لا قوت لهم سواه وإذا عدم الحلال فأصوله عشرة: تجارة بصدق، وأجرة بنصح، وأعشاب الأرض غير المملوكة، وصيد البحر، وصيد البر في غير الحرم، والإحرام، وأقسام الغنائم وأخماسها إذا قسمت بالعدل، وصدقة النساء، والمواريث ما لم تعلم حرمتها، والسؤال عند الحاجة من وجه طيب اهـ . ولبعضهم في ذلك من زيادة ماء الغدر والهدية من أخ صالح:

يـــا صـــاح أن لـــلحلال الحـــر | عشـــر أصـــول وهـــي صـــيد الـــبحر
ومـــورث حـــل ومـــاء الغـــدر | ثـــم هديـــة المحـــب قـــادر
مـــن حلَـــه لله للشـــكر | وصـــنعة بالشـــكر لا بالمكـــر
والـــتحر بالصـــدق وصـــيد الفقـــر | ثـــم الســـؤال عـــن شـــديد الفقـــر
ونبـــت أرض لم تكـــن لغـــير | والفـــئ بقســـم بغـــير جـــور
وانفـــرد الـــثعالبي بالّهـــر | فـــزاده موفقـــا للعشـــر
لـــنص تقيـــيد الجـــزولي الحـــبر | جـــزاء ربـــنا بكـــل خـــير

اهـ . ويدخل في الحرام الذي يجب حفظ البطن منه كل ما حرم أكلَه: كالميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، والمنخنقة وما ذكر معها في الآية بشرطها، وكل ما يسكر فإنه مذهب للعقل متلف للمال وسبب العداوة والبغضاء ومانع من ذكر الله وعن الصلاة، إلى غير ذلك من المفاسد المترتبة على السكر، ويدخل فيه أيضا: الحشيشة والقدر الذي يؤثر في العقل من المفسدات كالأفيون، ويدخل في الحرام أيضا: ما أخذ من أموال

الناس من غير حلّها إن كان ذلك بغير رضى من أربابها وله عشرة أوجه أو برضاهم وله ثمانية عشر وجها ذكر جميعها الجزولي ونظمها من قال:

وأخذ مال الغير إما بالرضى	من به أولا وذا عشر أضا
غصبا تعديا حرابة ترى	سرقة وخلسة ولا أمترا
ثم اقتطاعا ودلالة علم	بكره ربه خيانة وسم
ثم خديعة وغشا والذي	مع الرضى فست عشرة احتذى
وهو الربا ثم القمار والرشى	وثمن الجاه وكلب لاتشا
حلوان كاهن ومهر للبغي	وثمن قرد وسنور بغى
عليهما وأجر حجام كذا	ما يأخذ القاضي وشاعر أخذا
وثمن الصور آلة اللعب	نائحة كذا الوصف قد طلب
ثم بدا خلافه زيد الغرر	خلابة والكل يرمي بشرر
إذا كلها إلى الحرام	والخلف قل في أجرة الحجام
نقل ذا في شرحه الجزولي	ذي العلم بالفروع والأصول
عاملة الإله باللطف الخفي	بفضله ولم يزل بنا حفي

فقوله: والاقتطاع أي باليمين الكاذبة، وقوله: الدلالة أي أخذ مال الغير بالاستدلال عليه بصحبة ونحوها أن علم طيب نفس صاحب المال فهو حلال وإن علم أن نفسه لا تطيب به أو جل فهو حرام، وهذا هو الذي يعبر عنه العوام بالبشارة على الضالة، وكذا ما يؤخذ على وجه الحياء ووصف الكلب بجملة لا تشأ لإفادة أن المراد الذي لا يجوز اتخاذه وقيل ثمنه حرام مطلقا وسنور بالخفض عطفاً على القرد ومعنى بغي عليهما ظلما بالبيع تكميلا للبيت وآله ونائحه بالجر عطفا على الصور مدخول الثمن، وقوله: يرمي بشرر إشارة للتنفير عن هذه الأشياء وخفي بالمهملة أي مكرم خبر زال وقف عليه بالكون على لغة ربيع اهـ.

فائدة: قال شيخنا الإمام وأستاذنا الهمام العارف الأكبر والكبريت الأحمر القطب الرباني أبو العباس سيدنا أحمد التجاني في أثناء وصية له ما نصه: وأوصيكم في معاملة الأسواق على محافظة قواعد الشرع وأصوله على حسب ما يعطيه الوقت وتجنبوا جميع وجوه

الغش والتدليس والكذب في تقويم الأثمان وافتحام ما حرم الله بنصوص الشرع، فإن المنهمك في ذلك يهلك كل الهلاك، ثم إن ألجأته الضرورة إلى أن يأخذ قوته مما حرم شرعا في الأسواق فليأخذ قدر ما يتقوت به وليكن جاريا في ذلك على حكم المضطر في أكل الميتة فإنه إنما يأكل بلاغا وسدا لفاقة لا كسبا وتمولا، وإياكم أن تتهافتوا في المعاملات المحرمات شرعا تهافت الجهلة من العامة محتجين بعدم وجود الحلال المعين يريدون أن يسقطوا عنهم الأحكام الشرعية في المعاملات فقد صاروا بذلك كأنهم لا تكليف عليهم، وهو كذب على الله وزور اهـ .

وقال في وصية أخرى: فعلى المؤمن العاقل في إقامة طلب فرض الحلال أن يجتنب ما علمت صورته صورة الغضب والمحرم وما جهل من ذلك، وكان الأصل الاختلاط بصورة حلال وصورة حرام وعم الفساد في الأرض كما هو صورة الوقت رجع إلى أصل الحلال الثالث وهو أن الحلال ما جهل أصله فإن صورة الحلال كانت في عهده ﷺ ما عرف أصله وأصل أصله ثم انقضت مدة الخلافة ورجعت ملكا عضوضا رجع الحلال ما عرف أصله فقط ولما زاد الفساد وطما بحره صار الحلال ما جهل أصله وهي المرتبة الثالثة في الحلال ثم قال وقولنا في هذا المحل حلال إنما هو حلال عرضي لا أصلي لعدم وجود غيره بكثرة الفساد وعمومه في الأرض واحتياج العبد إلى القوت فيكون حلالا بما أعطاه حكم الوقت والضرورة فقد قال ﷻ ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(الحج:٧٨) وكذا قال القطب الكامل الوارث الواصل القدوة الشامل سهل بن عبد الله التستري ﷺ: لو كانت الدنيا عبطة من دم لكان قوت المؤمن منها حلالا لأن الله تعالى فرض العبادة على العبد وأباح له أن يأكل مما في الأرض حلالا طيبا اهـ، باختصار انظر جواهر المعاني وللساحلي رحمه الله في رائيته المعلومة:

وأكل حلال فهو رأس طريقنا	فجاهد على كسب الحلال مدى الدهر
فإن قلت لا يلفي حلال بموضع	فكل أكل محتاج عديم ومضطر
ولكنه بعد الحراسة دائما	وبعد اجتهاد حل في حيز الخطر
وإياك لا تبسط يمينك آخذا	لتحفة حران وإعطاء ذي وزر
وكن راضيا بالفقر لأنك مكثرا	وجرد شباب الحرص فيه عن الطهر

فقوله واسعا صفة لرزقا طلبه امتثالا لأمر النبي ﷺ فقد كان يستعيذ من الفقر .

وعلماً نافعاً

اعلم أن العلم النافع هو الذي اكتسب صاحبه خشية الله ﷻ قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(فاطر:٢٨) وقال في الحكم العطائية: العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك، وللهلالي رحمه الله في نصيحته:

والعلم ما أكسب خشية العليم ... فمن خلا عنها فجاهل مليم

لأنه ميراث الأنبياء ... فلم يناله غير الأتقياء

لذاك قيل العلم يدعو العملا ... أن تلقه قر وإلا ارتحلا

دليل ذاك إنما يخشى إلى ... العلماء لعموم انجلا

فاعمل بما علمت تورث علم ما ... لم تك تعلم وتمنح مغنما

وقال غيره :

العلم لا ينفع إلا إذا ... عملت فافهم كلام العبيد

لو كان بالعلم صلاح الفتى ... لكان إبليس نظير الجنيد

وفي الحديث إذا أظهر الناس العلم وضيعوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم وقال ﷺ {أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه} وقال ﷺ {ويل لمن لم يتعلم مرة وويل لمن تعلم ولم يعمل ألف مرة} وعن فضيل بن عياض وأسد بن الفرات قالا: بلغنا أن الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان، لكن إياك يا أخي أن نترك العلم مخافة العمل فالواجب على العاقل أن يقرأ العلم ويطلب من الله التوفيق للعمل، ولذلك قال بعضهم: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله، وجب عليه إذا أراد طلب العلم أن تكون له نية حسنة .

قال في وصلة الزلني: ثم لابد من حسن النية في طلب العلم بأن يقصد بذلك امتثال أمر الله ورسوله وإحياء شريعته والدخول في سلسلة المنتهية إلى رسول الله ﷺ وأن يعد في جملة مبلغي وحي الله وأحكامه وتنوير قلبه، وإياك أن تقصد بالعلم الأغراض الدنيوية من تحصيل الرياسة والجاه والمال والتصدر في المجالس فيحبط عملك ويكشف نور علمك ويضيع تعبك وتكون ممن لم ينفعه الله بعلمه، وقد استعاذ رسول الله ﷺ من علم لا ينفع فاستعن

على تجنب ذلك باعتقاد أنك لا تنال من هذه الأمور إلا ما قدر لك اهـ .

فكن يا أخي حثيثا على طلب العلم مزعجا جميع جوارحك للخوض فيه بالحفظ والفهم لتنال ما أعد الله لطالبه من الثواب الجزيل والفوز بالجزاء الجميل قال تعالى ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ ﴾(آل عمران: ١٨) وقال تعالى ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾(المجادلة: ١١) قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: للعلماء درجات فوق درجات المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام اهـ . والمراد بالدرجة المنزلة الرفيعة، وما قاله ابن عباس لا يقال من قبل الرأي فحكمه الرفع، وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية يقول: يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبنكم في العلم.

وأما الأحاديث فقد أخرج الحاكم عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال {الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم}. وقال ﷺ {لو كان بينك وبين العلم بحار من نار فخضها إليه فإن لكل شئ طريقا وطريق الجنة العلم}. وقال ﷺ {قلت: يا جبريل أي الأعمال أفضل لأمتي؟ قال العلم، قلت: ثم أي؟ قال النظر إلى العالم، قلت ثم أي؟ قال زيارة العالم ثم قال ومن كسب العلم لله وأراد به صلاح نفسه وصلاح المسلمين ولم يرد به عرضا من الدنيا فأنا كفيله بالجنة} .

تعلم ما استطعت لقصد وجهي ... فإن العلم من سبل النجاه

ومن طلب العلوم لغير وجهي ... بعيد أن تراه من الهداة

وليس العلم في الدنيا يفخر ... إذا ما حل في غير النقاة

وقال ﷺ {لمجلس علم عند الله تعالى أفضل من عبادة ألف سنة لا يعصي الله فيها طرفة عين}. وأخرج البيهقي في شعب الإيمان: عن أبي الدرداء موقوفا {أفضل الناس المؤمن العالم الذي إن احتيج إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه}. وأخرج أبو نعيم من حديث ابن عباس مرفوعا {أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل}. وقال ﷺ {من عظم عالما فإنما عظم الله ورسوله ومن تهاون بعالم فإنما ذلك استخفاف بالله ورسوله}. وقال ﷺ {من صافح عالما صادقا فكأنما صافح نبيا مرسلا}. وقال ﷺ {من اتكأ على يده عالم كتب الله له بكل خطوة عتق رقبة ومن قبل رأس عالم كتب الله بكل شعرة حسنة}. وقال ﷺ {من خدم عالما سبعة أيام فقد خدم الله سبعة آلاف سنة وأعطاه الله بكل يوم أجر ألف شهيد}. وقال ﷺ {إن لله مدينة

تحت العرش من مسك أذفر على بابها ملك ينادي كل يوم ألا من زار الأنبياء فقد زار الرب تبارك وتعالى ألا من زار الرب تعالى فلَه الجنة} وقال ﷺ {من زار بيت المقدس محتسبا أعطاه الله ثواب ألف شهيد وحرم الله جسده على النار ومن زار عالما فكأنما زار بيت المقدس} وقال ﷺ {أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسولَه} .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال {سألت جبريل عليه السلام عن ثواب العلماء فقال يا محمد إن الله تبارك وتعالى خلق مدينة تحت العرش من المسك الأذفرَ لَها جنة وأنهار في جوفها ولَها سبعون ألف بيت من جوهرطول كل واحدة ألف ذراع وعرضه مثل ذلك في كل بيت زاوية في كل زاوية ألف سرير من سرير إلى سرير ألف فرسخ على كل سرير ألف فراش فوق كل فراش ألف حورية على كل واحدة ألف حلة لا تواري حلة حلة ولا تواري الحلة الجلد ولا يواري الجلد اللحم ولا يواري اللحم العظم ولا تواري العظم المخ ولا يواري المخ العظم ويرى بعضهم من بعض كما ترى السلكة في الياقوتة البيضاء على رأس كل واحدة ثلاثة آلاف ذؤابة من المسك والعنبر رضي الله هذا الثواب للعلماء وأفضل وعلى باب المدينة ملك قائم ينادي كل يوم ألا من زار عالما فقد زار نبيا ومن زار نبيا فقد زار العلم ومن زار العلم فقد دخل الجنة ألا ومن نظر في وجه محمد ﷺ فقد نظر إلى الله تعالى ومن نظر إلى الله تعالى فلَه الجنة} .

قال ﷺ {العلماء إذا أتوا على الصراط تكون وجوههم كالشمس الصافية ونورهم يسعى بين أيديهم وبين يدي كل عالم لواء من نور الجنة يضئ مسير خمسمائة عام وتحت لواء كل عالم من أحبه ومنادي ينادي هؤلاء أولياء الله هؤلاء الذين علموا عباد الله هؤلاء الذين حافظوا على حدود الله هؤلاء مصابيح الله فإذا أتوا على الصراط يوضع على رأس كل واحد منهم تاج لو وضع ذلك التاج في السماء لخرق نوره الأرض السابعة السفلى ويكسي كل واحد منهم حلة من حلل الجنة لو علقت تلك الحلة بين السماء والأرض لقطع نورها نور السماء}

وقال ﷺ {العالم سلطان الله في الأرض فمن وقع فيه فقد هلك} وفي الخبر يهتز العرش لثلاث لليتيم إذا ضرب وللغريب إذا ظلم وللعالم إذا حقر} وقال ﷺ {من حقر صاحب العلم فهو منافق ملعون في الدنيا والآخرة} وقال ﷺ {من حقر صاحب العلم فقد حقرني ومن حقرني فلَه النار} وقال ﷺ {من آذى عالما أذلَه الله على رؤوس الأولين والآخرين} .

وقال عكرمة: إياكم أن تؤذوا أحدا من العلماء فإن من آذى عالما فقد آذى رسول الله ﷺ، وروى الطبراني في الكبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال {نعم العطية كلمة حق

تسمعها ثم تحملَها إلى أخ لك مسلم لتعلمها إياه} ولبعضهم في معنى هذا الحديث فقال:

تعــلم العــلم وعــلم مســلما فــإن تعلــيم العلــوم صــدقة
وقــد روى عــن الــنبي خــبرا في ذلــك المعــنى رواه صــدقة

قال ابن عساكر: إياكم ولحوم العلماء فإنها مسمومة وعادة الله فيمن آذاهم معلومة ولمن أطلق فيهم لسانه بالثلب أي السب ابتلاه الله بالسلب نسأل الله العافية ورحم الله من قال:

لحوم أهل العلم مسمومة ومن يعاديهم سريع العطب

ومن قال:

والعلماء أنجم للوقت مؤذيهم استحق كل المقت

وعن أبي الدرداء ﷺ: اطلبوا العلم فإن عجزتم فأحبوا أهلَه فإن لم تحبوهم فلا تبغضوهم، وفي الجامع الصغير: ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق بين النفاق ذو الشيبة في الإسلام وذو العلم وإمام مقسط، وعن الشافعي ﷺ: من لا يحب العلم لا خير فيه فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة، فإنه حياة القلوب ومفتاح البصائر اهـ. ولسيدنا علي ﷺ:

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهــم آدم والأم حــواء
نفــس كــنفس وأرواح مشــاكلة أعظــم خلقــت فــيهم وأعضــاء
فإن لم يكن لَهمو من أصلَهم نسب يفاخــرون بــه فــالطين والمــاء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الَهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

ومن قال:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهلَه فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن أمرأ لم يحيي بالعلم ميت فليس لَه حتى النشور نشور

ومن قال:

أخو العلم حي خالد بعد موته وأوصالَه تحت التراب رميم

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثري ... يعد من الأحياء وهو عديم

ومن قال:

أولو العلم أهدى العالمين طريقة ... بهم يهتدى في معضلات الحوادث
هو الوارثون العلم من سيد الورى ... نبى الهدى والعلم خير الموارث
فهو سرج الدنيا وعدة ربنا ... وتلك يمين لست فيها بحانث

ومن قال:

تعلم فإن العلم زين لأهله ... وفضل وعنوان لكل المحامد
وكن مستفيدا كل يوم زيادة ... من العلم واسبح في بحور الفوائد
تفقه فإن الفقه أفضل قائد ... إلى البر والتقوى وأعدل قاصد
هو العلم الهادي إلى سنن الهدى ... هو الحصن ينجي من جميع الشدائد
فإن فقيها واحدا متورعاً ... أشد على الشيطان من ألف عابد

وللإمام الشافعي ﷺ:

رأيت العلم صاحبه شريف ... ولو ولدته أباه لئام
وليس يزال يرفعه إلى أن ... تعظم أمر القوم العظام
ويتبعونه في كل حال ... كراعي الضان تتبعه السوام
ويحمل قوله في كل أفق ... ومن يك عالما فهو الإمام
فلولا العلم ما سعدت رجال ... ولا عرف الحلال ولا الحرام
فبالعلم النجاة من الخازن ... وبالجهل المذلة والرغام
هو الهادي الدليل إلى المعالي ... ومصباح يضئ به الظلام
كذلك عن الرسول أتى عليه ... من الله التحية والسلام

وللقلشاني ﷺ:

إذا مـــا اعـــتز ذا عـــلم بعـــلم فعـــلم الفقـــه أشـــرف في اعـــتزاز

فكـــم طيـــب يفـــوح ولا كمســـك وكـــم طـــير يطـــير ولا كـــباز

وكـان سيدي على الخواص ﷺ يقول: ليس أحد من الأمة أحب إلى رسول الله ﷺ من العلماء لأنهم حملة شريعته وأمناؤه على أمته فمن أبغض عالما فقد أبغض من أحب رسول الله ﷺ ومن كان كذلك فهو عدو لرسول الله ﷺ ومن كان عدوا لرسول الله ﷺ فهو عدو لله ﷻ ومن كان عدوا لله ﷻ فهو عدو للخلق أجمعين، وقال ﷺ {موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد وموت قبيلة أيسر من موت عالم وهو نجم طمس}. وفي رواية {موت عالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عابدا}. وقال بعض الحكماء: العجائب عامة وفي آخر الزمان أعم والنوائب طامة وفي أمر الدين أطم المصائب عظيمة وموت العلماء أعظم، ولله در القائل:

إذا مـــا مـــات ذو عـــلم حكـــيم لقـــد سـلمت مـــن الإسـلام ثـــلمة

ومـــوت العـــابد المرضـــي نقـــص تفـــوت بـــه مـــن الأســـرار حكمـــة

ومـــوت الحـــاكم العـــدل المـــولى بحكـــم الحـــق ناقصـــة ووصـــمه

ومـــوت فـــتى كـــثير الجـــود محـــن لأن بقـــاءه خصـــب ونعمـــه

ومـــوت الفـــارس الضـــرغام هـــزم لقـــد شـــهدت لـــه في الحـــرب أمـــه

فدونـــك خمســـة يـــبكي علـــيهم ومـــوت العـــير تخفـــيف ورحمـــه

وقال الآخر:

لعمـــرك مـــا الـــرزية فقـــد مـــال ولا شـــاة تمـــوت ولا بعـــير

ولكـــن الـــرزية فقـــد حـــبر يمـــوت بموتـــه بشـــر كـــثير

وقال ﷺ {معلم الناس الخير إذا بكى عليه طير السماء ودواب الأرض وحيتان البحور} وقال ﷺ {من لم يحزن لموت العالم فهو منافق فإنه لا مصيبة أعظم من موت العالم وإذا مات العالم بكت السموات وسكانها سبعين يوما ما من مؤمن يحزن لموت العالم إلا كتب الله له ثواب ألف ألف عالم وألف ألف شهيد ورفع له ألف ألف درجة}. وقال ﷺ {اكتبوا العلم فإن لله ﷻ ملائكة في السماء السابعة يستغفرون للعلماء والمتعلمين والفقهاء وأعطاهم الله بكل حرف

ثواب نبي من الأنبياء ويكتب له بكل يوم ألف حسنة ويرد له بكل يوم عمل ألف شهيد} وقال ﷺ {من أغبرت قدماه في طلب العلم حرم الله جسده على النار واستغفر له ملكان وإن مات في طلبه مات شهيدا وكان قبره روضة من رياض الجنة يوسع له في قبره مد بصره وينور على جيرانه أربعين قبرا عن يمينه وأربعين قبرا عن يساره وأربعين عن خلفه وأربعين أمامه ونوم العالم عبادة ومذاكرته تسبيح ونفسه صدقة وكل قطرة تنزل من عينه تطفئ بحرا من جهنم فمن أهان العالم فقد أهان العلم ومن أهان العلم فقد أهان النبي ﷺ ومن أهان النبي ﷺ فقد أهان جبريل ومن أهان جبريل فقد أهان الله ﷻ ومن أهان الله ﷻ أهانه الله يوم القيامة} .

وروى أيضا مرفوعا {تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الدين والصبر على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبل الجنة يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يهتدى بهم أدلة في الخير تقص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر وهوامه ودواب البر وأنعامه والسماء ونجومها لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة أبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلي والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله ﷻ وبه يعبدونه وبه يوحد ويمجد وبه يتورع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء}. نسأل الله حسن التوفيق له وفي هذا القدر كفاية والله تعالى يهدينا إليه أحسن هداية .

تنبيهان: **الأول**: قال الشعراني في العهود: جميع ما ورد في العلم والعمل إنما هو في حق المخلصين فإياك يا أخي والغلط فإن الناقد بصيراً اهـ . وقال ﷺ {الناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون على خطر عظيم}. وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ {أنزل الله في بعض الكتب أو أوحى إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياي يخادعون وبي يستهزئون لأتيحن لهم فتنة تذر الحليم فيهم حيرانا}. وعن عبد الله بن أبي صالح: قال عيسى يا معشر القراء والعلماء كيف تضلون بعد علمكم أوتعمون بعد بصركم من أجل دنيا دنية وشهوة ردية فلكم الويل عليها ولها الويل منكم .

الثاني: قال القلشاني العلم آداب أهمها أن يقصد بتعلمه وتعليمه وجه الله وأن يتخلق حامله بالمحاسن التي رغب الشرع فيها من الزهد والخشوع والوقار والتواضع والخضوع لأهل الديانة والعلم والتنزه عن دني الاكتساب والحلم وطلاقة الوجه وحسن البشر ولا ينال العلم إلا الصبر والعناية التامة والملازمة، قال ابن رشد: من أفضل ما يستعان به على طلب العلم تقوى الله لقوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا الله وَيُعَلِّمُكُمُ الله ﴾(البقرة:٢٨٢) وقال ﷺ {العلم نفور لا يألف إلا قلب تقي}. وقال الشافعي رضي الله عنه:

شكوت إلى وكيع سوء فهمي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال بني إن العلم نور ... ونور الله لا يؤتاه عاصي

وقال أبو إسحاق التنوخي رضي الله عنه:

اعمل بعملك تؤت حكما إنما ... جدوى العلوم سلوك نهج أقوم
وإذا الفتى قد نال علما ثم لم ... يعمل به فكأنه لم يعلم

ولأبي القاسم بن جزي الكلبي من أبيات:

ومن لم يفده طلاب العلوم ... رجاء الثواب وخوف العقاب
فخير له الجهل من علمه ... وأنجى له من أليم العذاب

وللقاضي العلامة على بن عبد العزيز الجرجاني وقد أحسن رحمه الله:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا ... محياه باطماع حتى تجهما

ومن قال:

العلم نور فلا تهمل مجالسه ... واعمل جميلا يرى فالفضل في العمل
لو كان للعلم من دون التقي شرف ... لكان أفضل خلق الله إبليس

قال سيدي الطالب بن الحاج في كتابه الأزهار الطيبة النشر ما نصه: ولسيدنا الوالد قدس الله سره من قصيدة في التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل عارض بها قصيدة ابن الوردي:

واتـــق الله فبالعـــلم الفـــتى يتحـــلى بـــرجاء ووجـــل
جهلـــة أنجـــى لـــه مـــن عـــلمه ان تخلـــي عـــن صـــلاح وعمـــل

وقـال القلشـاني في شرح الرسالة: من علم وعمل بعلمه ورثه الله علم ما لم يعلم وأثيب عـلى العلم والعمـل ومن علم ولم يعمل أثيب على العلم واستحق عقوبة العصيان بترك العمل ومـن لم يعمـل عصى الله من الوجهين وأما من عمل بلا علم فقال الجزولي عملَه غير صحيح فهـو كـلا عمـل اهـ . ونحـو هـذا التقسيم للقـرافي اهـ منه . وفي الحديث كما رواه صاحب الأحـياء {اللّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع} قال شارحه الشيخ مرتضي: وهو ما لم يؤذن في تعليمه أو مـا لا يصحبه عمـل أو مـا لا يهذب الأخلاق الباطنة فيسرى منها إلى الأخلاق الظاهرة ويفوز بها إلى الثواب الأجل . وأنشدوا في هذا:

يـــا مـــن تقـــاعد عـــن مكـــارم خلقـــه لـــيس الـــتفاخر بـــالعلوم الزاخـــرة
مـــن لم يهـــذب عـــلمه أخلاقـــه لم ينـــتفع بعلومـــه في الآخـــرة

اهـ منه بلفظه وقال أحمد بن عمر الأزهري رحمه الله:

أخـــا العـــلم بـــادر لـــلمعالي ولا تـــنى وجـــد إلى أن تـــبلغ الغايـــة القصـــوى
ومـــا العـــلم إلا مـــا أفـــادك قـــوة تـــنال بهـــا عـــزا وتـــنقاد لـــلتقوى

وَولداً صَالحاً

طلب من الله تعالى أن يرزقه ولدا صالحا لأنه من الأعمال التي لا تنقطع بالموت كما في الحديث {إذا مـات ابـن آدم انقطع عملُه إلا من ثلاث صدقة جارية أو ولد صالح يدعو لَه أو علم يبثه في صدور الرجال}. وفي هـذا الحديـث تحـريض الولـد المسلم عـلى الدعاء الصالح لوالديه، وقد استقرأ الجلال السيوطي من الأحاديث إحدى عشرة خصلة ينتفع بها صاحبها بعد الموت ونظمه في قولَه:

إذا مـــات ابـــن آدم لـــيس يجـــري علـــيه مـــن خصـــال غـــير عشـــر
علـــوم بـــثها ودعـــاء نجـــل وغـــر س الـــنخل والصـــدقات تجـــري
وراثـــة مصـــحف وربـــاط ثغـــر وحفـــر البـــئر أو اجـــراء نهـــر
وبيـــت للغريـــب بـــناه يـــأوى إلـــيه أو بـــناه محـــل ذكـــر

وتعلـــــيم لقــــــرآن كـــــريم فخذهــــا مـــن أحاديـــث بحصـــر

فعد إحدى عشر خصلة مع قوله في البيت الأول أنها عشر ولعله اقتصر على العقد وألغي الزائد ليسارته، أو جعل بث العلم وتعليم القرآن واحدا لأن تعليم القرآن من بث العلم، وأخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ {إن الله ليرفع الدرجة الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب إني لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك} ولفظ البيهقي {بدعاء ولدك لك} ذكره السيوطي في كتابه شرح الصدور.

وَصَاحِباً مُوافقاً

المراد بالصاحب الموافق الخل الوفي الذي يكون مع صاحبه لأمال مقسوم ولا سر مكتوم وقد رغب العلماء في اتخاذه كما أشار لذلك من قال:

صاحب ذوي الفضل تسعد من كرامتهم واخدمهـم صـادقا واصـدقهم خـبرا

كـم صـحبة طوقـت مـن يمـنها درا وصـحبة أورثـت مـن شـؤمها ضـررا

وشاهدي كلب أهل الكهف مع ضعة مـن أجـل صحبتهم في الوحي قد ذكرا

وروى عن النبي ﷺ أنه قال {عليكم بإخوان الصفاء فانهم زينة في الرخاء وعصمة في البلاء}. وروى أبن الزبير عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال {المرء كثير بأخيه ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى}. وقال عمر بن الخطاب ﷺ (لقاء الإخوان جلاء الأحزان) وقال خالد بن صفوان: إن أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم، وقال على كرم الله وجهه لابنه الحسن (يابني الغريب من ليس له حبيب) وقال بن المعتز: من اتخذ إخوانا كانوا له أعوانا، وقال بعض الأدباء: أفضل الذخائر أخ وفي، وقال بعض البلغاء: صديق مساعد عضد وساعد، وقال بعض الشعراء:

همــوم رجـــال في أمـــور كـــثيرة وهمــي مــن الدنــيا صــديق مســاعد

نكــون كــروح بــين جســمين قســمت فجســماهما جســمان والــروح واحــد

اهـ . ذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين وقال ﷺ {أكثروا من الإخوان فإن الله حي كريم يستحي أن يعذب عبده بين إخوانه}. وقال ﷺ {عليكم بإخوان الصدق فمنهم معونة على حوادث الزمان وشركاء في السراء والضراء}. وقيل لحكيم: ما أحسن العيش قال إقبال

الزمان وعشرة السلطان وكثرة الإخوان :

ما ضاع من كان له صاحب ... يقدر أن ترفع من شأنه
وإنما الدنيا بسكانها ... وإنما المرء بإخوانه

وسيدنا علي كرم الله وجهه في معناه:

عليك بإخوان الصفاء فإنهم ... عماد إذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيرا ألف خل وصاحب ... وإن عدوا واحداً لكثير

اهـ . قال الزمخشري في ربيع الأبرار: قال سقراط أنفع ما اقتناه الإنسان الصديق المخلص، قيل لفيلسوف: ما الصديق؟ فقال: اسم بلا مسمى، قال فضيل لسفيان: دلني على أخ أركن إليه؟ فقال: تلك ضالة لا توجد، قال أبو إسحق الشيرازي رحمه الله:

سألت الناس عن خل وفي ... فقالوا مالي هذا سبيل
تمسك إن ظفرت بذيل حر ... فإن الحر في الدنيا قليل

قيل: أبعد الناس سفرا من كان سفره في طلب أخ صالح، قال أبو الحسن رحمه الله .

تطلبت في الدنيا خليلا فلم أجد . ... وما أحد غيري لذلك واجد
فكم مضمر بغضا يريك محبة ... وفي الزند نار وهو في اللمس بارد

وقال بعض الصوفية: إذا صح الود سقطت شروط الأدب، وقال بعض العارفين:

إذا ما حبال الود تشتد بيننا ... فلا شك أن يطوى بساط التكلف

وقال سيدنا على كرم الله وجهه: شرط الألفة ترك الكلفة اهـ .

وَسِنًا طَوِيلاً فِي الخَيرِ مُشْتَغِلاً بِالْعِبَادَةِ الخَالِصَةِ

إنما طلب من الله تعالى السن الطويل في الخير المشتغل بالعبادة الخالصة لأن الأمم التي كانت قبلنا كانت أعمارهم طويلة ومن الإيمان خربة وصحائفهم من الحسنات خالية، وإلى ذلك أشار في الحكم العطائية: رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده، ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده، قال أحمد ابن أبي الحواري ﷺ: قلت لأبي سليمان الداراني ﷺ قد

غبطت بني إسرائيل، قال: بأي شئ؟ قلت: بثمانمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا وكالأوتار، قال: ما ظننت إلا وقد جئت بشئ لا والله ما يريد الله لنا أن تبئس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا إلا صدق النية فيما عنده هذا إذا صدق في عشرة أيام نال ما نال ذلك في عمره . قاله ابن عباد .

وَخُلُقاً حَسَناً

اعلم أن الخلق الحسن من أوصاف نبينا ومولانا رسول الله ﷺ وقال تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(القلم:٤) وقال ﷺ {إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق}. وقال ﷺ {أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق}. وسئل ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال {خلق حسن}. وقال ﷺ {ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار}. وقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ {يقول أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الإيمان قال اللّهم قوتي فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللّهم قوتي فقواه بالبخل وسوء الخلق}. وقال ﷺ {حسن الخلق خلق الله الأعظم}. وقيل: يا رسول الله أى المؤمنين أفضلهم إيمانا؟ قال {أحسنهم خلقا}. وكان من دعائه ﷺ في افتتاح الصلاة {اللّهم اهدني لأحسن الأخلاق ولا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت}. وقيل فيم التجمل؟ قال في لطف الكلام وإظهار البشر والابتسام فمن لقى الناس بالإحسان وعاملهم بالأخلاق الحسان فهو الذي يخف عليهم جانبه ويحمد إخاؤه، كما قال:

إذا حويت خصال الخير أجمعها ... فشلا وعاملت كل الناس بالحسن

لم تعدم الخير من ذي العرش تحرزه ... والشكر من خلقه في السر والعلن

وقال ﷺ {من لانت كلمته وجبت محبته وحسنت أحدوثته وظمئت القلوب إلى لقائه وتنافست في مودته}. وقال الحسن البصري: سعة الأخلاق منحة من الله فإذا أراد الله بعبد خيرا منحه خلقا حسنا، ويقال إن في التوراة: يا موسى ليكن وجهك بساما وكلامك لينا تكن أحب إلى الناس وإلى ممن يعطيهم الذهب والفضة ، وأما صدق قول القائل:

وما اكتسب المحامد طالبوها ... بمثل البشر والوجه الطليق

وقال ﷺ {ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا من وصل من قطعه، وعفا عمن ظلمه، وأعطى من حرمه} ونظمه من قال:

مكــــارم الأخــــلاق في ثلاثـــــة ... مــــن كملــت فــيه فــذاك الفــتى

إعطــاء مــــن يحـــرمه ووصـــل مــــن ... يقطعـــه والعفـــو عمـــن اعـــتدى

وقال الحسن بن مطير يفتخر:

أحـــب مكــارم الأخــــلاق جهـــد ... وأكـــره أن أعيـــب وأنــــا أعابــــا

وأصـــفح عـــن ســباب الــناس حــلما ... وشــر الــناس مــن يهــوي الســبابا

ومـــن هـــاب الـــرجال تهيـــبوه ... ومـــن حقــر الــرجال فلــن يهابــا

وقـال بعـض البلغاء: الحسن الخلق من نفسه في راحة والناس منه في سلامة والسيئي الخلق الناس منه في بلاء وهو من نفسه في عناء وقال بعض الشعراء:

إذا لم تتســـع أخــــلاق قــــوم ... تضــيق بهـــم فســيحات الـــبلاد

إذا مـــا المـــرء لم يخلـــق لبيـــبا ... فلـــيس اللـــب عـــن قـــدم الـــولاد

وقـد روى عن النبي ﷺ أنه قال {حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمـار} وقـال بعض الحكماء: إن سعة الأخلاق كنوز الأرزاق، ولذلك قال النبي ﷺ {أحبكم إلى وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون} .

وَعملاً صَالحا مُتقَبَّلاً

العمـل الصـالح هو ما اجتمعت فيه خصال أربعة العلم والنية والإخلاص والصبر وأشار لها شيخنا العلامة الشيخ سيدي الحاج محمد كنون بَلّ الله ثراه بوابل الرحمة بقوله:

وفســـــرن صـــــالح الأعمـــــال ... بجـــــامع لهـــــذه الخصـــــال

العـــــلم والنـــــية والإخـــــلاص ... والصـــبر لـــيس عـــنه مـــن مـــناص

أمـا العـلم فدلـيله قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾(الاسراء:٣٦) والإجماع: لا يحـل لامـرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، وأما النية: فدليلها قوله ﷺ {إنما الأعمال بالنيات ... ألخ} الحديث، وأما الإخلاص فدليله قوله تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ ﴾(البينة:٥) أما الصبر فدليله قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(الزمر:١٠) وقوله متقبلا صفة لعملا لأن العمل إذا كان صالحا ينشأ عنه القبول .

وَتَوْبَةً مَقْبُولَةً

التوبة المقبولة هي التي لا يعود صاحبها إلى الذنب الذي تاب منه، فإن كان يتوب ويعود فهي توبة الكذابين قال ﷺ {التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه}. لكن ينبغي للمؤمن كلما أذنب ذنبا أن يتوب منه لقوله ﷺ {إن الله يحب العبد كلما أذنب تاب} .

وَدَرَجَةً رَفِيعَةً

المراد بالدرجة الرفيعة جنة الفردوس والنظر إلى وجه الله العظيم لقوله ﷺ {إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنان} .

وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً طائِعةً

المرأة الطائعة هي التي إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله وقد قيل في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾(البقرة:٢٠١) . والمراد بها المرأة الصالحة أخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال {الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة}. قال في روح البيان وعن النبي ﷺ أنه قال {خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك}. وتلا ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ ﴾(النساء:٣٤) . قال: وعلامة الزوجة الصالحة عند أهل الحقيقة أن يكون حسنها مخافة الله وغناها القناعة وحليها العفة أي التكفف عن الشرور والمفاسد وعبادتها بعد الفرائض حسن الخدمة للزوج وهمتها الاستعداد للموت اهـ .

اللَّهمَّ لا تنسني ذكرك

طلب من الله تعالى أن يديم ذكره على لسانه ولا ينسيه أياه لقوله ﷺ في الحديث القدسي {أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني .... } الخ . وقد تقدم لفظه فقوله تنسى بضم التاء وكسر السين مشددة مضارع نسى بالتضعيف وذكرك مفعول به .

وَلا تُوَلِّني غَيْرَكَ

طلب من الله تعالى أن يتولاه في جميع أموره وأن لا يوليه غيره لأن تولي الله تعالى لعبده ناشئ عن كمال الإيمان به قال تعالى ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾(البقرة:٢٥٧) .

وَلاَ تُؤَمِّنِّي مَكْرَكَ

طلب من الله أن يؤمنه مكره امتثالا لقوله تعالى ﴿ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(الأعراف:٩٩) وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه (لا تأمن مكري وإن أمنتك) وقال القطب مولانا عبد القادر الجيلاني ﷺ: أخذت علي الله سبعين موثقا أن لا يمكر بي فقيل له وكيف أنت قال اتلوا قوله تعالى ﴿ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ واعلم أنه تجوز إضافة المكر إلى الله تعالى إلا على معنى الجزاء لأنه مفهوم عند الخلق فالمعنى لا تؤمني جزاؤك وعقابك من حيث لا أشعر به .

وَلاَ تَكْشِفْ عَنيِّ سَتْرَكَ

طلب من الله تعالى أن لا يكشف عنه ستره، والمراد بالستر هنا أن لا يفضحه يوم القيامة ويستره برحمته : فهو على حذف المضاف إليه أي ستر رحمتك شبهت الرحمة بالستر في كون منهما سببا لإخفاء عيوب المرحوم أو المستور عن الخلائق وأضيف المشبه به إلى المشبه على طريق لجين الماء وعلى هذا فالاستعارة في لفظ الستر، ويمكن أن يقال شبهت الرحمة بالستر وذكر المشبه به وأريد المشبه على طريق استعارة المصرح بها والمعنى على كلا التقديرين ولا تدفع عني رحمتك التي هي بمنزلة الستر لئلا أكون مفتضحا عند الخلائق إذ إختفاء عيوبي ليس إلا برحمتك وعفوك .

وَلاَ تُقَنِّطْني مِنْ رَحْمَتِكَ

أي لا تقطع رجائي فيك ولا تؤيسني من رحمتك قال تعالى ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾(الزمر:٥٣) .

وَلاَ تُبَعِّدْني مِنْ كَنَفِكَ وَجَوَارِكَ

أي لا تطردني من سترك ولا تحجبني عن جوارك أي أمنك مما أخافه، فقوله تبعدني بضم التاء وفتح الباء وكسر العين مشددة وقوله كنفك بفتح الكاف والنون أي سترك وقوله جوارك بكسر الجيم المراد به الخفير، يقال خفرت الرجل حميته وأجرته من طالبه فأنا خفير أي مجير .

وَأَعِذْني مِنْ سَخَطِكَ وَغَضَبِكَ

أي اعصمني من الوقوع في المعاصي التي توجب سخطك وغضبك، فقوله أعذني بكسر العين وسكون الذال المعجمة، وقوله سخطك بفتح السين المهملة والخاء المعجمة أي غضبك وعطف الغضب على السخط عطف تفسير .

وَلاَ تُؤَيِّسْني مِنْ رَحْمَتِكَ

أي أتمم علينا يا ربنا نعمة الإيمان ولا تسلبنا منها بالفضل منك والإحسان حتى لا نيأس من رحمتك وروحك أي روح قربك ووصلك قال تعالى ﴿ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ الله إلَّا القَوْمُ الكَافِرُونَ ﴾(يوسف:٨٧) فقوله روحك بفتح الراء وسكون الواو أي رحمتك ورزقك قاله في المختار.

وَكُنْ لِي أنِيساً مِنْ كلِّ رَوْعَةٍ

الروعة بفتح الراء وسكون الواو والمراد بها هنا البلاء المخوف، والمعنى كن لي أنيسا في كل بلية مخوفة بحيث لا أشعر بتلك البلية في لذة أنسك وشهودك فلا أخاف منها في تلك اللذة وهذا المقام هو أعلى المقامات للطالب في دفع البلايا، كما يشعر به كلام مولانا عبد القادر الجيلاني ﷺ فإنه ذكر هذا المقام وأخرج جميع المقامات في التعديد على سبيل الترقي حيث قال: لا تختر النعماء بلا رفع البلوى والعماء واصلة إليك إن أنت قسمك استجلبتها أم كرمتها والبلوى حالة بك إن كانت مقتفية عليك سواء كرهتها ودفعتها عنك بالدعاء أو تصيرت وتجلدت لرضى المولى بل سلم في الكل فيفعل الفعل فيك فإن كانت النعماء فاشتغل بالشكر وإن كانت البلوى فاشتغل بالصبر والصبر والموافقة والرضى والتنعم بها والعدم والفناء فيها على قدر ما يعطي عن الحالات اهـ .

وَخَوفٍ وَخَشْيَةٍ

الخـوف والخشـية بمعـنى واحد وترد خشى بمعنى علم وبمعنى كره فمن الأول قولَه:

ولقد خشيت بأن من تبع الَهد ي سكن الجنان مع النبي محمد

ومـن الـثاني قولـه تعـالى ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا ﴾(الكهف: ٨٠) الخ . وقد طلب من الله تعـالى أن يؤمنه مـن مخـوف ولا أخـوف للعـاقل مـن سـوء الخاتمـة خـتم الله لنا بالحسنى والخشية هي شدة الخوف قال تعالى ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾(الرعد: ٢١) .

وَوَحْشَةٍ وَغُرْبَةٍ

الوحشـة بـين الـناس هي الانقطاع وبعد القلوب عن المودات قالَه في المصباح، وقال في المخـتار الوحشـة الخلـوة والَهـم والغـربة بضـم الغين المعجمة وسكون الراء بوزن غرفة بمعنى الاغتراب وهو التباعد عن الأقارب والأحباء .

وَاعْصِمْنِي مِنَ كلِّ هَلَكَةٍ

أي واحفظـني يا رب من ما يهلك الإنسان ويتلفه، فقولَه هلكة بفتح الَهاء واللام على وزن قصبة بمعنى الَهلاك .

وَنَجِّني مِنْ كلِّ بَلِيَّةٍ وَآفَةٍ وَعَاهَةٍ وَغُصَّةٍ وَمِحْنَةٍ

البلية الامتحان والاختبار والآفة غرض يفسد ما يصيبه وهي العاملة، فهي عطف تفسير على مـا قـبلَه والغصـة بضـم الغـين وفـتح الصاد مشددا ما غص به الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه والمحـنة بكسر الميم وسكون الحاء وفتح النون واحدة المحن التي يمتحن بها الإنسان من بلية وشدة والمعـنى أن الذاكر طلب من الله تعالى أن ينجيه ويحفظه من هذه الأوصاف الذميمة ليكون على أكمل الحالات ويتفرغ لعبادة ربه في كل الأوقات ﷺ { إذا سألتم الله فاسألوه العافية } .

وَزَلْزَلَةٍ وَشِدَّةٍ

الزلـزلة بفـتح الـزائين بينهما لام ساكنة، قال في الخازن: الزلزلة شدة الحركة الحال

الهائلة ووصفها الله تعالى بالعظم ولا شئ أعظم مما عظمه الله تعالى، قيل: هي من أشراط الساعة قبل قيامها قيل تزلزل من شدة صوت إسرافيل ولا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء . اهـ منه في موضعين .

وفي الدر المنثور عن عمران بن حصين قال لما نزلت ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾(الحج:١) إلى قوله ﴿ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴾(الحج:٢) . نزلت عليه ﷺ هذه وهو في سفر فقال ﷺ {أتدرون أي يوم ذلك} قالوا: الله ورسوله أعلم قال {ذلك يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد في الجنة}. فأنشا المسلمون يبكون فقال رسول الله ﷺ {قاربوا وسددوا فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية فتؤخذ المدة من الجاهلية فإن تمت وإلا أكملت من المنافقين وما مثلكم إلا كمثل الرقمه في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا ثم قال إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا}. قال فلا أدري قال الثلثين أم لا اهـ . والمراد بالزلزلة هنا الشدة في العيش والشدة بكسر الشين المعجمة مشددا عطف تفسير عليه .

وَإِهَانَةٍ وَذِلَّةٍ

الإهانة بكسر الهمزة المذلة والاستهزاء والاستخفاف، والذلة بكسر الذال المعجمة ضد العز، قال العزيزي: هي أن يكون ذليلا بحيث يستخفه الناس وينظرون إليه بعين الاحتقار .

وَغَلَبَةٍ وَقِلَّةٍ

الغلبة بفتح الغين المعجمة واللام والباء الموحدة بمعنى القهر، والقلة بكسر القاف الفقر، والفاقة والاضطرار، وقال العزيزي: القلة بكسر القاف قلة المال بحيث لا يجد كفافا اهـ .

وَجُوعٍ وَعَطَشٍ

الجوع هو عدم الطعام حتى تشتغل حرارة في القلب والعطش عدم الشراب حتى تفرط الحرارة في البدن وكلاهما مؤد إلى الهلاك أعاذنا الله منهما، وقد استعاذ النبي ﷺ من الجوع ففي الحديث {اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فإنه بئس الضجيع}. ذكره السيوطي في الجامع الصغير .

قال العزيزي: استعاذ منه لأنه يمنع استراحة البدن ويحلل المواد المجمودة فلا بدل ويشوش الدماغ ويورث الوسواس ويضعف البدن عن القيام بوظائف العبادات ولهذا حض الناس على اتخاذ الأقوات ليكون مطمئنافي عبادته مخلصا لله فارغ القلب مما يشوشه، ولأبي علي بن رحال رحمه الله:

إيـاك والـتفريط في الأقـوات	فهـو عـلاج الـروح والحـياة
وكـل هـم دونـه قـد يسـهل	وكـيف لا والوجـع داء يقـتل
مـع فتـنة ومحـنة قـد عظمـت	في ظاهـر وبـاطن كمـا ثبـت
لا سـيما في غربـنا وشـبهه	فـافهم بـلا تعنـت وانتـبه
فـالقوت روح الجسـم والحـياة	وفقـده طـبعا هـو الممـات

وقال بعضهم: المراد به الجوع الصادق وله علامات منها أن تطلب النفس الأدم بل تأكل الخبز وحده بشهوة أي خبز كان فمهما طلب خبزا بعينه وطلب أدما فليس ذلك بجوع أي صادق وقيل علامة الجوع أن يبصق فلا يقع الذباب عليه لأنه لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة اهـ.

وَفَقْرٍ وَفَاقَهِ

اعلم أن الفقر مصيبة عظيمة وقد استعاذ رسول الله ﷺ منه ففي الحديث: {اللهم إني أعوذ من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار ومن شر فتنة الغنى وأعوذ بك من فتنة الفقر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال}. ذكره السيوطي في الجامع الصغير، وفي الأحياء قال رسول الله ﷺ {نعم المال الصالح للرجل الصالح}. قال شارحه الشيخ مرتضي: قال العراقي: رواه أحمد والطبراني في الكبير الأوسط من حديث عمر بن العاص بسند صحيح بلفظ نعما وقال للمرء اهـ. وقد مدح الشعراء كثيراً الدراهم والدنانير فما أنشده بعضهم في مدح الدراهم:

أرسـلت في حـاجتي رسـولا	يكـنى أبـا درهـم فتمـت
ووجـه أبـيض نقـي	لـه رقـاب الأنـام ذلـت
لـو لم يكـن درهـم رسـولي	لم تـبلغ الـنفس مـا تمنـت

وقال ابن فارس اللغوي:

إن كنـــت في حاجـــة مرســـلا أنـــت بهـــا كلـــف مغـــرم
فأرســـل حكـــيما ولا توصـــه وذاك الحكـــيم هـــو الدرهـــم

وقال البستي رحمه الله:

الــناس أعــوان مــن والــته دولــته وهــم علــيه إذا عادتــه أعــوان
ســبحان مــن غــير مــال بــأقل حصــر وبــأقل في شــراء المــال ســبحان

وقال آخر:

إن الدراهـــــم لـــــنا مـــــن كـــــل داء شـــــافية
تقضـــي الحوائـــج لمـــن حملَهـــا بالخاصـــية

وقال الغنى سني كبير والفقير دني ويقال قيمة كل امرئ ما معه:

ولا تساوي درهما واحدا من لم يكن في كفه درهم

سمع قيس بن عبادة يقول في دعائه: اللّهم ارزقني حمدا ومجدا فإنه لا حمد إلا بفعال ولا مجد إلا بمال اللّهم إنه لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه، وأشار بهذا إلى قول الشاعر:

ولا مجد في الدنيا لمن قل مالَه ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وقال آخر:

يعير الغنى ثوب المكارم للفتى وإن كان من ثوب المكارم عاريا

ومر موسر بالشعبي فتزحزح لَه فقيل لَه في ذلك فقال رأيت ذا المال مهيبا، وقال الشاعر:

إنــي وجــدت الغــنى زيــنا لصــاحبه في أهلَــه وفقــير القــوم محقــور
إن المقلـــين لا تنســـى ذنوبهـــم وذنــب ذي المــال عــند الــنار مغفــور

وكـان العـباس ﷺ يقـول: الـناس لصـاحب المـال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعـذب مـن المـاء وأرفـع مـن السـماء فهـو أحـلى مـن الشهد وأزكى من الورد، خطؤه صواب وسـيئاته حسنات، وقولَه مقبول، يرفع مجلسه، ولا يمل حديثه، والمفلس عند الناس أكذب

من لمعان السراب وأثقل من الرصاص لا يسلم عليه إن قدم ولا يسأل عنه إن غاب وإن حضر ازدروه وإن غاب شتموه وإن غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة .

وقال بعضهم: طلبت الرحمة لنفسي فلم أجد لها أروح من ترك ما لا يعنيها وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أقر من قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الأقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت إلى كل ما يذل القوي ويكسره فلم أر شيئا أذل ولا أكثر من الفاقة، قال الشاعر:

وكل مقل حين يغدو لحاجة ... إلى كل يلقي من الناس مذنب

وكانت بنو عمي يقولون مرحبا ... فلما رأوني معدمات مرحب

وقال آخر:

المال يرفع سقفا لا عماد له ... والفقر يهدم بيت العز والشرف

وقال آخر:

جروح الليالي ما لهن طبيب ... وعيش الفتى بالفقر ليس بطيب

وحسبك أن المرء في حالة فقره ... تحمقه الأقوام وهو لبيب

ومن يغترر بالحادثات وصرفها ... يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب

وما ضرني أن قال أخطأت جاهل ... إذا قال كل الناس أنت مصيب

وقال آخر:

لعمرك إن المال قد يجعل الفتى ... سنيا وإن الفقر بالمرء قد تزري

وما رفع النفس الدنية كالغنى ... ولا رضع النفس النفيسة كالفقر

وقال ابن الأحنف رحمه الله :

يمشي الفقير وكل شئ ضده ... والناس تغلق دونه أبوابها

وتراه مبغوضا وليس بمذنب ... ويرى العداوة لا يرى أسبابها

حتى الكلاب إذا رأت ذا ثروة ... خضعت لديه وحركت أذنابها

وإذا رأت يومـــا فقـــيرا عابـــرا نبحـــت علـــيه وكشـــرت أنـــيابها

وقال آخر:

فقـــر الفـــتى يذهـــب أنـــواره مـــثل اصـــفرار الشـــمس عـــند المغيـــب

واللّـــه مـــا الإنســـان في قومـــه إذا بـــلى بالفقـــر إلا غريـــب

ومما ينسب لسعد الدين التفتازاني رحمه الله:

جمعـت فـنون العـلم أبغـي بهـا العـلى ويمـــنعني ممـــا أحاولَـــه القـــل

تـــبين لـــي أن العلـــوم بأســـرعها فـــروع وإن المـــال حقـــا هـــو الأصـــل

وقـيل ، لم يـر ذو الحاجـة في حاجـة أقضـــى مـــن الدراهـــم في كفـــه

وقـيل ، عـلى الحاجـة أقفـال ثقـال مفاتحهـــا الهدايـــا في الظـــلام

قيل الدرهم حاكم صامت وعدل ساكت وخاتم من الله نافذ، ولَهذا سمى الدينار دينارا ولَهـذا عظم وعيد من احتبسه وكنزه فإنه كمن احتبس حاكما للناس تمشي به أمور معاشهم، وقال بعضهم: أمور الدنيا تدور على ثلاث مدورات الدينار والدرهم والرغيف:

وقـيل ، مـا رسـل أسـرع في الـنجاح مـــن أبـــيض مـــدور الصـــفاح

وقـيل : نعـم المعـين على المروءة للفتى مـــال يصـــون عـــن التـــبذل نفســـه

لا شـــئ أنفـــع الفـــتى مـــن مالَـــه يقضـــي حوائجـــه ويجلـــب أنســـه

وإذا رمـــته يـــد الـــزمان بســـهمه غـــدت الدراهـــم دون ذلـــك ترســـه

ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار وقال آخر:

مـــا الـــناس إلا مـــع الدنـــيا وصـاحبها فكـــلما انقلبـــت يومـــا بـــه انقلـــبوا

يعظمـــون أخـــا الدنـــيا فـــإن وثبـــت يومـــا علـــيه بمـــا لا يشـــتهي وثـــبوا

وقال بعض الفرس: من زعم أنه لا يحب المال فهو عندي كذاب، وقال الزمخشري:

وإذا رأيـــت صـــعوبة في مطلـــب فـــأحمل صـــعوبته عـــلى الديـــنار

وابعـــثه فـــيما تشـــتهيه فإنـــه حجـــر يلـــين قســـوة الأحجـــور

وما ألطف قول القائل:

مـــن كـــان يملـــك درهمـــين تعلمـــت ... شـــفتاه أنـــواع الكـــلام مقـــالا
وتقـــدم الإخـــوان فاســـتمعوا لَـــه ... ورأيـــته بـــين الـــورى محـــتالا
لـــولا دراهمـــه الـــتي في كيســـه ... لرأيـــته أســـواء الـــبرية حـــالا
إن الغـــنى إذا تكـــلم بالخطـــأ ... قـــالوا صـــدقت ومـــا نطقـــت محـــالا
وإذا الفقـــير أصـــاب قـــالوا كلّهـــم ... أخطـــأت يـــا هـــذا وقلـــت ضـــلالا
إن الدراهـــم في المواطـــن كلّهـــا ... تكســـوا الـــرجال مهابـــة وجـــلالا
وهـــي الكـــلام لمـــن أراد فصـــاحة ... وهـــي الســـيوف لمـــن أراد قـــتالا

ومثل هذا قول القائل:

أرى ذا الغنى في الناس يسعون حولَه ... وإن قـــال قـــولا تـــابعوه وصـــدقوا
فـــذاك دأب الـــناس مـــا دام ذا غـــنى ... فـــإن زال عـــنه المـــال يومـــا تفـــرقوا
وقولَـــه والمـــرء يحقـــر إن قلـــت دراهمـــه ... ولـــيس يـــنفعه إن كـــان ذا حســـب

وعـــن الـــنبي ﷺ {لا خـــير فـــيمن لا يحـــب المـــال ليصـــل بـــه رحمـــه ويـــؤدي بـــه أمانته ويستغني به عن خلق ربه}. وللإمام الشافعي رضي الله عنه:

لقـــد طفـــت في شـــرق الـــبلاد وغـــربها ... وجربـــت هـــذا الدهـــر باليســـر والعســـر
فـــلم أر بعـــد الديـــن خـــيرا مـــن الغـــنى ... ولم أر بعـــد الكفـــر شـــر مـــن الفقـــر

وقال بعضهم:

لابد للمرء من مال يعيش به ... وداخل القبر محتاج إلى الكفن

وقـــال ســـفيان الـــثوري: المـــال في هـــذا الـــزمان عـــز للمؤمن، وقال: المال سلاح المؤمن في هذا الـــزمان، وقـــال: لأن أخلـــف عشرة آلاف يحاسبني الله عليها أحب إلى من أن أحتاج إلى الناس، وكانت لَه بضاعة يقلبها ويقول: لولا هذه لتمندل بي بنو العباس قيل هي ألف دينار وقيل:

حياة بلا مال حياة ذميمة ... وعلم بلا مال كلام مضيع

وقال آخر في معنى الدنيا والدراهم:

السنار آخر دينار نطقت والهم آخر هذا الدرهم هم الجاري
والمرء بينهما ما لم يكن ورعا معذب القلب بين الهم والنار

وقوله: وفاقة هي بمعنى الفقر والحاجة وافتاق الرجل افتقر فهي عطف تفسير على ما قبلها.

وضيقٍ وفتنةٍ

الضيق بفتح الضاد وسكون الياء ذهاب المال وشدة العيش، والفتنة بكسر الفاء وسكون المثناة فوق المحنة والابتلاء.

ووباءٍ وبلاءٍ

الوباء بالهمزة مرض عام يمد ويقصر، والبلاء بفتح الباء ممدودا الامتحان بالشر وقد كان ﷺ يستعيذ من الوباء كما كان يستعيذ من الطاعون.

وغرقٍ وحرقٍ

الغرق بفتح الغين والراء مصدر غرق من باب تعب، قال في المصباح: حكى في البارع عن الخليل: الغرق الراسب في الماء من غير موت فإن مات غرقا فهو غريق مثل كريم اهـ.

وقال العلقمي: الغرق بفتح الراء مصدر، وهو الذي غلبه الماء وقوى عليه فأشرف على الهلاك ولم يغرق فإذا غرق فهو غريق، والحريق بفتح الحاء والراء المهملتين أي الالتهاب بالنار. قال العزيزي: وإنما استعاذ يعني النبي ﷺ من الهلاك بهذه الأسباب مع ما فيه من نيل الشهادة لأنها مجهدة مقلقة لا يكاد الإنسان يصبر عليها ويثبت عندها فربما استزله الشيطان فحمله على ما يخيل بدينه اهـ.

وبرقٍ وسرقٍ

البرق بفتح الباء وسكون الراء معروف وهو لمعان يظهر من خلال السحاب، والسرق بفتح السين والراء مصدر سرق المتاع، وقد طلب الذاكر النجاة من البرق وذلك لأن الله تعالى خوف به عباده فقال ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾(الرعد:١٢) وأخرج الترمذي عن

ابن عباس ﷺ قال أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال {ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار بسوقه بها حيث يشاء الله} قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع قال {زجره السحاب حتى تنتهي حيث أمرت} قالوا: صدقت وقد جاء تفسيره في حديث آخر {وهو سوط من نور تزجر الملائكة به السحاب} .

فائدة: قال ابن عباس: من سمع صوت الرعد فقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شئ قدير فإن أصابه صاعقة فعلى دينه اهـ. وقد طلب النجاة من السرق بفتحتين وهو نهب متاعه لأن الإنسان إذا سرق متاعه اشتغل بطلبه عن ذكر الله تعالى .

وَحَرٍّ وَبَرْدٍ وَنَهْبٍ وَغَيٍّ

طلب الذاكر النجاة من الحر والبرد يعني المفرطين، لأنهما من فتح جهنم ففي الحديث {اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضا} فأذن لها بنفسين نفس في الصيف ونفس في الشتاء فأشد ما تجدونه في الصيف من شدة حرها واشد ما تجدونه في الشتاء من شدة زمهريرها، أو كما قال: والنهب بفتح النون وسكون الهاء مصدر نهب من باب نفع وهو أخذ المتاع بسرعة والغي بفتح الغين وتشديد الياء ضد الرشد وهو طريق أهل الفسق والعصيان والرشد طريق أهل السلام والإيمان جعلنا الله منهم آمين.

وَضَلَالٍ وَضَالَّةٍ وَهَامَّةٍ وَزَلَلٍ

الضلال ضد الرشاد، والضالة ما ضل من الإنسان من بهيمة وغيرها للذكر والأنثى، والهامة بتشديد الميم مفتوحة واحدة الهوام ولا يقع هذا الاسم إلا على المخوف من الأحناش، وقال في المصباح: والهامة ما له سم يقتل كالحية، قاله الأزهري، والجمع الهوام مثل دابة ودواب. وقد تطلق الهوام على ما لا يقتل كالحشرات ومنه حديث كعب بن عجرة وقد قال له ﷺ {أيوذيك هوام رأسك} والمراد القمل على الاستعارة بحامع الأذى اهـ، والزلل بفتح الزاي واللام الخطأ في الفعل والقول، ويقول: زل في منطقة أو فعله يزل من باب ضرب زلة أخطأ، قاله في المصباح .

وَخَطَايَا وَهَمٍّ وَغَمٍّ

الخطايا جمع خطيئة وهي السيئة ضد الحسنة، والهم بفتح الهاء وتشديد الميم الحزن

من شدة المصيبة، والغم بفتح الغين المعجمة وتشديد الميم أصله الستر، وإنما سمى الحزن غما لأنه يغطي السرور.

وَمَسْخٍ وَخَسَفٍ وَقَذْفٍ

المسخ بفتح الميم وسكون السين المهملة تحول الصورة التي كان عليها إلى غيرها، وقد رفعه الله عن هذه الأمة المحمدية لكن رفع عنها مسخ الأجساد وبقى مسخ القلوب قال تعالى ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾(الحج:٤٦).

قال العلقمي: أخرج الزبير بن بكار في الموقوفات: والدليل في مسند الفردوس عن على ﷺ أن النبي ﷺ سئل عن المسوخ فقال {هم ثلاثة عشر الفيل والدب والخنزير والقرد والليث والضب والوطواط والعقرب والدعموص والعنكبوت والأرنب وسهيل والزهرة} فقيل: يا رسول الله ما سبب مسخهن؟ فقال {أما الفيل فكان رجلا جبار الوطه لا يدع رطبا ولا يابسا، وأما الدب فكان مؤنثا يدعو الرجال إلى نفسه، وأما الخنزير فكان من النصارى الذين سألوا المائدة فلما نزلت كفروا، وأما القرد فيهود اعتدوا في السبت، وأما الليث فكان ديوثا يدعو الرجال إلى حليلته، وأما الضب فكان إعرابيا يسرق الحاج بمحجنه، وأما الوطواط فكان رجلا يسرق الثمار من رءوس النخل، وأما العقرب فكان لا يسلم أحد من لسانه: وأما الدعموص فكان نماماً يفرق بين الأحبة، وأما العنكبوت فامرأة سحرت زوجها، وأما الأرنب فكانت امرأة لا تطهر من الحيض، وأما سهيل فكان عشاراً باليمن، وأما الزهرة فكانت بنتا لبني اسرائيل افتتن بها هاروت} اهـ ذكره العزيزي على الجامع الصغير عند حديث العنكبوت شيطان مسخه الله تعالى.

فائدة: نظم الشيخ محمد بن يوسف الشيرازي المعروف بالحكيم الماسيخ المذكورين في هذا الحديث مع زيادات أخر فقال:

ياسائلى عن نبأ المسوخ	من قول ذي البيان والرسوخ
أنيبك من أحوالها فاستمع	ومنتهي أعدادها تنتفع
قد مسخ الله من ابن آدم	عشرين صنفا ركبوا المآثما
الكلب والعقرب والخنزير	والدب والقنفذ والزنبور

والفـــيل والســـهيل والقمـــري والليـــث والخفـــاش الـــبري
والزهـــرة الزهـــراء ثـــم العقـــيق والعنكـــبوت الفاخـــت المطـــوق
والقـــرد والضـــب مـــع ابـــن عـــرس وفـــارة مـــع ابـــن آوى الـــنحس
رمـــاهم الحـــرمان بـــالخذلان لمـــا جـــروا في طاعـــة الشـــيطان
فالفـــيل كـــان عاصـــيا لـــربه بأكلـــه الـــرباء ثـــم حـــبه
ثـــم ســـهيل كـــان عشـــار الـــيمن تـــراه في أفـــق الســـماء كـــالوثن
والليـــث كـــان واعظـــا شـــريرا والقـــرد قـــوم خـــالفوا الـــزبورا
ومـــؤذي الجـــار تـــرى الزنـــبورا وابـــن عـــريس نـــبش القـــبورا
ان ابـــن آوى قـــد عـــدا في الـــنفخ وكـــان قصـــابا رمـــى بالمســـخ
وفي الخفافـــيش أخـــي فاعتـــبر كـــن نســـاء لم تـــوار في الـــنظر
والضـــب كـــان يقـــتل الحجاجـــا والـــدب كـــان يفســـد الفجاجـــا
والعنكـــبوت عصـــت الأزواجـــا وخالفـــت ســـادتها لجاجـــا
وفي الخـــنازير أعتـــبر فإنهـــا خالفـــت المســـيح مـــا كـــان نهـــى
وكانـــت الفـــأرة قدمـــا نائحـــة تفســـد بالـــنوح القلـــوب الصـــالحة
يـــا أيهـــا الإنســـان لا تحـــتكر وانظـــر إلى القمـــر كـــيف يصـــفر
والكلـــب كـــان مفســـدا للـــبين والفاخـــت الخـــائن أي للديـــن
وكـــان فـــيما قـــد حكـــى حـــناطا ولم يكـــن في ديـــنه محـــتاطا
وعقعـــق في ديـــنه كـــابن الأشـــر ويدخـــل الحمـــام مـــن غـــير أزر
والعقـــرب الـــنمامة الخبيـــثة والقـــنفذ الدلالـــة الخثيـــثة
والزهـــرة الزهـــراء بالجمـــال الحســـن وهـــي فتـــنة الـــرجال
فخادعـــت في ديـــنه هاروتـــا واســـتمرت في عديـــة ماروتـــا

وَخَلَةٍ وَعِلَةٍ

الخلة بفتح المعجمة وفتح اللام المشددة الفقر والحاجة والعلة بكسر العين وتشديد اللام أيضا المرض الشاغل الذي لا يفارق الإنسان .

وَمَرَضٍ وَجُنُون وَجِذَامٍ وَبَرَص

المرض بفتح الميم والراء حالةخارجة عن الطبع ضارة بالفعل، ويعلم من هذا أن الآلام والأورام أعراض عن المرض، وقال ابن فارس: المرض كل ما خرج به الإنسان عن حد الصحة من علة أو نفاق أو تقصير في شئ قاله في المصباح، والجنون بضم الجيم زوال العقل والجذام بضم الجيم وفتح الذال المعجمة تسقط الشعر وتفتت اللحم وتجري الصديد منه، والبرص بفتح موحدة والراء علة تحدث في الجسد بياضا ردينا، وقد استعاذ رسول الله ﷺ من هذه الثلاثة. ذكر السيوطي في الجامع الصغير حديثا أخرجه الإمام أحمد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال {اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سئ الأسقام} قال العزيزي وإنما استعاذ منها ﷺ إظهارا للإفتقار وتعليما لأمته ونص على هذه الثلاثة مع دخولها في الأسقام لكونها أبغض شئ للعرب .

وَنَقْصٍ وَهَلَكَةٍ

النقص بفتح النون وسكون القاف مصدر نقص من باب نصر بمعنى ذهب منه شئ بعد تمامه، والهلكة بفتح الهاء واللام والكاف بوزن قصبة بمعنى الهلاك .

وَفَضِيحَةٍ وَقَبِيحَةٍ في الدَّارَين

الفضيحة العيب وكشف المساوي والعيوب بين الخلائق والقبيحة ضد الجميلة والفضيلة وهي ما يقبح ذكره بين الناس، وقوله في الدارين المراد بهما دار الدنيا ودار الآخرة اللهم استرنا فيهما بسترك الجميل.

إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيعَادَ

يعني أنك أمرتنا بالدعاء ووعدتنا بالإجابة وقد دعوناك معتقدين إنك لا تخلف أي لا تنقض الميعاد أي الوعد الذي وعدت الداعي بإجابته قال تعالى ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(البقرة:١٨٦) .

اللهُمَّ ارفَعني ولاَ تَضَعْني

طلب من الله تعالى أن يرفعه ولا يضعه والمراد بالرفعة علو المنزلة في الآخرة يعني في الجنة قال تعالى ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾(الأعلى:١٧) وقال ﷺ {لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف يعني اللبن المشوي لاختار العاقل ما يبقى على ما يفنى} كيف والأمر بالعكس. وقوله: تضعني بفتح التاء والضاد مضارع وضع بالفتح بمعنى خفض .

وادْفَعْ عنيِّ ولاَ تَدْفَعْني

أي ادفع عني ما قضيت به الشر ولا تدفعني عن الصلاح والخير، ومعناه ادفع عن فراقك ولا تدفعني عن وصالك وشهودك .

وَاعطِني ولاَ تحْرِمْني

طلب من الله تعالى أن يعطيه كل خير طلبه منه وأن لا يحرمه مرغوبه ويخيبه مأموله . فقوله: تحرمني بفتح التاء وكسر الراء مضارع حرمه الشئ إذا منعه إياه .

وَزِدْني ولاَ تَنقُصْني

أي زدني من الخيرات وتضاعف الحسنات، ولا تنقصني أي لا تذهب عني شيئا بعد أن منحتنيه، فقوله: تنقصني بفتح التاء وسكون النون وضم القاف وسكون الصاد مضارع نقص بمعنى ذهب وزال .

وَارْحمْني ولاَ تُعذبْني

طلب من الله تعالى أن يرحمه يوم القيامة ولا يعذبه وهذا هو المقصود الأهم والمطلب الأعظم رزقنا الله رحمته ووقانا بفضله وكرمه عذابه وعقابه آمين .

وَفرِّجْ هَمِّي وَاكْشِفْ غَمِّي

طلب من الله تعالى أن يفرج همه ويكشف غمه، وقد ورد في انتظار الفرج ثواب عظيم وفضل جسيم، أخرج ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ {انتظار الفرج

من الله عبادة}. وأخرج ابن أبي الدنيا عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال لعبد الله بن عباس {واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا}. وروى ابن باكوية الشيرازي في كتاب حكايات الصالحين عن جعفر بن محمد قال: كنت عند الجنيد فجاء رجل يشكو البلاء، فقال له الجنيد: وجدت حجرا في بعض المواضع مكتوبا عليه:

هون عليك فإن الأمر منقطع ... وخل عنك عنان الهم يندفع

فكل هم له من بعده فرج ... وكل أمر إذا ما ضاق يتسع

أن البلاء وإن طال الزمان به ... فالموت يقطعه أو سوف ينقطع

اهـ. انظر كتاب الأرج للإمام السيوطي رحمه الله تعالى. وقال ﷺ {عند تناهي الشدة تكون الفرجة وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء} :

إذا تضايق أمر فانتظر فرجا ... فأضيق الأمر أدناه إلى الفرج

وَاهلِكَ عَدُوِّي ولاَ تَخذُلني

طلب من الله تعالى أن يهلك عدوه وأن ينصره على جميع أعدائه وأن لا يخذله، يقال: خذلته إذا تركت نصرته وإعانته وتأخرت عنه، فقوله وأهلك عدوي بقطع الهمزة وكسر اللام، وقوله تخذلني بفتح التاء وسكون الخاء وضم الذال المعجمة وجزم اللام مضارع خذل من باب قتل.

وَأَكْرِمْني وَلاَ تُهنِيِّ

طلب من الله تعالى أن يكرمه بإجلاله وأن يسبل عليه رداء ستره وأن يعزه ولا يهينه بين خلقه بأن يكون عندهم مكرما عزيزا غير ذليل ولا مهان بفضل الله الكريم المنان.

وَاستُرْني وَلاَ تَفْضِحْني

طلب من الله تعالى أن يستره في الدنيا عن أعين أعدائه وأن لا يفضحه في الآخرة بين خلقه، اللهم استرنا بسترك الجميل ولا تفضحنا بين عبادك يوم الفزع الأكبر يا أرحم الراحمين.

وَآثِرني وَلاَ تُؤثِر عَلَيَّ

آثرني بمد الهمزة أي اخترني بعنايتك وإكرامك، ولا تؤثر بكسر المثلثة أي لا تختر

على غيري فتعزه وتذلني، يعني لا تغلب على أعدائي بحيث أكون عندهم ذليلا مهانا .

وَاحْفَظْنِي وَلاَ تُضَيِّعْنِي فإِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

أي احفظني من جميع الأعداء ومن جميع البلاء والأدواء، وقوله: ولا تضيعني بضم المثناة وفتح الضاد وكسر الياؤ مشددة وسكون العين أي لا تهلكني فإنك أقدر على جميع ما طلبت منك وإني معتقد أنه لا نافع ولا ضار إلا أنت .

يا أَقْدَرَ القَادِرِينَ وَيا أَسْرَعَ الحَاسِبِينَ

لما دعا الله تبارك وتعالى بأنواع الدعوات وتوسل إليه بأعظم التوسلات ناداه بقوله: يا أقدر القادرين يعني الذي لا يعجزه شئ ولا ينقص عطاؤه من ملكه شيئا، ثم دعاه أيضا بقوله: ويا أسرع الحاسبين أي الذي يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا، كما ورد الحديث بذلك لأنه لا يحتاج إلى فكرة وروية وعقديد فيحاسب خلقه بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض، قال الخطيب الشربيني رحمه الله: وفي حديث آخر أنه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة، ذكره الشيخ سليمان الجمل في حاشيته على الجلالين .

وَصَلىٰ اللهُ عَلى سَيِّدنا مُحَمدٍ وآلِهِ وَسلَّمْ أَجْمَعينَ

أتي بالصلاة على مولانا رسول الله ﷺ لأنه الواسطة العظمى فلا يصل لأحد خير إلا على يده ﷺ وشكر الوسائط واجب ولقوله ﷺ {الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شئ حتى يصلي على النبي ﷺ} رواه سيدنا عمر ﷺ . وفي دلائل الخيرات وروى عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنه قال: ما من مجلس يصلي فيه على سيدنا محمد ﷺ إلا فاحت منه رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة هذا مجلس صلى فيه على محمد ﷺ اهـ . ورحم الله من قال:

إن الصلاة على المختار إن ذكرت	في مجلس فاح منه الطيب إذ نفحا
فاسكر القوم رياه فنعرفه الأ	ملاك لما تبدى النور واتضحا
والقوم في حضرة بالذكر طيبة	هذا ومحبوبهم في القلب ما برحا
محمد أحمد المختار من مضر	أزكى الخلائق جمعا أفصح الفصحا

صلى عليه إله العرش ثم على آله والصحب نعم السادة النصحا

يَا ذا الجلال والإكرام

لما دعا الله تبارك وتعالى بما تقدم ناداه بقوله: يا ذا الجلال والإكرام وهو الذي لا شرف ولا جلال ولا كمال إلا وهو له، ولا كرامة ولا تكرمة إلا وهي صادرة منه، فالجلال له في ذاته والكرامة فائضة منه على خلقه، وذو الجلال إشارة إلى صفات الكمال، والإكرام إشارة إلى صفات التنزيه، قاله الشبراوي في شرحه على أسماء الله الحسنى:

اللَّهمَّ أنْتَ أمَرْتَنَا بِدُعَائِكَ وَوَعَدْتَنَا بِإجَابَتِكَ وَقَدْ دَعَوْنَاكَ كما أمَرْتَنَا فأجِبْنَا كما وَعَدْتَنَا يَاذَا الجَلَالِ والإكْرَامِ إنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعادِ

اعترف الذاكر أن الله تبارك وتعالى أمره بالدعاء ووعده بالإجابة بقوله تعالى ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(غافر:٦٠). وقد رغب النبي ﷺ في الدعاء، أخرج الحاكم عن ابن عمر أن النبي ﷺ {قال الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء}. قال العزيزي: أي ألزموه واجتهدوا فيه، فقوله وقد دعوناك أي وفينا بما طلبت منا وأمرتنا به ورجاؤنا فيه واعتمادنا على فضلك وإحسانك أن تجيبنا كما وعدتنا لأنك جليل كريم وعدتنا إنجاز وعدك وتمام نعمتك فمن علينا بذلك .

اللَّهمَّ مَا قَدَّرْتَ لِي مِنْ خَيرٍ وَشَرَعْتُ فيه بِتَوْفِيقِكَ وَتَيْسيرِكَ فَتَمِّمه لِي بأحْسَنِ الوُجُوهِ كلِّهَا وَأصْوَبِهَا وَأصْفَاهَا

طلب من الله تبارك وتعالى أن يتم له خير قدرة له وشرع فيه بتوفيق الله وتيسيره لقوله ﷺ {أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل}. أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، قال العزيزي: أي أكثرها ثوابا أكثرها تتابعا ومواظبة والقليل الدائم خير من الكثير المنقطع لأن تارك العمل بعد الشروع فيه كالمرض بعد الوصل. قال المناوي: والمراد المواظبة العرفية وإلا فحقيقة شمول جميع الأزمنة وهو غير مقدور عليه اهـ .

بزيادة للإيضاح: فقوله أحسن الوجوه أي أرفعها وقوله أصوبها، أي موافقتها للصواب، وأصفاها أي أخلصها من شوائب الأكدار وردها بالخيبة والوبار .

فَإِنَّكَ على كلِّ شَيْءٍ قَديرٌ وَبالإجَابَةِ جَديرٌ

أي فإني معترف ومقر بأنك قدير على ما تشاء فلك القدرة الكاملة التي لا يعجزها شئ وحقيق بالإجابة لمن دعاك ومد بالنوال والخير لمن سألك .

نِعْمَ المَوْلى وَنِعْمَ النَّصيرُ

يعني أن الله ﷻ هو نعم المولى فمن كان في حفظه ونصره وكفايته وكلاءته فهو له نعم المولى: أي لا يضيع من تولاه، ونعم النصير أي لا يغلب من نصره .

وَمَا قَدَّرْتَ لِي مِنْ شَيْءٍ وَتحَذِّرْني مِنْهُ فأصْرِفْهُ عَنيِّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ

طلب من الله تبارك وتعالى أن يصرف عنه ما قدر له من الشر ويحذره منه لأن الله تعالى قدر الخير وطلب من العبد فعله، وقدر الشر وطلب منه تركه، واجتنابه بقضاء الله وقدره، ثم ناداه باسمه يا حي يا قيوم، لأنه قيل فيه إنه اسم الله العظيم الأعظم، الذي إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى، ومعنى الحي، هو الذي لا يموت، فهو الباقي أزلا وأبدا. ومعنى القيوم القائم بنفسه المقيم لغيره وقيل مبالغة في كلامه بتدبير خلقه وحصول الاستغناء به عن كل ما سواه القائم على كل نفس بما كسبت .

يَا مَنْ قَامَتِ السَّمواتِ وَالأرْضُونَ بِأمْرِهِ

اجمع المفسرون على أن السموات سبع وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك ولكن اختلف في الأرضين، فقال بعضهم: الأرضين أيضا سبع، وبين كل أرض وأرض مسيرة خمسمائة عام، مثل السموات متمسكا بقوله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾(الطلاق:١٢) وقال بعضهم: إن الأرض واحدة إلا أن الأقاليم سبعة، وعلى كلا القولين يكون قوله والأرضون بصيغة الجمع صحيحا، أما على القول الأول فظاهر، وأما على الثاني فباعتبار كون الأقاليم سبعة أي كل إقليم بمنزلة أرض واحدة اهـ قاله الشناوي رحمه الله، قامت أي بسطت بلا عمد، وقوله بأمره أي إقامته وتدبيره وحكمته .

يَا مَنْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ

نادى الله تبارك وتعالى بقوله: يا من يمسك السماء أي لكيلا تسقط على الأرض أي يحفظها من أن تقع على الأرض إلا بإذنه أي إلا بأمره أو بمشيئته .

يَا مَنْ أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهم كُنْ فَيَكُونُ

أمره مبتدأ بمعنى الشأن وأن يقول له خبر بمعنى أن يكون فيكون بالنصب عطف على يقول، وأما بالرفع فلأنها جملة من مبتدأ وخبر لأن تقديرها فهو يكون معطوف على مثلها وهي أمره أن يقول له كن، والحاصل أن المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن عبر عن إيجاد بقوله كن من غير أن كان منه كاف ونون وإنما هو بيان لسرعة الإيجاد. وكأنما يقول كما لا يثقل قول كن عليكم فكذلك لا يثقل على الله تعالى إبداء الخلق وإعادتهم اهـ . قاله النسفي .

وقال الشيخ سليمان الجمل: ومعنى يقول كن يكونه فهو تمثيل لتأثير قدرته تعالى في مراده المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار إلى أولية عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وقياس قدرة الله على قدرة الخلق اهـ . قاله القارئ. فمعنى أن يقول له كن أن تتعلق به قدرته تعلقا تنجيزيا اهـ .

وفي الدر المنثور أخرج ابن أبي شيبة عن ابن سابط أن داعيا دعا في عهد النبي ﷺ فقال: اللهم إني أسألك باسمك الذي لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم بديع السموات والأرض وإذا أردت أمرا فإنما تقول له كن فيكون فقال النبي ﷺ {لقد كدت أن تدعو باسمه العظيم} اهـ .

قال الشناوي . وينبغي أن للطالب أن يسجد عند قوله كن بعد قراءة هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (السجدة:١٥) . ويسأل حاجته في سجوده ويصلي على النبي ﷺ في السجود ثم يرفع رأسه ويقول: كن فيكون ثم يختم الدعاء .

فَسُبْحَان

تنزيه مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا .

الذي بيده ملكوتُ كلِّ شيء

أي ملك كل شئ وزيادة الواو والتاء للمبالغة يعني هو مالك كل شئ .

وإليه تُرجعُون

أي وإليه تعادون بعد الموت فلا فوت .

سُبْحَانَ اللهِ القَادِرِ القَاهِرِ القَوِيِّ العَزِيزِ الجبَّارِ الحَيِّ القَيُّومِ بِلاَ مُعِينٍ وَلاَ ظَهِيرٍ

وصف الله تبارك وتعالى بسبعة أوصاف بعد اسم الجلالة ومعانيها تقدمت، وقوله: بلا معين أي ظهير على الأمر، وقوله: ولا ظهير بالظاء المشالة بوزن كريم معناه معين فهو عطف تفسير على ما قبله .

برحْمتكَ أستَغيثُ

أي اطلب إعانتك لي برحمتك وجودك وكرمك فالسين والتاء للطلب .

اللّهمَّ هذَا الدُّعاءِ وَمنكَ الإجَابَةُ

أعترف فإنه دعاء الله تبارك وتعالى بما أمكنه من الدعاء كما أمره وطلب الإجابة فضلا منه ومنة لأنه لا يجب على آله شئ كما وعده في قوله تعالى أمن يجيب المضطر إذا دعاه .

وَهذَا الجهْدُ منّي

الجهد بفتح الجيم وتضم أي الواسع والطاقة .

وَعليكَ التكْلاَنُ

أي عليك الاعتماد والتوكل قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾(الطلاق:٣) والتكلان بضم التاء وسكون الكاف .

ولا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العَليِّ العَظيمِ

أي لا تحـول لـنا عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بإعانة الله بهـذه فسـرها ﷺ لعـبد الله بن مسعود وهي كنز من كنوز الجنة، ففي حديث أبي موسى: {يـا عـبد الله ألا أخـبرك بكـنز مـن كـنوز الجـنة قـال بـلى لا حـول ولا قوة إلا بالله العلي العظـيم}. وفي حديـث أبـي هريـرة مـرفوعا {لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم دواء من تسـعة وتسـعين داء أدناهـا الهم}. والعظيم الذي لا نسبة معه في علو شأنه وجلاله قدرة ذاتا وصفاتا وأفعالا، قال الشيخ زروق: من عرف أنه العظيم صغر في عينه كل شئ.

وَالحَمْدُ للهِ أوَّلاً وَآخِراً وَظاهِراً وَباطِناً

ختم الذاكر هذا الدعاء الجليل بحمد الله تعالى كما بدأ به أولا وطلب من الله أن يكون حمده حقيقة في الظاهر والباطن وأن تكون فعاله مطابقة لأقواله لأن اللسان عنوان كما قيل:

أن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وَصلى اللهُ عَلى سَيِّدنا مُحمدٍ وَآلِهِ الطيِّبينَ الطاهِرِينَ

خـتم الذاكـر بالصـلاة على مولانا رسول الله ﷺ وعلى آله ووصفهم بالطيبين الطاهرين إشارة لقوله تعالى ﴿ يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾(الأحزاب: ٣٣). لأجـل مـا ورد في فضـل الصـلاة علـيه ﷺ فعن أبي سـليمان الداراني رضي الله عنه أنه قال: إذا سـألت الله حاجـة فـابدأ بالصلاة على النبي ﷺ ثم ادع بما شئت ثم اختم الصلاة على النبي ﷺ فإن الله سبحانه بكرمه يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما.

وَسَلَّمْ تَسْليماً كَثِيراً دائِماً أثيراً أبَداً إلى يَوْمِ الدِّين

طلـب مـن الله تعـالى أن يسـلم عـلى رسول الله ﷺ تسليما كثيرا إلى يوم الدين أي يوم القـيامة لمـا ورد في السلام عليه من الثواب العظيم والخير الجسيم، فمن ذلك قوله ﷺ {إن لله ملائكـة سـباحين يـبلغوني عـن أمـتي السـلام}. وقال ﷺ {من سلم على عشرا فكأنما اعتق رقبة}. وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه (الصلاة على النبي ﷺ أمحق الذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب) وفي تكميل الديباج عن سيدي يحيي السراج قال:

رأيت جابر بن عبد الله في النوم فقلت بالله حدثني حديثا سمعته من رسول الله ﷺ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول {من سلم على في كل يوم مائة مرة مات ولم يذق طعم الموت}. إلى غير ذلك، وقوله أثيرا ودائما وأبدا وكلها توكيد لكثيرا.

وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ وَالحمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ

أي كافينا الله ونعم الوكيل أي ونعم الموكل إليه في الأمور كلها، وقيل الوكيل هو الكافي والمعنى يكفينا الله ونعم الكافي هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل في ماله هو الذي كفله وقام به، والوكيل في صفة الله تعالى هو الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم، وإنه الذي يستقل بأمورهم كلها وقد ختم الذاكر دعاءه بالحسبلة والحمدلة لما ورد في فضلهما، أخرج البخاري عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾(آل عمران: ١٧٣). قالها إبراهيم حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس، إن الناس قد جمعوا لكم اهـ ، وهذا تقدم الكلام على جملة الحمد له .

خـــاتمة

ختم الله لنا بالحسنى ❊ وأسكننا وجميع المسلمين بمنه وكرمه المقر الأسنى❊ ذكر الإمام الشناوي ﷺ أنه روي مرفوعا إلى النبي ﷺ: {من قرأ هذا الدعاء ومر بين أعدائه لم يقدروا على ضرره ولا إذابته وتنفر منه الجن والشياطين} وروى: أن تاجرا نهب ماله وصار مفلسا لا يملك شيئا فبقى كذلك مدة حائرا لا يسأل لنا الناس شيئا حتى جزع وأقلق فقيل لَه إن الشيخ أسد الله عنده دعاء فيه اسم الله العظيم الأعظم يقضي به جميع الحوائج، فمضى إليه فأعطاه لَه واشتغل بقراءته ودوامه، ففتح الله عليه أبواب الرزق والسعادة، وصار معروفا مقبولا وشرط عليه شروطا منها: أنه قال إذا أردت قراءة هذا الدعاء المبارك اغتسل من غير جنابة وصلى ركعتين بقراءة فاتحة الكتاب ويس تطوعا يستجاب لك فهو من أشرف العزائم وأسرار الوحي، هو مخصوص بصدق النية، وإخلاص العقيدة، وجد الهمة، وطهارة النفس عن الكذب والشرور والبهتان مع سعد الوقت وسعد الطالع. وبالجملة فهو عظيم الشأن. محبوب الصنائع مشهور بين الأعلام حتى قالوا: من سعادة الرجل أن يكون عنده هذا الدعاء، ومن لم يحسن قراءته يكتبه ويحمله فإن الله ﷻ يحرسه من الآفات والعاهات، ويجعل لَه قبولا عظيما عند الناس، ويفتح عليه أبواب الرزق والخير مع الهيبة والوقار والمكانة عند جميع الناس، من جن وإنس، فكيف من يواظب قراءته سبعون ألف ملك، ومثلهم من الجن خدمة هذا الدعاء .

فإذا قرأ القارئ: اللهم أنت الله الملك الحق المبين إلى قوله: وأنا عبدك فتخر تلك الملائكة والجن سجدا لله تعالى لحرمة هذا الدعاء وعظمته وهيبته فمن وصل إليه يعرف قدره ولا يتبعه الجن على السجود فليسجد بقلبه لعظمة ربه باستجلاء معاني عزه فنظرت الملائكة حينئذ نظرا خاصا فلا تنكشف هذا السر للمتكبرين وبالجملة فتحقق حرمته ولا تقرأه إلا بغسيل طاهر ونفس زاكية وقلب سليم خاشع خاضع ضارع .

ومن قرأ السيفي خمسمائة مرة وأشار إلى جبل يسير من مكانه ويزول من عظمة الدعاء، ومن قرأ في مكان مخيف من الجن والمردة والشياطين أمن من شرهم ولا يقربه ذو روح فاسد، ومن كتبه بمسك وزعفران في رق ظبي أو طير ووضعه في فمه ودخل المركة لا يؤثر فيه الحديد ولو ضرب بمائة سيف لم يعمل فيه، ومن قرأه لأي حاجة يوم السبت فليقرأه إحدى وستين مرة، أو الأحد فاحدى وخمسين مرة، أو الخميس فإحدى عشرة، أو الجمعة فمرة واحدة، ويطلب من الله حاجته تقضى . ومن أراد حاجة يغتسل ويقرؤه ثلاثة أيام متواليات يجاب

والقراءة على سائر الأيام، انتهى ما هو عن الشيخ أسد الله قدس الله سره .

ومن خواص هذا الدعاء من كثرة ذنوبه ولازمه فتح الله عليه اليقين ويتوب عليه توبة نصوحا ويغفر ذنوبه، ومن دوامه خلق الله تعالى له شخصا على صورة حسنة فإذا انقضى أجله جاء الشخص ويجلس عند رأسه فينظره ويتحير من حسنه وجماله فيسبح الله ﷻ ثم يقبض روحه بلا تعب ولا مشقة ولا وجع ولا يحس بألم، وإن دخل قبره هون الله تعالى عليه سؤال منكر ونكير ويعطي في الجنة ما لا عين رأت ولا أذنت سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجعل وجهه يتلألأ بالنور وعليه هيبة ووقار حتى يتعجب الناس منه فيقولون أي ولى هذا فيقال عبد اشتغل بقراءة هذا الدعاء فيقولوا يا ليتنا اشتغلنا، به ويظله الله تعالى تحت ظله فيفوح عليه من الرائحة الزكية حتى يبقى حيراناً دهشاناً مما يراه من النعيم المقيم . وإذا جاء الميزان يرسل الله إليه ملائكته فيجلسوا في الميزان وعند الصراط يقول له ملك اركب على كاهلي فيركب على كاهله ويمر على الصراط كالبرق ويكون في أعلى قصر في الجنة . اللهم ارزقنا الجنة وأجرنا من النار برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصاحب هذا الدعاء أول من يصافح النبي ﷺ ويكون في جواره وجوار جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ثم إن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ {أن هذا الدعاء له كرامات في الجنة وله منافع وله خواص أيضا في الدنيا لا تحصى}. فمن كان مسجونا عند جبار قرأه أربعين يوما متوالية باعتقاد خالص ويقين صادق أخلص منه، ومن شرب محوه يبرأ من العلل المقيمة، ومن قرأه أربع مرات متواليات على الطلوعات يعني الدماميل العظيمة والخنازير ثم يغتسل غسلا طاهرا أو يكتبه ويشرب محوه ويكتبه أيضا ويعلقه في رقبته أو موضع الوجع يبرأ، ومن قرأه كل يوم في السفينة سلمت ما فيها، ومن تاه في الطريق يتيمم ويصلي ركعتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة آية الكرسي و ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ ﴾(البقرة:٢٨٥). إلى آخر السورة وفي الثانية الفاتحة ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ ﴾(آل عمران:١٨). و ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(النور:٣٥) الآية. فإذا سلم قرأ الفاتحة والدعاء مرة فيهتدي إلى الطريق بفضل الله تعالى ويؤمن من الجوع والعطش وجميع المكاره والمخاوف

ومن وضعه في ماله كفى شر عين الحساد والأعداء وبورك فيه، ومن عليه قضاء صلاة أو صيام يصلي ليلة الجمعة في نصف الليل ركعتين يقرأ في الأولى الفاتحة وآية الكرسي سبعا والثانية فاتحة الكتاب وآمن الرسول ألخ يسلم ويقرأ السيفي سبعا تم يتضرع ويطلب من الله التجاوز، ومن سافر بعيدا يقرؤه كل يوم عند طلوع الشمس وعند الغروب أحدا وأربعين يوما

متصلة وفي آخر قراءته كل يوم يصلي على النبي ﷺ فلا تمضي عليه ثلاثة أسابيع إلا ويأتيه الله بالفرج القريب من عنده وينجو من الهم والغم والحزن، ومن لم يحسن القراءة يصوم الخميس ثم يغتسل يوم الجمعة ويلبس ثوبا نظيفا ويصلي ركعتين ويتضرع إلى الله تعالى ويطلب منه الحلال والسلامة فإن الله يستجيب دعاءه وينجيه مما هو فيه ويرده سالما إلى وطنه غانما، ومن قرأه في سفر أو حضر أو حمل معه أمن من الأعداء والسراق قطاع الطريق بإذن الله تعالى .

ومن اتهم بتهمة وخوصم وقرأه سبعا خلصه الله تعالى، وللسعادة في الدارين يقرأ إحدى وأربعين مرة على شراب عسل أو سكر ويشربه ويسقيه لمن أراد فإنه لا يرى في الدنيا مشقة ولا محنة بإذن الله تعالى، ومن قرأه على مصروع زال صرعه، ومن قرأه إحدى وتسعين مرة وقرأ بعد الدعاء سبعا في الوقت والساعة فإنه يرى أولياء الله تعالى والصالحين، وللصلح يقرأ ثلاثين مرة ينقلب عدوك صاحبك، وقد وصل الأكابر ﷺ إلى مراداتهم بهذا الدعاء فاعلمه واكتمه .

قال الشيخ أسد الله قدس الله سره: من عظمت عليه المصائب وصعب عليه أمر يغتسل من غير جنابة ثم يطهر قلبه وثيابه ويصلي ركعتين ويقرأ في كل ركعة الفاتحة ويس ويسلم ويقرأ الدعاء ثلاث مرات ويده مرفوعة نحو السماء ويذكر الأمر الذي أصابه فإنه يكفاه بإذن الله تعالى .

وقال سيدنا على كرم الله وجهه: من داوم على قراءته صبح يوم الجمعة والاثنين والأربعاء وتكون القراءة وقت الضحى ويغتسل غسلا نظيفا فإن حوائجه تقضي، وقال أيضا: ومن له أعداء يقرؤه إحدى وسبعين مرة فإن لم يستطع فسبعا، وقال: من ابتلى ببلاء أعجز الأطباء يقرؤه كل يوم مرة فإن لم يقدر على قراءاته كل يوم يحم مفتاحا من حديد حتى يحمر ويجعل في مجمار جديد لم يستعمل ويكتب الدعاء في طاسة بمسك وزعفران وماء ورد ثم يغسلها بماء طاهر ويلقيه في المجمار على المفتاح حال حمرته ويقرأ الدعاء ثم يغسلها بماء طاهر ويلقيه في المجمار ويعطي من هذا الماء لكل مريض يشربه يشفى من كل داء، وإن كان على جسده داء يغسله بذلك الماء يبرأ بإذن الله تعالى اهـ . من الشناوي باختصار وإيضاح .

ولما كانت قراءة الحزب السيفي تورث محبة الله تعالى محبة خاصة كما تقدم، ومن لازم تلك المحبة الخاصة إن الله تعالى يمتحن صاحبها بالفقر ونحوه ولا يمنع بفضل الله من ذلك الامتحان إلا قراءة حزب المغنى المنسوب لسيدنا أويس القرني ﷺ بعد قراءة الحزب السيفي على الوصف المتقدم أردت أن نتكلم على بعض ألفاظه، لتتم الفائدة، وتكمل العائدة، فقول، والله تعالى بمنه يبلغنا السؤال والمأمول .

حزب المغنى

المنسوب لسيدنا أويس القرنى ﷺ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إلهي بِكَ أَسْتَغِيثُ فأَغِثْني وَعَلَيْكَ تَوَكَلْتُ فاكْفِني يَا كَافِي اكْفِني المُهِمَّات مِنْ أَمْرِ الدنْيَا والآخِرَةِ يا رَحْمَنُ الدُّنْيا وَالآخِرةِ ورَحِيمَهُمَا إني عَبْدُكَ بِبَابكَ ذَلِيلُكَ بِبَابِكَ أَسِيرُكَ بِبَابِكَ مِسْكِينُكَ بِبَابِكَ ضَعِيفُكَ بِبَابكَ يَارَبُّ العَالمينَ الطالِحُ بِبابكَ يَا غِيَاثَ المُسْتغيثينَ مَهْمُومُكَ بِبَابِكَ يَا كَاشِفَ كلِّ كَرْبِ المَكْرُوبينَ وَأنَا عَصِيكَ يَا طَالِبَ المُسْتَغْفِرِينَ المُعتَرِفُ بِبَابكَ يَا غَافِرَ المذْنِبين المُقِرُّ بِبَابِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحمين الخَاطِئُ بِبَابِكَ يَا رَبَّ العَالَمينَ الظَّالِمُ بِبَابِكَ البَائِس الخَاشِعُ بِبَابِكَ ارْحَمْني يَا مَوْلاَيَ إلهي أَنْتَ الْغَافِر وَأَنَا المُسيءُ وَهَلْ يَرْحَمُ المُسيءُ إلاَّ الغَافِرُ مَوْلاَيَ مَوْلاَيَ إلهي أَنْتَ الرَّبُّ وَأَنَا العَبْدُ وَهَلْ يَرْحَمُ العَبْدُ إلاَ الرَّبُّ مَوْلاَيَ مَوْلاَيَ إلهي أَنْتَ القَوِيُّ وَأنَا الضَّعِيفُ وَهَلْ يَرْحَمُ الضَّعِيفُ إلا القَوِيُّ مَوْلاَيَ مَوْلاَيَ إلهي أَنْتَ العَزِيزُ وَأنَا الذَّلِيلُ وَهَلْ يَرْحَمُ الذَّلِيلُ إلاَّ العَزِيزُ مَوْلاَيَ مَوْلاَيَ إلهي أَنْتَ الكَرِيمُ وَأَنَا اللئيمُ وَهَلْ يَرْحَمُ اللَّئِيمُ إلاَّ الكَرِيمُ مَوْلاَيَ مَوْلاَيَ إلهي أَنْتَ الرَّزَّاقُ وَأنَا المرزُوقُ وَهَلْ يَرْحَمُ المَرزُوقَ إلاَ الرَّزَّاقُ مَوْلاَيَ مَوْلاَيَ إلَهي أنا الضَّعيفُ أَنا الذَّليلُ أنا الحَقيرُ أنْتَ العَليُّ أَنْتَ العَفُوُّ أَنْتَ الغَفُورُ أَنْتَ الغَفَّارُ أَنْتَ الحَنَّانُ أَنْتَ المَنَّانُ أَنا المُذْنِبُ أنا الخَائِفُ أنا الضَعِيفُ إلَهي الأَمانَ الأَمَانَ في ظلمة القبر وضيقته إلَهي الأَمانَ الأَمَانَ عِنْدَ سُؤَال مُنْكَرٍ ونَكيرٍ وهَيْبَتِهمَا إلَهي الأَمانَ الأَمَانَ عِنْدَ وَحْشَةِ القَبْرِ وَشِدَّتِهِ إلَهي الأَمانَ الأَمَانَ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ إلَهي الأَمانَ الأَمَانَ يَوْمَ يُنفَخُ في الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ في السَّموَاتِ وَمن فِي الأرْض إلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ إلَهي الأَمانَ الأَمَانَ يَوْمَ زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزالَهَا إلَهي الأَمانَ الأَمَانَ يَوْمَ تَشَقَقُ السَّمَاء بالْغَمامِ إلَهي الأَمانَ الأَمَانَ يَومَ نَطْوِى السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ للكِتابِ إلَهي الأَمانَ الأَمَانَ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأرض وَالسَّموَاتِ وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّار إلَهي الأَمانَ الأَمَانَ يَوم يَنْظُرُ المَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَني كُنْتُ تُرَاباً إلَهي الأَمانَ الأَمَانَ يَوْمَ يُنَادِي المُنَادِي مِنْ بُطْنَانِ العَرْشِ أَيْنَ العَاصُونَ وَأَيْنَ المُذْنِبُونَ وَأَيْنَ الخَاسِرُونَ هَلُموا إلى الحِسَابِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ سِرِّى وَعَلاَنِيَتِي فاقْبَلْ مَعْزِرَتي إلَهي آهٍ مِنْ كَثْرَةِ الذنوبِ وَالعِصْيَانِ آهٍ مِنْ كَثْرَةِ الظلمِ وَالجفاءِ آهٍ مِنْ دَفْعِ المَطْرُودِ وآهٍ مِنْ نَفْسِ المَطْبوعِ بالْهوَى مِنَ الهوَى أغِثْني يَا غياثَ المُسْتَغِيثِينَ أغِثْني عِنْدَ تَغَيُّرِ حَالي اللَّهُمَّ إنِّي عَبْدُكَ المُذْنِبُ المُجْرِمُ المُخْطِئُ أَجِرْني مِنَ النارِ يَا مُجِيراً ثلاثاً اللَّهُمَّ إنْ تَرْحَمْني فأَنْتَ أَهْلٌ وَإنْ تُعَذِّبني فأنَا أَهْلٌ فارْحَمْني يا أَهْلَ

التَّقْوَى وَيَا أَهْلَ الْمَغْفِرَةِ وَيا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ وَيا خَيْرَ النَّاصِرينَ وَيَا خَيْرَ الغَافِرينَ حَسْبِيَ اللهُ وَحْدَهُ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ وَصَلَى اللهُ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شرح حزب المغنى

بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إلَهي بِكَ أَسْتَغِيثُ فأَغِثْني

تقدم الكلام على البسملة، وقوله: إلَهي الخ تضرع إلى الله تعالى وتذلل بين يديه أن يغيثه في كل الأمور ويحفظه من البلايا والمحن والشرور فالسين والتاء للطلب .

وَعَلَيْكَ تَوَكَلْتُ فأكْفِنِي

يعني أن المؤمن الصادق والذاكر العاشق لا يتوكل إلا على الله ولا يعتمد في جميع الأحوال إلا على مولاه، فلذلك طلب من الله كفايته إياه قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (الطلاق:٣) وقال ﷺ {لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا} . وفي الدر المنثور أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال {من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله} . وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن ابن عباس ﷺ قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: اجعلني من نفسك لَهمك واجعلني ذخرا لمعادك وتوكل على أكفك ولا نول غيري فأخذ لك .

يَا كَافِي اكْفني المُهِمَّات مِنْ أَمْرِ الدنْيَا والآخِرَةِ

دعا الله تبارك وتعالى باسمه الكافي وطلب منه أن يكفيه جميع المهمات من أمور الدنيا والآخرة، والكافي هو الذي يحصل به الاستغناء عن غير، وقد قيل في هذا الاسم إنه اسم الله الأعظم من أكثر من ذكره كفاه الله هموم الدنيا والآخرة، ومن تلاه مائة واحد عشر عند شروق الشمس وعند غروبها كثر الله رزقه وكفاه من كل ما يخاف منه .

يا رَحْمَنَ الدُّنْيا وَالآخِرةِ ورَحِيمَهُمَا

دعا الله تبارك وتعالى باسمه الرحمن لأنه لا راحم سواه، أخرج الترمذي وابن ماجه أن رسول

الله ﷺ قال {إن الله تعالى لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي سبقت غضبي} .

إني عَبْدُكَ بِبَابِكَ

اعـترف الذاكر لله تعالى بالربوبية وتذلل لَه وأقر لَه بالعبودية ووقف بباب مولاه ينتظر فرجه ورحمته إياه، أو اعلم أن الصوفية كثيرا ما يقولون وقف بباب الله وليس مرادهم الباب حقيقة بل مرادهم التضرع والابتهال وطلب قضاء أوطارهم من الكبير المتعال، لأن من القواعد المؤسسـة أن الله تعـالى إذا وصـف بأمـر لا يصـح حملَه عليه حمل على غايته ولازمة، وغاية الوقـوف بالـباب التذلل والخضوع والنداء ليفتح لمريد الدخول ومن أراد الدخول بحضرة المولى بادر بالتوبة والسؤال والتضرع والدعاء، ولذا قيل :

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للإبواب أن يلجأ

ذَلِيلُكَ بِبَابِكَ

الذلـيل بـالذال المعجمـة بوزن فعيل مأخوذ من الذلة بالكسر إذا ضعف وهان، والمعنى أنـه تذلـل إلى الله تعـالى ليرحمه ويعاملَه وينظر فيه بعين الشفقة، ومعلوم أن من أتى الله من بـاب الـذل والانكسـار رجـع بنـيل كـل المآرب والأوطار ومن أتى من باب العظمة والاستكبار رجع بالخيبة والصغار ونال من الله الخزي والبوار .

أَسِيرُكَ بِبَابِكَ

يعـني أن وقـف بـباب الله تعالى وقوف الأسير وهو غاية ما يكون من الذل والإنكسار، والأسير هو الذي يغنم في الجهاد فيكون مأسورا عند من أخذه .

مِسْكِينُكَ بِبَابِكَ

المسـكين بكسـر الميم وسكون السين هو الذي لا شئ لَه فهو أحوج من الفقير إذ هو الذي لَـه بلغـة بضـم الـباء وسـكون اللام لا تكفيه لعيش عامة، قال خليل: ومصرفها أي الزكاة فقير ومسكين وهو أحوج لأن الفقير هو الذي دون قوت سنة والمسكين هو الذي لا يملك شيئا .

ضَعِيفُكَ بِبَابِكَ يَارَبَّ العَالمينَ

الضعيف ضد القوي وإضافته إلى الضمير العائد على الله تعالى حقيقة لأن كل مخلوق بالنسبة إلى الله تعالى ضعيف، وإن بلغ في القوة ما بلغ، لا حول ولا قوة إلا بالله .

إني اليك مدى الأنفاس محتاج   لو كان في مفرقي الاكليل والتاج

ثم نادى الله تعالى بقوله يا رب العالمين أي خالق جميع الموجودات وموجد جميع الكائنات لأن العالمين جمع عالم بفتح اللام وهو ما سوى الله تعالى .

الطالِحُ بِبابِكَ يَا غِيَاثَ المُسْتَغِيثِينَ

الطالح بالطاء المهملة وباللام مكسورة وبالحاء المهملة في آخره ضد الصالح، والمراد به هنا هو من كانت أفعاله وأقواله مخالفة للشرع متبع للهوى والطبع، ثم نادى الله تبارك وتعالى بقوله: يا غياث المستغيثين طلبا للإغاثة من تبديل حاله يحلل حسنة وهيئة مع الله مستحسنة، فقوله غياث بكسر الغين وبالثاء المثلثة .

مَهْمُومُكَ بِبَابِكَ يَا كَاشِفَ كلَّ كَرْبِ المَكْرُوبِينَ

يعني أن الذاكر اعتراه الهم الطويل والحزن الكثير من كثرة ذنوبه ومعاصيه وضرر هوى نفسه وغلبه شيطانه، ثم ناداه بقوله يا كاشف أي يا مزيل كل كرب جمع كربة بوزن عرفة وعرف وهي شدة الغم والحزن والمكروبين أي المحزنين .

وَأَنَا عَصِيكَ يَا طَالِبَ المُسْتَغفِرِينَ

هذا تصريح من الذكر بأنه عاص لله لأن الواجب على الإنسان أن يرى نفسه عاصيا ولو كان متلبسا بالطاعة لأنه ليس معصوما إلا الأنبياء، وأما الأولياء فهم محفوظون فقط .

من الذي ما ساء قط   ومن له الحسني فقط
إلا محمد الذي   عليه جبريل هبط
ومن الذي ترجى سجاياه كلها   كفى المر نبلا أن تعد معايبه

ثم ناداه يا طالب المستغفرين أي يا من يطلب من عباده الاستغفار فيغفر لهم، روى

البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال {ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضئ الفجر} وروى الترمذي عن أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول {قال الله تعالى ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم ولو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة} والقراب بالكسر ملء الأرض كما في القاموس، إلى غير ذلك وفيما ذكر كفاية .

المُعترِفُ بِبابِكَ يَا غافِرَ المذنِبِين

المقر بضم الميم وكسر القاف اسم فاعل من أقر بمعنى اعترف، وقوله يا غافر الذنبين مأخوذ من الغفر بمعنى الستر والمذنبين جمع مذنب بمعنى الكثير الخطايا والعصيان، من الله علينا بالمغفرة والغفران .

المُقرُّ بِبابِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحمين

المعترف بضم الميم وسكون العين المهملة وفتح المثناة فوق وكسر الراء اسم فاعل من اعتراف بمعنى أقر ثم دعا الله تبارك وتعالى باسمه يا أرحم الراحمين لما ورد في هذا الاسم من أنه اسم الله العظيم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى وقد تقدم الكلام على هذا الاسم الشريف عند قول السيفي اللّهم إني مقر بنعمتك الخ فليراجعه مبتغيه .

الخَاطِئُ بِبابِكَ يَا رَبَّ العَالَمين

الخاطئ بالخاء المعجمة وكسر الطاء وآخره مهموز وقد يحفف اسم فاعل من أخطأ، قال في المصباح: قال أبو عبيدة: خطئ من باب علم وأخطأ بمعنى واحد لمن يذنب على غير عمد، ثم قال: وقيل خطئ إذا تعمد ما نهى عنه فهو خاطئ اهـ، ثم نادي الله تعالى بقوله: يا رب العالمين أي المالك لجميع مخلوقاته والرازق لهم والمحسن إليهم والمتفضل عليهم سبحانه لا إله إلا هو .

الظَّالِمُ بِبابِكَ

الظالم اسم فاعل من ظلم إذا تعدى بفعل ما نهى الله عنه وترك ما أمر الله به، قال

تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾(فاطر:٣٢). قال الربيع بن أنس: الظالم صاحب الكبائر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق المجتنب لهما، وقال الحسن البصري: الظالم من رجحت سيئاته والسابق من رجحت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته، وسئل أبو يوسف عن هذه الآية فقال: كلهم مؤمنون، وعن عمر بن الخطاب: أنه قرأ هذه الآية على المنبر ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾. فقال قال رسول الله ﷺ {سابقنا سابق ومقتصدنا ناجح وظالمنا مغفور له} قال أبو قلابة أحد رواته: فحدثت به يحيي بن معين فجعل يتعجب منه، أخرجه البغوي بسنده اهـ انظر الخازن.

وفي الدر المنثور أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن عباس في قوله ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾. قال هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله كل كتاب أنزل فظالمهم مغفور له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الحنة بغير حساب اهـ.

الْبَائِس الْخَاشِعُ بِبَابِكَ

البائس بالهمز اسم فاعل من بئس بالكسر إذا نزل به الضرر، وقوله الخاشع اسم فاعل من خشع إذا خضع وتذلل لله تعالى.

ارْحَمْنِي يَا مَوْلاَيَ

طلب من الله تعالى أن يرحمه أي يحفظه من جميع ما تضرع منه من الأوصاف الذميمة والأخلاق القبيحة، ثم نادى الله تبارك وتعالى بقوله يا مولاي أي يا مالكي ويا ناصري ويا من بيده تدبيري وجميع أموري، ولما ذكر أوصافه الخسيسة وأحواله الرذيلة تضرع إلى الله تعالى تضرع الخائف من ذنوبه المشفق من سوء كسبه فقال:

إلَهي أَنْتَ الْغَافِرُ وَأَنَا الْمُسِيءُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمُسِيءَ إلاَّ الْغَافِرُ مَوْلاَيَ مَوْلاَيَ

يعني أنك يا رب أنت الغافر لجميع الذنوب وأنا العاصي المسئ الملطخ بجميع

العيوب ولا يرحم المسئ العاصي يوم الأخذ بالنواصي إلا أنت يا منان لاتصافك بالغفران والجود والإحسان يا مالكي وناصري ومدير شئوني، فقوله الغافر اسم فاعل من غفر إذا ستر والمسئ اسم فاعل أيضا من أساء إذا خالف المأمور به وتبع المنهي عنه وكرر لفظ مولاى في هذه الفقرات إشارة لكثرة تذلله وتضرعه وشدة حزنه وبؤسه .

إلَهي أَنتَ الرَّبُّ وَأَنَا العَبْدُ وَهَلْ يَرْحَمُ العَبْدُ إلاَ الرَّبُّ مَوْلايَ مَوْلايَ

أقر لله تبارك وتعالى بالربوبية واعترف له بأنه في مقام العبودية وطلب منه أن يرحمه لأن رحمته لعباده من أوصاف ربوبيته .

إلَهي أَنتَ القَوِيُّ وَأَنَا الضَّعِيفُ وَهَلْ يَرْحَمُ الضَّعِيفُ إلا القَوِيُّ مَوْلَايَ مَوْلَايَ

لما علم عجزه وضعفه وافتقاره لمولاه وتحقق أن الله قوي عزيز له القدرة الكاملة والقوة الشاملة طلب منه أن يرحم ضعفه وأن يمده ويقويه على نيل مراده .

إلَهي أَنتَ العَزِيزُ وَأَنَا الذَّلِيلُ وَهَلْ يَرْحَمُ الذَّلِيلُ إلاَّ العَزِيزُ مَوْلَايَ مَوْلَايَ

لما تحقق أن أوصاف العباد الذلة بين يدي رب الأرباب وأنه متصف بالعزة والجلال والعظمة والكمال ولا يرحم من كان ذليلا إلا من هو عزيز جليل طلب منه أن يرحم ذلته وأن يمده بالعز اللائق بحاله المناسب لوصفه ومقامه .

إلَهي أَنتَ الكَرِيمُ وَأَنَا اللئيمُ وَهَلْ يَرْحَمُ اللَّئِيمُ إلاَّ الكَرِيمُ مَوْلَايَ مَوْلَايَ

لما كان كرم الله لا حصر له ولا عد لوصفه وجميع من سواه لئيم وبخيل طلب منه أن يكرمه ويرحم لؤمه ويفيض عليه من خيراته لأنه إذا كان من سوى الله لئيم وهو منفرد

بالكرم فلا يرحم اللئيم إلا الكريم، اللئيم اسم فاعل من لؤم بضم الهمزة، قال في القاموس: ككرم لؤما بالضم فهو لئيم، قال شارحه الشيخ مرتضي: دنئ الأصل شحيح النفس اهـ. ويقال ذلك للشحيح والدنئ النفس والمبين ونحوهم لأنّ اللؤم ضد الكريم، قالَه في المصباح .

إلَهي أنتَ الرَّزَّاقُ وأنا المَرزُوقُ وَهَلْ يَرْحَمُ المَرزُوقَ إلاَ الرَّزَّاقُ مَوْلاَيَ مَوْلاَيَ

لما تيقن وتحقق وأنه لا رازق للعباد سوى الله تعالى وأنه هو الرزاق على الإطلاق، وأن العبد وإن بلغ ما بلغ فهو فقير محتاج إلى فضل الله، طلب من الله أن يرزقه الرزق الكثير واعترف بأنه مملق فقير، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى الله وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾(فاطر:١٥) وقال تعالى ﴿ لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾(طه:١٣٢) وقال ﴿ إِنَّ الله هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾(الذريات:٥٨) قال سهل: لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولَهم بالفقر، فمن ادعى الغنى حجب عن الله ومن أظهر فقره أوصلَه فقره إليه. فينبغي أن يكون مفتقرا بالسر إليه ومنقطعا عن الخير إليه حتى تكون عبوديته محضة بالعبودية هي الذل والخضوع، وعلامته أن لا يسأل من أحد .

وقال الواسطي: من استغنى باللّه لا يفتقر ومن تعزز باللّه لا يذل، وقال الحسين: على مقدار افتقار العبد إلى الله يكون غنيا وكلما ازداد غني. وقال يحيي: الفقر خير للعبد من الغنى لأن المذلة في الفقر والكبر في الغنى والرجوع إلى الله بالتواضع والذلة خير من الرجوع إليه بتكثير الأعمال: وقيل: صفة الأولياء ثلاثة الثقة باللّه في كل شئ والرجوع إليه من كل شئ، وقال الشبلي: يجر البلاء وبلاؤه كلَه عز .

إلَهي أنا الضَّعيفُ أنا الذَّليلُ أنا الحَقيرُ

وصف الذاكر نفسه بأوصاف تليق بعبوديته تذللا واعترافا بضعفه وفاقته بين يدي خالقه ومنشئه، وفي ذلك إنماء إلى طلبه من مولاه أن يغطى عليه هذه الأوصاف وأن يمده بفضلَه وكرمه بكل نوع من البر والإحسان، فقولَه الضعيف هو ضد القوي، وقولَه الذليل بالذال المعجمة العزيز، يقال: ذي يذل من باب ضرب إذا ضعف وهان والحقير اسم فاعل من حقر بالضم حقارة هان قدره فلا يعبأ به فهو حقير، قالَه في المصباح .

أنتَ العليُّ أنتَ العفُوُّ أنتَ الغفُورُ
أنتَ الغفَّارُ أنتَ الحنَّانُ أنتَ المنَّانُ

لما وصف نفسه بالأوصاف التي تليق بذل عبوديته وصف الله تعالى بالأوصاف التي تليق بكمال ربوبيته، فقال: أنت العلي أي الرفيع فوق خلقه الذي ليس فوقه شئ: فيما يجب له أن يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلي بالاطلاق المتعالي عن الأشياء والأنداد والأضداد، وقيل: العلي بالسلطنة والقهر فلا أحد أعلى منه، وفيه معان أخر والعفو معناه ذو العفو وهو ترك المؤاخذة على ارتكاب الذنب وهو أبلغ من المغفرة فإنها مشتقة من الغفر وهو الستر والعفو إزالة، ومنه عفت الديار وكان الغفران يشعر بالستر والعفو بالمحو والمحو أبلغ من الستر .

وقيل: معناه الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن العاصي وحظ العبد منه أن يعفو عن كل ظلمة ولا يقطع بره عن أحد بسبب ما حصل منه فإنه متى فعل ذلك فالله تعالى أولى أن يفعل به ذلك لأنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين. والغفور معناه كثير المغفرة وهي صيانة العبد عما استحقه من العذاب للتجاوز عن ذنوبه من الغفر وهو الستر، والغفار أبلغ من الغفور لزيادة بنائه، وقيل: الفرق بينه وبين الغفار أن المبالغة فيه من جهة الكيفية فيغفر الذنوب العظام وفي الغفار باعتبار الكمية فيغفر الذنوب الكثيرة اهـ، والغفار هو الذي أظهر الجميل وستر القبيح والذنوب من أعظم القبائح التي سترها بإسبال الستر عليها في الدنيا والتجاوز من عقوبتها في الآخرة، وحظ العبد منه أن يستر من أخيه ما يجب أن يستر منه، ولا يفشي منه إلا أحسن ما فيه ويتجاوز عما يقبح منه ويقابله بالإحسان، وإياك أن تكون كمثل من قال فيه أبو ثابت النحوي هذين البيتين:

ومصروفه عيناه عن عيب نفسه	ولو بان عيب من أخيه لا بصرا
ولو كان ذا الإنسان ينصف نفسه	لأمسك عن عيب الصديق وقصرا

بل ينبغي لك أن تكون ممتثلا لقول القائل:

أقل ذا الورد عثرته وقفه	على سنن الطريق المستقيمة
ولا تسرع بمعتبة إليه	فقد يهفو ونيته سليمة

والحنان مبالغة في الحنانة والشفقة على عباده ورحمته بهم والمنان الكثير المن على عباده أي الإنعام عليهم والإحسان لهم وكرر الذاكر لفظ أنت وهو ضمير يعود على الله تعالى تلذذاً بذكره ومحبته في ترديده لأن من أحب شيئا أكثر من ذكره، ولما وصف الله تعالى بأوصافه الجميلة رجع لوصف نفسه بالأوصاف الخسيسة فقال:

أَنَا المُذْنِبُ أَنَا الخَائِفُ أَنَا الضَعِيفُ

يعني إن الإنسان من أوصافه ارتكاب الذنوب. إلا من عصمه الله من الأنبياء، وحفظه من الأولياء، وإذا كان وصفه الذنب واعترف به فلابد أن يكون خائفا من سوء كسبه، ضعيفا عن أن ينقذ مهجته من عقابه. وفي هذا تعرض لطلب غفران ذنوبه من مولاه وأن يؤمنه من خوفه ويرحم ضعفه لأن الإقرار بالذنوب فيه إشعار بطلب غفرانها والتجاوز عنها .

إلَهي الأَمانَ الأَمَانَ في ظُلْمَةِ القَبْرِ وضَيْقَتِهِ

طلب الأمان من الله تعالى وكرره للتأكيد من ظلمة القبر وضيقته وشدته. والمراد بضيقته ضغطه، لكن وردت أحاديث في تخفيف هذه الضغطة على المؤمن وشدتها على الكافر، ذكر السيوطي في كتابه بشرى الكئيب بلقاء الحبيب: عن سعيد بن المسيب أن عائشة رضي الله عنها قالت: (يا رسول الله إنك منذ حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعني شئ). قال {يا عائشة إن صوت منكر ونكير في إسماع المؤمنين كالاثمد في العين وضغطة القبر على المؤمنين كالأم الشفيقة يشكو إليها ابنها الصداع فتغمر رأسه غمزا رفيقا ولكن يا عائشة ويل للشاكين في الله كيف يضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة} .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن محمد التيمي قال: كان يقال إن ضمة القبر إنما أصلَها أنها أمهم وعنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما رد إليها أولادها ضمتهم ضم الوالدة الشفيقة التي غاب عنها ولدها ثم قدم عليها فمن كان لله مطيعا ضمته برفق ورأفة ومن كان لله عاصيا ضمته بعنف سخطا منها عليه اهـ. منه بلفظه، وذكر أيضا في كتابه شرح الصدر بشرح حال الموتى والقبور عن الإمام أحمد وابن جرير في تذهيب الآثار والبيهقي عن عائشة عن النبي ﷺ قال {إن للقبر ضغطة لو كان أحد منها ناجيا لنجا سعد بن معاذ} .

وأخرج أحمد والحكيم الترمذي والطبراني والبيهقي عن جابر بن عبد الله قال لما دفن

سعد بن معاذ سبح النبي ﷺ وسبح الناس معه طويلا ثم كبر وكبر الناس قالوا يا رسول الله لما سبحت قال {لقد تضايق على هذا الرجل الصالح قبره حتى فرج الله عنه}. وأخرج النسائي والبيهقي عن عبد الله بن عمر ﵄ عن رسول الله ﷺ قال {هذا والذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه}. يعني سعد بن معاذ قال الحسن تحرك له العرش فرحا بروحه أخرجه البيهقي في الدلائل .

وما اهتز عرش الله من أجل هالك سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو والأحاديث في هذا الباب كثيرة وفيما ذكر كفاية .

فائدة: لا ينجو من ضمة القبر أحد إلا أربعة: فاطمة بنت محمد ﷺ، وفاطمة بنت أسد أم سيدنا على ﵁، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن قرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ (الاخلاص:١). في مرضه ولو مرة واحدة اهـ، قاله في مشارق الأنوار .

إلَهي الأَمانَ الأَمَانَ عِنْدَ سُؤَالِ مُنْكَرٍ ونَكيرٍ وهَيْبَتِهِمَا

طلب من الله الأمان مكرراً أيضا عند السؤال في القبر ومن هيبة منكر ونكير كما في بعض النسخ، وفي بعضها وهيبتهما أي صورتهما، قال الشيخ حسن العدوي في كتابه مشارق الأنوار: اعلم أن السؤال لابد منه لكل من مات غير ما استثنى ولو لم يقبر وإن كان منصوبا أو ملق على وجه أرض وإن لم نشاهد ذلك منه ما لم يرد أخباره وإلا فالسؤال محل الاستقرار، ثم قال: فما جاء في صفتهما ما أخرجه أبو يعلي وابن أبي الدنيا من طريق يزيد الرقاشي عن أنس عن تميم الداري عن النبي ﷺ قال {يقول الله لملك الموت انطلق إلى فلان فأتني به فإني قد جربته في السراء والضراء فوجدته حيث أحب فأتني به لأريحه من هموم الدنيا وغمومها}. فذكر الحديث بطوله إلى أن قال {ويبعث له ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، وأنيابهما كالصياصي، أي قرون البقر، وأنفاسهما كاللهب، يطلن في أشعارهما والمراد يجرانه في الأرض بين منكبي كل واحد مسيرة كذا وكذا، قد نزعت منهما الرأفة والرحمة إلا بالمؤمنين، يقال لهما منكر ونكير في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها الثقلان لم يقلوها فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وحده لا شريك له والإسلام ديني ومحمد نبيي هو خاتم النبيين، فيقولان له: صدقت فيدفعان القبر ويوسعانه له من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن قبل رأسه ومن قبل رجليه ثم يقولان له انظر فوقك فينظر فإذا هو مفتوح إلى الجنة فيقولان له هذا منزلك يا ولي الله لما أطعت الله}. قال رسول الله ﷺ {فو الذي نفس

محمد بيده إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك فرحة ألا تريد أبدا} وذكر بقية الحديث .

قال العلامة الأمير المصنف اللقاني: ما في بعض الروايات: كالبرق وأصواتهما كالرعد إذا كلما يخرج من أفواههما كالنار بيد كل واحد منهما مطراق من حديد لو ضرب به الجبال لذابت، وبعض الروايات: بيد كل واحد منهما مرزبة لو اجتمع أهل منى عليها لم يلوها محمول على غير المؤمن أما هو فيرفقان به ويقولان له إذا وفق الجواب نم نومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب الناس إليه .

قال: أما صورتهما فظواهر الأحاديث أنه يراهما عليها كل أحد فعل هذا تكون نسخة وهيأتهما بالهمز هي الأولى: وقال في محل آخر: إنما سميا منكراً ونكيرا لأنهما لا يشبهان خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام بل هما خلق بديع جعلهما الله تذكرة للمؤمنين وهتكا لستر المنافقين وهل هما للمؤمنين والكافرين أو هما للكافر فقط، وأما أهل الإيمان فلهم مبشر وبشير، قيل: ومعهما ملك آخر يقال له ناكور ويجيئ قبلها ملك يقال له رومان، قال العلامة: وحديثه قيل موضوع والصحيح أن منكرا ونكيراً للمؤمن وغيره طائعا وعاصيا غير أنهما يأتيان للمؤمن مع رفق من غير إقلاق وإزعاج كما تقدم والله أعلم اهـ . باختصار .

إلهي الأمانَ الأمانَ عِندَ وَحْشَةِ القَبْرِ وَشِدَّتِهِ

طلب أيضا من الله الأمان عند وحشة القبر أي غربته، أي وشدة هوله وفزعه. قال الشيخ حسن في مشارق الأنوار: اعلم أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، قال الجلال السيوطي: وهو أول منازل الآخرة، قال أخرج البيهقي وابن أبي الدنيا عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ {القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من النار}. وأخرج ابن مندة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال {إن المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب أي يوسع له في قبره سبعون ذراعا وينور له كالقمر ليلة البدر}. وأخرج ابن مندة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ {يفسح لغريب في قبره كبعده عند أهله}. وفي بعض الروايات للإمام البخاري أنه يفسح له سبعون ذراعا . وللإمام القرطبي في حديث البراء بن عازب مد البصر، وفي رواية للسيدة عائشة أربعون ذراعا.

قال القرطبي: ولا تعارض بين هذه الروايات لأن هذا يختلف باختلاف الأشخاص باعتبار أعمالهم اهـ . فقد طلب الذاكر أن يكون قبره واسعا لأن الأمن من الشدة هو الواسع

وأما الوحشة فإنما هي على المنافق والكافر وأما من مات على قول لا إله إلا الله فليس عليه وحشة في قبره كما في الحديث {ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم} اهـ .

إلهي الأمانَ الأمانَ في يومٍ كانَ مقدارُه خمسينَ ألفَ سنةٍ

لما طلب الأمان من الله في القبر وسائر أحواله طلب منه الأمان في الموقف يوم القيامة يعني يوم حشر الناس إلى الموقف، قال تعالى ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾(المعارج ٤) . أي من سني الدنيا، قال الحسن هو يوم القيامة وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس في مقداره خمسين ألف سنة من سني الدنيا وليس معنى أن مقدار طول ذلك اليوم خمسون ألف سنة دون غيره من الأيام لأن يوم القيامة له أول وليس له آخر لأنه يوم ممدود لا آخر له ولو كان له آخر منقطعا وهذا الطول في حق الكفار دون المؤمنين .

قال ابن عباس يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة، وروى البغوي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال قيل لرسول الله ﷺ يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما طول هذا اليوم فقال رسول الله ﷺ {والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا} . اهـ ذكره الخازن .

وفي الدر المنثور أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن إبراهيم التيمي ﷺ قال: قدر يوم القيامة على المؤمن قدر ما بين الظهر إلى العصر، وأخرج عبد بن حميد عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: يشتد كرب يوم القيامة حتى يلجم الكافر العرق، قيل: فأين المؤمنون يومئذ؟ قال: يوضع لهم كراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام ويقصر ذلك اليوم عليهم ويهون حتى يكون كيوم من أيامكم هذه. وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي في البعث عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا قال: ما قدر طول يوم القيامة على المؤمنين إلا كقدر ما بين الظهر إلى العصر اهـ . منه بلفظه .

إلهي الأمانَ الأمانَ يومَ ينفخُ في الصورِ ففزعَ منْ في السمواتِ ومنْ في الأرضِ إلا منْ شاءَ الله

اعلم أن حقيقة الصور على ما قاله العلامة النفراوي: قرن من نور فيه ثقب على عدد الخلائق تجتمع فيه الأرواح لا تخطئ روح ثقبها من الصور، قال العلامة الأمير: أن الصور

مـن لؤلـؤة بيضـاء في صـفار الزجاجة فيه كوة بقدرتدوير السماء والأرض وإسرافيل واضع فمه عـلى تلـك الكـوة، وفي اليواقيت للشعراني: أنه على صفة القرن، وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمـة عـن وهـب بـن منـبه قال: خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاجة ثم قال للعـرش خذ الصور فتعلق به ثم قال كن فكان إسرافيل فأمره أن يأخذ الصور فأخذه وبه ثقب بعـدد كـل روح مخلوقـة ونفس منفوسة لا تخرج روحان من ثقب واحد. وفي وسط الصور كوة كاسـتدارة السماء والأرض وإسرافيل واضع فمه على تلك الكوة ثم قال له الرب تبارك وتعالى: قـد وكلـتك بالصـور فإنـت للـنفخة والصيحة، فدخل إسرافيل في مقدم العرش فأدخل رجله اليمنى تحت العرش وقدم اليسرى ولم يغض طرفه منذ خلقه الله ينظر متى يؤمر به اهـ .

وفي المواهـب اللدنـية زيـادة عـلى هذا ولفظه: ثم تجتمع الأرواح كلها في صور ثم يأمر الله إسـرافيل فيـنفخ فـيه فـتدخل كل روح في جسدها، قال شارحها الزرقاني: قوله فتدخل كـل روح في جسـدها ثـم أمـر الله جـبريل أن يدخـل يده تحت العرش فيحركها حتى تنشق فينفضـهم عـلى الأرض فـإذا هـم قـيام يـنظرون اهـ . فقوله: ففزع أي فصعق من في السموات ومـن في الأرض أي مـاتوا والمعـنى أنه يلقي عليهم الفزع إلى أن يموتوا، وقيل: ينفخ إسرافيل ثلاثة نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين إلا من شاء الله، روى أبو هريـرة أن الـنبي ﷺ سـئل عـن قولـه تعـالى ﴿ إلاَّ مَـنْ شَـاءَ الله ﴾(الزمر:٦٨) قال {هم الشهداء مـتقلدون أسـيافهم حـول العـرش}. وقـيل: يعـني جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة إلا هؤلاء الأربعة .

وفي الـدر المنـثور: أخـرج أبـو يعلـي والدارقطني في الأفراد وابن المنذر والحاكم وصححه وابـن مـردوية والبـيهقي في البعـث عـن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال {سئل جبريل عليه السلام عـن هـذه الآيـة ﴿ فَصَـعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ الله ﴾(الزمر:٦٨) قال: هم الشـهداء مقلـدون بأسـيبافهم حـول عرشه تتلقاهم الملائكة عليهم السلام يوم القيامة إلى المحشر بنجائـب من ياقوت أزمتها الدر برحائل السندس والاستبرق نمارقها ألين من الحرير خطاها مد أبصـار الـرجل يسـيرون في الجنة يقولون عند طول البرهة انطلقوا بنا إلى ربنا ننظر كيف يقضي بين خلقه يضحك إليهم آلهي وإذا ضحك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه}. اهـ منه .

إلَهي الأَمانَ الأَمَانَ يَوْمَ زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزالَها

طلـب مـن الله تـبارك وتعـالى الأمان في هذا اليوم الشديد، فقوله: زلزلت أي تحركت

حـركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة، وقيل: تنزل من شدة صوت إسرافيل حتى ينكس كـل مـا عليها مـن شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء. وفي وقت هذه الزلزلة قولان: أحدهما: وهو قول الأكثرين أنها في الدنيا وهي من اشتراط الساعة، والثاني: أنها زلزلة يوم القيامة .

إلَهي الأَمانَ الأَمَانَ يَوْمَ تَشَقَقُ السَّمَاء بِالْغَمامِ

طلب أيضا من الله تبارك وتعالى الأمان في هذا اليوم وهو يوم تشقق السماء بالغمام عن الغمام وهو غمام أبيض مثل الضبابة ولم يكن لبني إسرائيل في تيههم. قال الشيخ سليمان الجمل في حاشيته على الجلالين: هو سحاب أبيض فوق السموات السبع تحته كثخن السموات السبع وثقله كذلك فينزل على السماء السابعة فيخرقها بثقله يشقها وهكذا حتى ينزل إلى الأرض وفيه الملائكة، أي ملائكة كل سماء فينزل أولا ملائكة السماء الدنيا وهم أزيد من أهل الأرض من إنس وجن، ثم ملائكة السماء الثانية وهم أزيد من ملائكة سماء الدنيا وهكذا، وإذا نزل ملائكة السماء الدنيا اصطفوا حول العالم المجموع في المحشر صفا، وإذا نزل ملائكة السماء الثانية اصطفوا خلف هذا الصف صفا آخر وهكذا حتى تصير الصفوف سبعة كلهم يحرسون أهل المحشر من الفرار والهرب اهـ، من الشيخ زاده بنقل الجمل .

إلَهي الأَمانَ الأَمَانَ يَوْمَ نَطْوِى السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلكِتابِ

طلب أيضا من الله تبارك وتعالى الأمان في هذا اليوم يعني يوم القيامة، قال ابن عباس: السجل الصحيفة والمعنى كفى الصحيفة على مكتوبها والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر. وقيل: السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد إذا رفعت إليه اهـ . فقوله: تطوى بالثاء مضارع طوى وفيه ضمير مستتر هو الفاعل يعود على الله والسماء مفعول له .

إلَهي الأَمانَ الأَمَانَ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَواتِ وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ

طلب من الله تبارك وتعالى أن يؤمنه يوم تبديل الأرض وهو يوم القيامة، قال الشيخ حسن في مشارقه: اعلم أنه قد اختلفت الأحاديث والآثار في الأرض المبدلة قال الإمام السيوطي: قد وقع الخلاف قديما للسلف في ذلك قال وهل التبديل تغيير ذاتها أو صفاتها فقط؟ فرجع الأول

ابـن أبـي جمـرة وأشار إلى أن أرض الدنيا تضمحل وتنعدم وتتجدد أرض الموقف . والسر في ذلك أن هـذا الـيوم يـوم عـدل وظهور حق فاقتضت الحكمة أن المحل الذي يكون فيه ذلك يكون طاهـرا عن عمل المعصية والظلم وليكون تجليه ﷻ على أرض تليق بعظمته، وقال الحافظ ابن حجـر لا تنافي بين تبديل الأرض وأحاديث صفتها والزيادة فيها والنقصان منها لأن ذلك كله لا يقع لأرض الدنيا وأرض الموقف غيرها فإنهم يزحفون من أرض الدنيا بعد تغييرها بما ذكر إلى أرض الموقف .

وقـال القـرطبي: جمـع صـاحب الإيضاح بين هذه الأخبار بأن تبديل السموات والأرض يقع مـرتين أحدهمـا تـبديل صـفاتهما فقـط وذلـك قـبل نفخـة الصعق فتتناثر الكواكب وتخسف الشمس والقمـر وتصـير السـماء كـالمهل وتكشف عن الرءوس وتسير الجبال وتصير الجبال نارا وتمزج الأرض وتنشـق إلى أن تصـير الأرض غير الهيئة ثم بين النفختين تطوى السماء وتبدل سماء أخرى وهو قوله تعـالى وأشـرقت الأرض بـنور ربهـا الآيـة وتـبدل الأرض فـتمد هذا الأديم وتعاد كما كان فيها القبور وتـبدل أيضـا تـبديلا ثانـيا وذلـك إذا وقفوا في المحشـر فتـبدل لهـم الأرض الـتي يقال لها الساهرة ويحاسـبون علـيها وهـي عفـراء بيضـاء مـن فضـة لم يسفك فيها دم ولم تعمل عليها معصية وحينئذ تقوم الناس على الصراط وهو لا يسمع جميع الخلائق؛ قال عبد الله إنها أرض من نار اهـ .

قـال السـيوطي: وتقـدم كـلام البـيهقي في جمـع حديثي مسلم فالتأمت الأخبار جميعها ولله الحمـد، قـال: وأما الخلائق عند التبديل فإنهم يكونون على الصراط، قال ويدل كذلك ما أخـرجه مسـلم عـن ثوبان قال: جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال: أين تكون الناس يـوم تـبدل الأرض غـير الأرض؟ قـال {هـم في الظـلمة دون الجسـر}. وأخرج مسلم عن عائشة قالـت: قلـت يا رسول الله أرأيت قول الله يوم تبدل الأرض غير الأرض أين الناس يومئذ؟ قال {عـلى الصـراط}. مجـاز لكونهم يجاوزونه؛ فيوافق قوله حديث ثوبان دون الجسر لأنها زيادة يتعين المصير إليها لثبوتها، ولأن ذلك عند الزجرة التي تقع عند نقلهم من أرض الموقف .

قـال العلامـة الـنفراوي على الرسالة: وتكون الخلق وقت التبديل على الصراط ثم بعد التـبديل يردون إلى الأرض المبدلة فيحشرون عليها اهـ . وقوله تعالى وبرزوا يعني خرجوا من قـبورهم لله يعـني لحكـم الله وللوقـوف بـين يديـه للحسـاب والواحد القهار صفتان لله تعالى فـالواحد الـذي لا ثـأني لـه ولا شريك معه المنزه عن الشبه والضد والند والقهار الغالب الذي يقهر عباده على ما يريد فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

إلهي الأمانَ الأمانَ يوم ينظُرُ المرءُ ما قدَّمتْ يداهُ ويقولُ الكافرُ يا ليتني كُنتُ تُرابا

طلب أيضا الأمان من الله تعالى في هذا اليوم وهو يوم القيامة فقوله تعالى ﴿ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾(النبأ: ٤٠) يعني من خير أو شر مثبتا في صحيفته ينظر إليه يوم القيامة وقوله تعالى ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً ﴾(النبأ: ٤٠) قال عبد الله بن عمر: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص الشاه الجماء من الشاه القرناء فإذا فرغ من القصاص قيل لها كوني ترابا، فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا اهـ . نقله الخازن، وفي الدر المنثور أخرج ابن المنذر عن مجاهد قال تقاد المنقورة من الناقرة والمركوضة من الراكضة والجلحاء من ذات القرون والناس ينظرون ثم يقول كوني ترابا لا جنة ولا نار فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اهـ ٠

إلهي الأمانَ الأمانَ يوْمَ يُنادِي المُنَادِي مِنْ بُطْنَانِ الْعَرْشِ أيْنَ العَاصُونَ وَأيْنَ المُذْنِبُونَ وَأيْنَ الخَاسِرُونَ هَلُمّوا إلى الحِسَابِ وَأنْتَ تَعْلَمُ سِرِّي وَعَلاَنِيَّتي فاقْبَلْ مَعْذِرَتي

طلب أيضا الأمان من الله تعالى في هذا اليوم وهو يوم القيامة، قال المفسرون في قوله تعالى ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ ﴾(ق: ٤١). هو إسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر فيقول: يا أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المفرقة أن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء، فقوله: بطنان بضم الموحدة وسكون المهملة وسط العرش، وقوله: أين العاصون جمع عاص وهو من كان في المشيئة من هذه الأمة، والمذنبون جمع مذنب وهو الآثم من هذه الأمة، والخاسرون: جمع خاسر وهو المنافق والكافر الآيسان من رحمة الله تعالى .

واعلم أن هذا النداء يكون عقب النفخة الثالثة كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ﴾(النبأ: ١٨). أي أمما مع كل أمة إمامهم وقيل زمرا وجماعات، وروى من حديث معاذ بن جبل قلت: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ﴾ فقال النبي ﷺ {يا معاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم ثم أرسل عينيه

باكيا ثم قال يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم، فبعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم ووجوههم يسبحون عليها وبعضهم عمي مترددون وبعضهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من النار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من قطران لاصقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعني النمام وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس وأما المنكوس رءوسهم ووجوههم فأكلة الربا وأما العمي فهم من يجور في الحكم وأما الصم البكم فهم الذين يعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم وأما المقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات ويمنعون حق الله من أموالهم وأما الذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء}. اهـ ذكره القرطبي .

وقوله: هلموا بضم اللام قال في المصباح: هلم كلمة بمعنى الدعاء إلى الشئ كما يقال تعالى، ثم قال: وفي لغة نجد تلحقة الضمائر وتطابق فيقال هلمي وهلما وهلموا وهلمي لأنهم يجعلونها فعلا فيلحقونها الضمائر كما يلحقونها قم اهـ. باختصار، وقوله: وأنت تعلم سرى أي ما ينطوي عليه ضميري وعلانيتي أي جهري، وقوله: فأقبل معذرتي بفتح الباء الموحدة فعل أمر من قبل بكسرها من باب تعب والمعذرة بفتح الميم وكسر الذال المعجمة بمعنى العذر وهو رفع اللوم عن الشخص المعتذر قال رسول الله ﷺ {من لم يقبل عذرا من معتذر صادقا كان أو كاذبا لم يرد على الحوض}. وقال بعض الحكماء: شفيع المذنب إقرار بتوبته اعتذاره وقال بعض الحكماء الكريم أوسع المغفرة إذا ضاقت بالمذنب المعذرة وقال بعض الشعراء:

العذر يلحقه التحريف والكذب ... وليس في غير ما يرضيك لي أرب

وقد أسأت فبالنعمى التي سلفت ... إلا مننت بعفو ماله سبب

وحكى الأصمعي عن بعض الأعراض أنه قال: تناس ماوي الإخوان يدم لك ودهم وأوصى بعض الأدباء أخا له فقال كن للود حافظا وإن لم تجد محافظا وللتخلي مواصلا وإن لم تجد مواصلا وقال رجل من إياد ليزيد بن المهلب

إذا لم تجاوز عن أخ عند زلة ... فلست غدا عن عثرتي متجاوزا
وكيف يرجيك البعيد لنفعه ... إذا كان عن مولاك خيرك عاجزا
ظلمت أخا كلفته فوق وسعه ... وهل كانت الأخلاق إلا غرائزا

وقال أبو مسعود كاتب الرضى كنا في مجلس الرضى فشكا رجل من أخيه فأنشد الرضى:

أعذر أخاك على ذنوبه ... واستر وغط على عيوبه
واصبر على بهت السفيه ... وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلا ... وكل الظلوم إلى حسيبه
واعلم بأن الحلم عند ... الغيظ أحسن من ركوبه

وقال بعض الشعراء:

إذا ما بد من صاحب لك زلة ... فكن أنت محتالا لزلته عذرا
أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه ... كأنه به عن كل فاحشة وقرا
سلم دواعي الصدر لي باسط أذى ... ولا مانع خيرا ولا قائل هجرا

وكان أسماء بن خارجة يقول: ما أتاني أحد بما أكره إلا أخذت عليه بثلاث خصال فإذا كان فوقي عرفت لَه فضل التقدم فأتبعته وإن كان دوني صنت نفسي عنه وإن كان مثلي تفضلت عليه، ونظم محمود الوراق هذه الكلمات الثلاث في هذه الأبيات فقال:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وإن عظمت منه على الجرائم
فما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذي فوق فاعرف فضلَه ... واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال منكرا ... صفحت لَه عنه وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا ... تفضلت إن الفضل بالحكم حاكم

وقال آخر:

إذا كان دوني من بليت بجهل ... أبيت لنفسي أن أقابل بالجهل

فإن كنت أدني منه في العلم والحجا عرفت لَه حق التقدم بالفضل
وإن كان مثلي في محل من النهي أردت لنفسي أن أجل عن المثل

ولأبي فراس الحمداني:

ما كنت مذ كنت إلا طوع خلاني ليست مواخذة الإخوان من شاني
يجني الجليل فاستحل جنايته حتى أدل على عفوي وإحساني
يجني على واحنو دائما أبدا لا شئ أحسن من حان على جان

اهـ . وقد روى عن بعض الصالحين أن من مات وهو يحفظ هذين البيتين لم يحاسبه الله تعالى وهما:

أقبل معاذير من يأتيك معتذرا ان بر عندك فيما قال أو نجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره وقد أجلك من يعصيك مستترا

وقال آخر:

إذا اعتذر الصديق إليك يوما تجاوز عن مساويه الكثيرة
فإن الشافعي روى حديثا باسناد صحيح عن المغيرة
عن المختار إن الله يمحو بعذر واحد ألفي كبيرة . اهـ

إلَهي آهِ مِنْ كَثْرَةَ الذُنوبِ وَالعِصْيَان

تضرع إلى الله تعالى وترجع من كثرة ذنوبه وعصيانه فقولَه: آه بمد الَهمزة وبناته على الحسر منوناً خلافا لما يوجد في بعض النسخ من تسكينها، قال ابن حجر الَهيثمي: كلمة توجع أي توجعي عظيم وتندمي زائد دائم، وفي القاموس كلمة تقال عند الشكاية أو التوجع اهـ . زاد شارحه الشيخ مرتضي: والتحزن وهذا التوجع مقيد للندم وفي الحديث الندم توبة أي معظم أركانها كالحج عرفة .

آهِ مِنْ كَثْرةِ الظُّلمِ وَالجفاءِ

توجع وتحسر على الحال التي ابتلى بها من كثرة الظلم بضم الظاء المشالة وسكون اللام وهو وضع الشئ في غير موضعه، والجفاء بالمد وهو الإعراض عن الشئ، والمراد به هنا الإعراض عن الله تعالى بعدم التوبة والرجوع والإنابة إليه .

آهِ مِنْ دَفْعِ المطْرُودِ

تحسر أيضا توجع خوفا من طرده ودفعه عن رحمة الله تعالى ومؤاخذته بذنوبه ودفع بفتح الذال المهملة وسكون الفاء مصدر دفعته دفعا نحيته وأزلته والمطرود بفتح الميم وسكون الطاء المهملة اسم مفعول من طردته عن البلد أي أخرجته منها .

وآهِ مِنْ نَفْسِ المَطْبوعِ بالْهوَى مِنَ الهوَى

توجع وتحسر أيضا من نفس من طبع الله على قلبه بالهوى من الهوى وهو ما تهواه النفس وتميل إليه من كل أمر مذموم شرعا، قال الشيخ المختار الكنتي في كتابه فتح الودود ما نصه: فالهوى بمنزلة الملك والنفس زوجته والشيطان وزيره والشهوات حبائله وأسلحته، وأعمال السوء جنوده، والدنيا زوجته ووزيره إبليس، قال ﷺ {لا يزال المؤمن في جهد جهيد حتى يلاقى ربه لأنه لا يزال بين منافق يؤذيه وكافر يعاديه وفاسق يحسده وشيطان يعده ونفس تشتهيه ودنيا تستهويه وهوى يكابده فإن جاهد الكل وصابرهم وتوكل على الله كفاه شرهم ووقاه ضرهم اقرءوا إن شئتم ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾(الطلاق: ٣)} اهـ منه .

أغِثْني يَا غياثَ المُستَغيثينَ أغِثْني عِنْدَ تَغيُّرِ حَالي

لما توجع وتحسر من هذه الأوصاف الذميمة والخصال الرذيلة استغاث إلى الله تعالى وتضرع إليه أن ينقذه منها، وقوله: أغثني عند تغير حالي أي عندما أميل عن الحق وأزيغ عن الهدى وأضل عن الطريق المستقيم .

اللّهُمَّ إنّي عَبْدُكَ المذنِبُ المُجْرِمُ المُخْطِئُ

اعترف لله تعالى وأقر على نفسه بأنه مذنب أي مرتكب للذنوب والسيئات ومجرم

بضم الميم وسكون الجيم وكسر الراء اسم فاعل من أجرم إذا أذنب واكتسب الاثم. والمخطئ بضم الميم وسكون المعجمة وكسر الطاء اسم فاعل من أخطأ أذنب على غير الله تعالى ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾(البقرة:٢٨٦) وقال رسول الله ﷺ {رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه} .

أجِرْني مِنَ النارِ يَا مُجِيراً ثلاثاً

طلب من الله تعالى أن يجيره أي ينقذه وينجيه من النار. ثم دعا إلى الله تبارك وتعالى بقوله: يا مجير أي يا مؤمن من يخافه وكرر هذا الطلب ثلاثا، لما ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال {من قال كل يوم إذا أصبح اللهم أجرني من النار سبع مرات قالت النار اللهم أجره مني} .

اللَّهُمَّ إنْ تَرْحَمْني فأَنْتَ أَهْلٌ وَإِنْ تُعذِّبني فأنَا أَهْلٌ

طلب من الله أن يرحمه بمحض فضله وكرمه وجوده وإحسانه من غير استحقاق منه لرحمته لأن الله تعالى أهل لأن يرحم عباده، ثم رجع على نفسه باللوم والتوبيخ والعتاب إن لم يرحمه الله بأن عذبه فإنه أهل أي مستحق للعذاب .

فارْحَمْني يا أَهْلَ التَّقْوَى وَيَا أَهْلَ الْمَغْفِرَةِ

طلب أيضا من الله تبارك وتعالى أن يرحمه وناداه يا أهل التقوى. أي يا من هو حقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه ثم ناداه أيضا بقوله: ويا أهل المغفرة أي يا من هو حقيق بأن يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم، وقيل: هو أهل أن تتقى محارمه وأهل أن يغفر لمن اتقاه، عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال في قوله تعالى ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾(المدثر:٥٦) قال الله تبارك وتعالى: (أنا أهل أن أتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي إلهاً فأنا أهل أن أغفر له) أخرجه الترمذي وقال حديث غريب .

وفي الدر المنثور أخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن الحسن ﷺ قال رسول الله ﷺ {قال الله أنا أكرم وأعظم عفوا من أن أستر على عبد لي في الدنيا ثم أفضحه بعد أن سترته ولا أزال أغفر لعبدي ما استغفرني} قال رسول الله ﷺ {قال الله إني لأجدني أستحي من عبدي يرفع يديه إلي ثم أردهما، قالت الملائكة إلهنا ليس لذلك بأهل، قال الله لكني أهل التقوى وأهل المغفرة أشهدكم أني قد غفرت له} قال رسول الله ﷺ {ويقول إني

لأستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام ثم أعذبهما بعد ذلك في النار} اهـ منه .

وَيا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

دعا الله تبارك وتعالى باسمه أرحم الراحمين وقد تقدم أن هذا الاسم قيل فيه هو اسم الله العظيم الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى .

وَيا خَيْرَ النَّاصِرِينَ

أي يا خير من نصر المسلمين على الكافرين يعني نصر النبي ﷺ وأصحابه وهزم الكفار والمشركين قال ﷺ {نصرت بالرعب مسيرة شهر} .

وَيَا خَيْرَ الغَافِرِينَ

يعني أن كل من سواك إنما يغفر الذنب طلبا للثناء الجميل أو لدفع ضرر وأما أنت يا رب فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عرض ولا غرض بل بمحض الفضل والكرم فأنت خير الغافرين .

حَسْبِيَ اللهُ وَحْدَهُ

يعني يكفيني الله فقوله وحده أي لا شريك في كفايتي واعتمادي والتجائى واستنادى وملاذى فلا أعتمد ولا ألتجئى إلى أحد سواه .

بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

قوله برحمتك جار ومجرور يتعلق بقوله فارحمني ، أي ارحمنى برحمتك التى وسعت كل شيء ، قال تعالى ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً ﴾(غافر:٧) ولما كانت الصلاة على سيد السادات وأشرف المخلوقات سبباً قوياً لنيل الحاجات وسلماً يرقى به لأعلى الدرجات وحبلاً منيعاً فى قضاء الأوطار والتوصل لكل مراد ونيل جميع الأسرار ختم الذاكر دعاءه فقال:

وَصَلَى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

ختم المصنف رحمه الله دعائه بالصلاة على النبى ﷺ لما ورد عن سيدنا عمر رضي الله عنه (الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى يصلى على النبى ﷺ). وروى عن

الصحابة ﷺ أنه قال { ما من مجلس يصلى فيه على محمد ﷺ إلا فاحت منه رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة : هذا مجلس صلى فيه على محمد ﷺ } أهـ . ذكره فى دلائل الخيرات ، ورحم الله من قال :

إن الصلاة على المختار إن ذكرت	فى مجلس فاح منه الطيب إذ نفحاً
فاسكر القوم رياه فتعرفه إلا	ملاك لما تبدى النور واتضحاً
والقوم فى حضرة بالذكر طيبة	هذا ومحبوبهم فى القلب ما برحا
محمد أحمد المختار من مضر	أزى الخلائق جمعاً أفصح الفصحا
صلى عليه إله العرش ثم على	أهله والصحب نعم السادة النصحا

خـاتمة

ختم الله لنا ولجميع المسلمين بكلمة الشهادة ومن علينا بالحسنى وزيادة ❊ وأسكننا بمنه وكرمه الفردوس الأعلى ❊ وجعل لنا جوار نبينا ومولانا محمد ﷺ مستقرا ومنزلا ❊ .

هـذا: وقد تقدم لنا طالعة الكتاب ❊ الاعتراف بأني لست من ذوي الألباب ❊ حتى أصنف العلم وأدونه ❊ وأجمعه وأقيده، ولكن حملني على تصنيف هذا الكتاب ما أخرجه الديلمي في مسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال {ما من رجل يترك ورقة من العلم إلا تقوم لَه تلك الورقة سترا بينه وبين النار وإلا بني الله لَه بكل حرف مكتوب في تلك الورقة مدينة من الجنة أوسع من الدنيا سبع مرات} اهـ.

ولما كان الكلام على ألفاظ السيفي ودعاء المغني طويل الذيل طوينا أطناب الأطناب ❊ واقتصرنا على ما لابد منه معتذرا لذوي الألباب ❊ فلم يبق لنا إلا التملق والتضرع بين يدي المولى الكريم في أن يتجاوز عن سيئاتنا ويقبل عثراتنا ❊ ويقبل عذرنا، فأقول اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك أحب إلى من نفسي وأهلي اللهم إنا نتوسل إليك بحب الصالحين لك فإنهم أحبوك وما أحبوك حتى أحببتهم فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك ونحن لم نصل إلى حبهم فيك إلا بحظا منك فتمم لنا ذلك مع العافية الشاملة التامة الكاملة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين ❊ اللهم إنا نسألك بعظمتك وجلالك ❊ وتضرع إليك بذاتك العلية وكما لك ❊ أن تأخذ بأيدينا أخذ الرأفة

والحنان * وأن توفقنا لعمل يقضي بنا إلى الجنان، ونور بصائرنا بنور معرفتك، وأوزعنا يا مولانا شكر نعمتك، وهب لنا من لدنك توفيقا مجددا، واجمعنا مع الأهل والأحبة تحت ظلك لا تسخط فيه علينا أبدا، اللهم اغفر ما علمت من ذنوبنا وأصلح ما ظهر وما بطن من عيوبنا. واعتق من النار رقابنا، ويسر إلى الخيرات أسبابنا * وهذب أخلاقنا ووسع أرزاقنا، ودارك بالجبر انكسارنا، وأرنا قرة العين في أزواجنا وأولادنا، واغفر لأبائنا وأشياخنا وأخواننا ولا تبق علينا تبعة لأحد من خلقك، ولا تؤاخذنا بما ضيعنا من حقك. فأنت ذو الكرم والجود . وذو الفضل الذي لا تحصره الحدود فأقل عثرتنا، وتقبل توبتنا، وأجب دعاءنا، وحقق في نوالك رجاءنا لا ترد بالخيبة أيدينا الممتدة إليك، ولا تقابل بالحرمان رجاءنا المعتمد عليك بحرمة نبيك ومصطفاك، وحبيبك ومجتباك، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليما .

قال مقيده: عبيد ربه وأقل العبيد طالبا من الله بمنه التوفيق والتأييد، وغفران ذنوبه يوم الموقف الشديد، وسكنى الفردوس هو ووالده وجميع من انتمى إليه وكل مؤمن رشيد، في مجاورة سيدنا ومولانا محمد صاحب الوصف الحميد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ذوي الرأي السديد . محمد بن الحسن بن عبد الله الفاسي منشئا ومحتدا، المالكي مذهبا التجاني طريقة وموردا، سلك الله به سبيل أهل الرشد والهدى، ووقاه من طريق الغي والردى وجعل آخر كلامه لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ وافق الفراغ من تبيضه صبيحة يوم الجمعة سادس عشر شعبان المعظم عام تسعة عشر بعشاة أولى وثلاثمائة وألف ١٣١٩ ورزقنا الله خيره ووقانا ضيره بمنه آمين والحمد لله رب العالمين وأقول مقتديا بقول القائل:

كتبت كتابا باليمين وإنني	رجوتك يا غفار مغفرة الذنب
واسأل من رائي الحروف دعاءه	بخير وبالحسنى ورضوان من رب
وبغضي عن الزلات عينا فإنني	كتبت وكتبى قل بعيد من الكتب
ولكنه للقارئين إعانة	ولا سيما أهل العبادة والقرب

انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجليل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

تقـــــريز

الحمـد لله ومما كتبه شيخنا وسندنا الفقيه الجليل، الحافظ العلامة النبيل المحقق المشارك المثيل، المقدم الذكر الأجل، البركة الناسك الأفضل، الرئيس في غالب الفنون، أبو عبد الله سيدي الحاج محمد فتحا بن المنعم سيدي محمد بن عبد السلام سحنون ❊ حفظه الله ونصه:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، إن أول ما يشتغل به العاقل الأريب، الكيس اللبيب، هو ذكر الله في السر والإعلان، بقالب واللسان، ولو لم يرد في فضله إلا قوله تعالى ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾(البقرة:١٥٢). فجعل جزاء ذكر العبد له تعالى ذكره سبحانه لعبده وقوله سبحانه ﴿ وَالذَّاكِرِينَ الله كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ الله لَهـمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب:٣٥) وقوله في الحديث القدسي {من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين} لكان فيه الشفاء والغنيمة .

هـــذا: وإن من أعظم الأذكار قدرا، وأكثرها أجرا، الحزب السيفي المسمى بالحرز اليماني المنسوب للإمام مولانا على بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد وضع عليه ولدنا الفقيه النجيب ❊ الحي الأريب، أبو عبد الله، سيدي محمد بن عبد الله هذا التقييد المبارك الحفيل الذي هو يحل ألفاظه وبيان معانيه وفضله وخواصه كفيل ❊ جزى الله مؤلفه خيرا، وأعظم له مثوبة وأجزل له أجرا ❊ ونفعه ونفع به آمين، والحمد لله رب العالمين، وكتبه عبد ربه وأسير ذنبه محمد سحنون وفقه بمنه اهـ . من خطه مباشرة .

ومما كتبه شيخنا الشريف الغطريف: العالم العلامة العفيف، الفاضل الأريب سيبويه زمانه، ومعدن اللغة بين أقرانه، الماجد الأصيل، المحقق التحرير النبيل، أبو الضياء سيدي خليل، ابن الشريف العلامة، الدراكة الفهامة، سيدي صالح الخالدي الحسني ونصه:

حمدا لمن فتح أبصار الذاكرين أهل العرفان، وخصهم بما جبلوا عليه من الأذكار بالمحبة والغفران، وأمدهم بالفتوحات والمعارف والأسرار، فنالوا من الفهوم اقتطاف الأنوار، وشم انتشاق الأزهار، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بحر الجود والكرم، ومركز العلوم ومفتاح كل خير لأولي الهمم، وعلى آله وأصحابه ذوي الفتح النوراني، الفائض عليهم من نوره العرفاني، وبعد: فقد وقف كاتبه سامحه الله بمنه على هذا الشرح الحفيل الذي هو بمهمات مشروحه كفيل، تقييد ولد الروح وصفي الخلان بالفقيه الأستاذ تبر الهمة في العلوم والبرهان المسمى (باتحاف

الخل الوافي، على ألفاظ الحزب السيفي)، فإذا هو شرح جليل القدر والمقدار، كفيل بحل ألفاظه وتحرير معانيه بعبارة مشرقة الأنوار رائقة واضحة لمن رام نيل فضل الله المدرار. فلقد حصل فيه وأفاد، وأوضح وأجاد وكشف عن محياه النقاب، وأزاح عن مكنونات فضائله ومحاسنه الحجاب، فجزاه الله خيرا، وأناله مثوبة وأجرا وخلص أعماله، وزكى أفعاله، وأنار قلبنا وقلبه بأنوار العلوم اللدنية، وأفاض علينا وعليه من بحار الادراكات الفهوم النورانية الملكوتية وجعل سعينا وسعيه رابحا، ومتجره ناميا ناجحا، وختم لنا وله بحسن الختام. وحشرنا في زمرة المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في دار السلام .

آمين آمين للأراضي بواحدة　　　حتى أضيف لها لآف آمين

وكتبه أسير هواه الراجي عفو مولاه في سره ونجواه خليل بن صالح الحسني الخالدي وفقه الله اهـ . من خطه مباشرة .

وما كتبه شيخنا وأستاذنا الفقيه الأجل العالم العلامة المحدث الأمثل البركة الفاضل المبجل المحقق في جميع الفنون أبو محمد سيدي التهامي بن المدني كنون حفظه الله وأدام النفع به ورزقنا علمه المكنون ونصه :

الحمد لله بإفادة هذا الشرح ونفعه وحسن ترتيبه وجمعه وكمال تقريره ومزيد تحريره ودعوى الحاجة لمثاله وصحة مسائله ونقله يقول أيضا الفقير إلى رحمة ربه محمد التهامي بن المدني على كنون كان الله له ولجميع المسلمين فيما كان ويكون اهـ . من خطه مباشرة .

ومما كتبه أخونا في الله وحبيبنا الأواه الفقيه النبيه العلامة المحقق النزيه المقدم الذاكر الوجيه أبو عبد الله سيدي محمد بن السيد الحاج محمد يناني حفظه الله وجمعنا وإياه في دار التهاني مع شيخه القطب الرباني . أبى العباس سيدنا ومولانا أحمد التجاني، بمنه وكرمه آمين ونصه :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الفاتح الخاتم سيد الخلق أجمعين، وعلى آله وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين: (وبعد) فلما طالع كاتبه وفقه الله هذا الشرح الحفيل، الذي هو بمهمات مشروحه كفيل، جمع أخينا في الله، وحبيبنا الأواه الفقيه النبيه، العالم النزيه، سيدي محمد بن عبد الله، وجده شرحا جامعا لشتات الفوائد، محتوياً على الثمين من الجواهر والفوائد فلقد حصل فيه وأفاد، وأوضح وأجاد، وكشف فيه عن محيا مشروحه النقاب، وأزاح عن

محاسنه وفضائله الحجاب، فجزى الله مؤلفه خيرا، وأناله مثوبة وأجرا، وعمنا وإياه بعطفه من شيخنا القطب المكتوم، والبرزخ المختوم أبي العباس مولانا أحمد التجاني ووالدينا وجميع الإخوان بمنه وكرمه آمين وكتبه عبد ربه وأفقر الورى إليه محمد بن محمد البناني، سقاه الله من بحر شيخه بأعظم الأواني والحمد لله رب العالمين اهـ . من خطه حفظه الله .

ومما كتبه أخونا في الله الحبيب اللبيب. الفقيه العلامة الأديب المحقق الدراكة الأجل، المدرس النافعة الأمثل، الذاكر الناسك الأفضل، سيدي محمد الفاطمي ابن سيدي محمد الشرادي أدام الله وجوده وأطلع في سماء المعالي نوره وشهوده. وأمدنا إياه بعطفه شيخنا الغوث الأشهر العارف الأكبر: مولانا أبي العباس التجاني، ﷺ وسقانا من فيض مدده النوراني آمين ونصه :

حمدا لمن ألهم أهل السعادة. حتى حازوا الحسنى والزيادة وشكر الموفق ذوي المجادة، لمناهج العناية والإفادة أفاض عليهم تعالى فضله فتحدثوا وأيدهم بروحه فنفثوا، فيأسعد من أسهم معهم له بنصيب، ويا فوز من نودي بينهم بالحبيب والقريب، فهم القوم لا يشقى جليسهم، والرجال الذين لا يحرم أنيسهم، ويا خسارة من حيل بينه وبين ربوعهم، فلم يمنح بحبهم ولا شرب من ينبوعهم هذا وإن ممن أكرم والحمد لله في هذه الأعصار، بجملة صالحة من الفتوحات والأسرار، أخونا في الله الفقيه النبيه. الحيي النزيه. سيدي محمد بن عبد الله فقيد وأجاد. وغاص وأفاد. خصوصا تقييده المحلى بهدية المحب الفاني على الحزب السيفي والحرز اليماني. فقد راجعت ما تيسر منه مع بعض العوائق عن استيفائه فوجدته في بابه نافعاً، وللمفيد جامعاً، مرصعاً بجواهر عديمة المثال. ومطرزا بلبابات منيعة المثال، جزاء الله تعالى بفضله أحسن ما جازى عاملا فيما استعمله، وفاعلا في مفعوليه جعله، وجعل ذلك من الأعمار التي خلت من كنه صاحبها، فلم يسود وجه أصلها بصورة كاسيها وجعلنا جميعا ممن من عليه برضاه الكريم وفيضه العميم، وأفاض علينا من دائرة فضله الخارجة عن الدوائر، التي هى ملحظ أهل الفتح والبصائر، إنه كريم ذو الفضل العظيم، آمين، وكتبه أفقر الورى إلى مولاه الراجي عفو سيده في سره ونجواه محمد الفاطمي بن محمد الشرادي لطف الله به وبالمسلمين اهـ . من خطه حفظه الله .

وما كتبه أخونا في الله الفقيه الأجل، الفاضل الذاكر المبجل، الأديب البليغ الأنيل، المحرر التحرير الأمثل، المقدم الناسك الرئيس، أبو محمد سيدي الحاج عبد الكريم بن

الحاج العربي بنيس، حفظه الله ونفع به ورزقنا وإياه عطفه شيخنا أبي العباس التجاني ﷺ وسقانا من فيض مدده ونصه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (أما بعد) فقد راجعت هذا لشرح المبارك الحفيل الموضوع على الحزب السيفي المنسوب لسيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه الذي هو لأخينا في الله الشيخ وحبيبنا الفقيه النبيه، العدل الوجيه سيدي محمد بن عبد الله مراجعة تنقع وبصحيح، من غير إغضاء ولا تلوح، ونبهت على عثرت عليه ببضاعتي المزجاة مما لا تخلو عنه المبيضات نصيحة لأخويه، ورجعته له حتى تداركه بالإصلاح لحسن طويته فجاء بحمد الله ممتع العيدن والاسماع، كفيلا بالفوائد بلا نزاع، رفيع المقدار، خزانة الأسرار، جزى الله مؤلفه أحسن الجزاء. وأبلغه منتهى الرجاء، وعمنا وإياه بعطفه شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكتوم مولانا أحمد التجاني ووالدينا وجميع الأحباب أمين وكتبه عبيد ربه الفقير، ذو العجز والتقصير عبد الكريم بن العربي بنيس لطف الله به آمين اهـ . من خطه حفظه الله .

ومما كتبه أخونا في الله الفقيد الأريب، الذي انطوت على محبته جوارحنا لصفاء سره الحبيب، تحفة الخلان، وفصيح الأقران، اللودعي اللبيب، الغطريف النبيه الأديب، مماثل سبحان في الفصاحة، وفائق الخليل في البلاغة صاحب التآليف العديدة ونظم المسائل المعضلة فتضحى مفيدة والمشمر عن ساعده، في عبادة ربه وعلى التمسك بالسنة يعرج " أبو العباس سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، حفظه الله وأدام به النفع وسقانا وإياه من فيض مدد شيخنا بنوره العرفاني من غير نزع بمنه وكرمه آمين، ونصه:

حمدا لمن فتح باب القبول بمريد الآلاء لكل من شكره واستوجب ذكره الجميل في مقصد الصدق عنده كل من ذكره، وأصلي وأسلم على عين الرحمة، سيدنا ومولانا محمد الواسطة في كل نعمة، وعلى آله وأصحابه الأعلام، ما قلبت وجه الصفحات الأقلام، وبعد: فيقول العبد الذي لا يزال على أبواب فضل ربه يعرج، أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، غفر الله له ولوالديه، وأحسن لهما واليه مع كافة أهل الإسلام، بجاه النبي عليه الصلاة والسلام. ما وقفت على الشرح المسمي: (هدية الأخ المحب الفاني، بحل ألفاظ الحرز اليماني). شرح أخينا في الله الصاحب الصادق، والحبيب الموافق، الفقيه الأمجد سيدي محمد بن عبد الله، الملحوظ بعناية مولاه، وجدته شرحا جامعا لشتات الفوائد، محتويا على

الثمين من الجواهر والفوائد، فما هو إلا كنز للأسرار جامع، وينبوع عرفان بالهداية نافع، وروض علم بالمعارف يافع، وكوكب في أفق العلم طالع، ونور في الغياهب ساطع، ومرهم لعضال الجهل نافع، فيا له من شرح به انشرحت صدور الأحبة فنسأل الله تعالى أن يجعله إليه أعظم قربة، وأن ينفعنا وإياه بالعلم مع أهله، ويدخلنا جميعا من باب كرمه وفضله، إنه رب كريم، غفور رحيم، وحين دعاني لتقريظه داعي وداده. قلت في ذلك مجيبا لمراده :

هذه جواهر رصعت بزبرجد ... في نظم مرجان بسلك عسجد

جمعت على نسق عجيب وضعه ... عقدا نضيدا مثله لم يوجد

وتقلدته غزالة فتانة ... تسبى العقول بنورها المتوقد

وأنت تدير كؤس أسرار على ... من رام أن يحظى بنل تودد

قرت بها عين المحب حسن ... ومفرة أضحت لقلوب الحسد

فإذا رآها الطالبون تيقنوا ... أن الهدى فيها انطوى للمهتدى

لله ما اشتملت عليه من البها ... أن الهدي فيها انطوى للمهتد

لله ما اشتملت عليه من البها ... فكأنها شرح الفقيه محمد

المرتضي العدل المبجل في الورى ... من لم يزل بذوي السعادة يقتدى

أعني ابن عبد الله من شهدت له ... أعداؤه بالفضل دون تفند

أو ما ترى ما في الهدى أبداه من ... شرح لطيف فيه أعذب مورد

شرح على حرز اليماني فيه قد ... أبدى علوما فضلها لم يجحد

شرح به كنز الفوائد فتحت ... أبوابه للطالب المسترشد

شرح به ظهرت لطائف حكمة ... من قاله يحرز بلوغ المقصد

فعليك يا صاحي به إن شئت إن ... تحظى يداك بنيل سر منجد

ثم الصلاة على الرسول المصطفى ... خير الخلائق والنبي محمد

وعلى جميع الآل والأصحاب مع ... من في الورى بسنى هداهم يهتدى

والحمد لله رب العالمين اهـ من خطه حفظه الله .